# علم الأجناس

## بمعنى رجل أبيض - رجل أسود

تأليف

مجدى الرافعى محمد سعيد





# علم الأجناس
## بمعنى رجل أبيض - رجل أسود

تأليف
مجدى الرافعى محمد سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

# علـم الأجنــاس
## بمعنى رجل أبيض ـ رجل أسود

**مقدمة :**

نشـأت الحـاجـة إلى هذا العلم بسبب التدهور المنطقى فى الأوضـاع عـالمياً (وداخل كل دولة على حدة بصور مختلفة) .. كنتيجة طبيعية لنقص بعض العلوم .. ومن أهمها هذا العلم (لأنه يشمل كل العلوم ولا يشمله أى علم آخر) (فنحن نقول : يوجد كذا طبيب أبيض وكذا طبيب أسود .. وليس هناك أى طريقة أخرى حتى الآن).

على سبيل المثال .. ماذا يحدث حالياً فى العالم ..؟ ..

١ – البعض يسىء والبعض يجهز نفسه للإساءة والبعض ليس لديه إمكانيات للإساءة.

٢ – عشوائية فى قوة ـ صناعة ـ سكان .. إلخ ..

٣ – شكاوى متفرقة (لا تجد إجابات شافية).

٤ – اثنان من جنس واحد يتقاتلان .. إلخ.

وهذا الأمر سيستمر إلى حين التجمع (لا وجود للكيانات الصغيرة).

نعطى مثال أكثر وضوحاً لما سبق (العشوائية الصناعية).

- المجموعة التى تنتمى إليها مصر (عربية ـ إسلامية ـ افريقية) لا توجد بينهما دولة واحدة صناعية .. بدون وجه حق.
- دولة تصنع أكثر من حقها .. مثلاً .. (اليابان ٦ سيارات ــ ألمانيا ٥ سيارات إنجلترا ٤ سيارات) .. بدون وجه حق .. هل الغرض عمل معرض ..؟ .. أم ماذا ..؟

وطبعاً معروف أن العشوائية الصناعية الأخيرة هى أخطرها .. وقد تسبب الحرب العالمية الثالثة.

الغريب أنهم يتحدثون عن عشوائية الأكواخ والأحياء الشعبية .. ولا أحد يلتفت إلى هذه العشوائية (المدمرة) (على الأقل داخل مصر).

وهذا ما يقدمه هذا العلم كحل للمشكلة .. فليس هناك أمل للتجمعات الصغيرة وأيضاً للطائفية الهشة.

ولما كانت العشوائية تزداد تضخم .. الأمر الذى أوجب تقنينها .. لأن كل شىء فى الدنيا قام الإنسان بتقنينه (أو هو مازال يحاول) ونسى نفسه .. وبناء على ذلك يصعب على العشوائية .. حل المشكلة العشوائية .. لنعطى مثال لذلك العشوائية : (١) تنتج المظلوم (١) فإذا أعطينا المظلوم (١) عشوائيا فسوف ينتج لنا العشوائية (٢) التى تنتج لنا المظلوم (٢) .. وهكذا فى دائرة لا تنتهى.

لنعطى مثال آخر على ما سبق :

مائة عصفورة يمكن أن يحتويها قفص محدود الحجم .. لكن لو أطلقت لاستلزم الأمر إلى مائة فدان على الأقل والطبيعة كافية لتحديد عدد العصافير فى العالم .. وهذا يعنى أن ما يقدمه هذا العلم هو حل سريع مؤقت يستتبعه ضرورة تواجد قوانين تحديد الأسرة (الصارمة).

لأن الإنسان لا يترك للطبيعة حتى تحدد أعداده فهناك مستشفيات وتطعيمات.. إلخ..

علماً بأنه لتجنب المقولة الشهيرة للاقتصادى البريطانى (توماس مالتون) (١٧٦٦ -١٨٢٤)م وله نظرية تقول (أن عدد السكان على الأرض يزيد بسرعة تفوق زيادة الغذاء .. وأن حل هذه الأزمة يكمن فى الأوبئة والمجاعات والحروب) .. فإن قوانين تحديد الأسرة (الصارمة) فى غياب هذا العلم مستحيلة على سبيل المثال (لخطورة اختفاء بعض الأجناس ـ الاتفاق على تحديد أعداد لكل جنس ـ الثقة فى القيادة .. إلخ ..).

## معلومة عامة :

علم الأجناس فيما سبق هذه الجزئية الخاصة (رجل أبيض ـ رجل أسود) لا يقدم الكثير لخدمة الإنسان شخصياً .. ولنعطى مثال على هذا :

ما هى فائدة علم الحساب للإنسان شخصياً (١ + ١ = ٢) بالطبع الفائدة صفر تقريباً.. لكن مع تطور الزمان تم ابتكار علم الميكانيكا الذى قدم لنا السيارة كأحد فوائد علم الحساب .. أو بمعنى أصح تكوين هدف هو (صناعة السيارة).

وقياساً على ما سبق يعتبر كل الكتابات السابقة فى مجال علم الأجناس حتى تاريخه هو التمهيد اللازم لظهور (علم الأجناس بمعنى رجل أبيض ـ رجل أسود) .. وربما كان هذا العلم بمفهومه الجديد هو المقدمة لعلم آخر أكثر فائدة للبشرية .. وهذا ما سيتضح كنتيجة طبيعية للممارسة مع المختصين فى هذا العلم.

## س ١ : لماذا (علم الأجناس بمعنى رجل أبيض ـ رجل أسود) ..؟ ..

ج : ١ – العلم ملك للكل مثال : من الذى بدأ وقال (١ + ١ = ٢) لا يستطيع أحد أن يؤكد باسمه كما أنه ليس خريج جامعة ومع ذلك الكل يحترم مقولته.

٢ – العلم يخدم الكل وليس فئة دون غيرها .. خصوصاً وأن هذا العلم يخدم الإنسانية مباشرة وليس بطريقة غير مباشرة (كما أنه يكافح الجوع بالدرجة الأولى عن طريق تخصيص مصادر غذاء وغيره لضمان الحياة الآمنة لكل جنس على حدة).

٣ – السياسة لا تتدخل فى العلم .. مثال ..

كلنا لا نريد صناعة قنبلة ذرية .. وطبعاً بعض الدول الكبرى لا توافق على تصنيع المزيد من القنابل الذرية .. ومع ذلك معظم دول العالم بها علماء يقومون بتدريس كيفية صناعة القنابل الذرية .. ومشروحة فى كتبهم المطروحة فى الأسواق (هذا هو الحياد) .. على الأقل لتجنب صناعتها بالمصادفة ..

الجزء المجهول هو وسيلة التفجير ويمكن اعتبارها (اختراع) ومن حق صاحبها أن يخفيها (إذا استطاع) .. كما أنها تنفجر مع القنبلة .. وبذلك تصبح دائماً مجهولة عن العلم (أو شىء شبيه بذلك).

فما أسهل أن يصدر قرار سياسى بمنع تدريس كيفية صناعة القنبلة الذرية .. لكن كما سبق توضيحه (السياسة لا تتدخل فى العلم).

٤ – هناك نوعين أساسيين من الحديث كلاهما هام :

- الحديث الأفقى .. (السفسطة (أيهما أسبق الكتكوت أم البيضة) ـ الجدل (المناقشة فى موضوع معروف مع إعاقة الوصول إلى حل) ـ التحدث بغير خبرة .. إلخ ..) وهو هام فى تضييع الوقت لأن الإنسان لديه ٢٤ ساعة يومياً ويحتاج إلى ملء فراغه على سبيل المثال

- الحديث الرأسى .. (العلوم وما شابهها) لأن الحوار فيها دائماً بين اثنين أو أكثر على دراية بالموضوع .. ولذلك ينمو العلم دائماً .. بما يقدمه من خدمات للبشرية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٥ - العلم يقدمه إنسان واحد (محايد) وينمو بالإرادة البناءة وليس بالمناقشة البيظنطية ويستمر إذا كان هناك أهداف معروفة أو محتملة التحقيق .. إلخ ..

٦ - الأقوال الإنسانية على كافة المستويات يمكن إهدارها (إذا لم يكن لديها قوة تحميها) (وما أكثر ما قيل على مستوى كل دولة على حدة وفى المحافل الدولية) .. ولكن .. صعب جداً إهدار علم إلا بالعلم .. خصوصاً إذا تم معرفته وتوضيح ما يعالجه وفائدته حالياً وفى المستقبل (للإنسان شخصياً .. مباشرة أو غير مباشر).

٧ - كل الدول ستضار كنتيجة لسوء النتائج . كما حدث فى الحرب العالمية الثانية (كنتيجة حتمية لعدم وجود هذا العلم) .. وبالتالى يعتبر مسمار جيد فى نعش الحرب العالمية الثالثة.

٨ - أحاول أن أقدم حلول لمشكلة قائمة .. أنا أحد المتضررين منها .. فعلم الأجناس يمس كل مواطن فى الكرة الأرضية وليس أنا فقط .. والأغلبية لا يدرون (شأن كل العلوم تقريباً).

٩ - محاولة لكسب العيش .. لا ضرر منها طالما أنها وسيلة شريفة .. تقدم الحلول على طبق من ذهب للحاكم والمحكوم .. وترضى كل الأطراف النزيهة العادلة.

١٠ - وفقاً لتعريف اليونسكو .. يقدم التعليم مهارتين (مهارة التفكير ـ مهارة الحياة الاجتماعية).

١١ - مثل خلايا الكائن الحى (تتكون على أسس) .. تتكون خلايا القيادة فى العالم مبينة على أسس أيضاً أهمها (العلم) وليس (الحداقة).

١٢ - المنافسة فى العالم الآن فى التعليم لأن المادة العلمية واحدة والمعدات واحدة .. الفارق فقط فى الجودة .. وهى من إنتاج البشر المؤهل.

١٣ - مع احترامى لكل من قاموا بثورات على مدى التاريخ لمصلحة بلادهم وأحوالهم .. إلخ.. هذه تعتبر ثورات محلية محدودة .. أما العلم فى كافة فروعه .. فهو ثورة عالمية تشمل كل العالم ولأجيال قادمة .. مثال .. دعونا نقارن بين أشهر الثوار فى العالم (ما الفائدة فى الثورة التى قدمها إلى الناس ..؟ .. والفائدة التى قدمها علم الحساب (١ + ١ = ٢) للناس).

١٤ - تم لى اكتشاف طريقة جديدة (فى الحقيقة هى مطلب قديم لم يجد فرصة للتحقيق لأنه لم يقدم بصورة متكاملة) تحقق الرضا الكامل بين الحاكم والمحكوم داخلياً ودولياً.. وتقدم الحكم على طبق من ذهب للقيادة المعتدلة .. فلماذا أتأخر عن تقديم المقترحات التى تفتح مجال لا ينتهى من أولى خطوات الحكم العادل .. ؟ ..

١٥ - كل علم يصلح أشياء ويفسد أشياء .. واستمرار تواجد الفساد .. يؤكد على نقص جزئى أو كلى فى علم أو أكثر .. سواء فى المادة أو فى التنفيذ.

١٦ - الحقيقة لو فكر الإنسان قليلاً لاكتشف أنه لا يعلم بأن طعامه وملبسه .. إلخ .. حالياً بناء على العلم .. وبدونه لا يستطيع هذه الأعداد الضخمة من الإنسان الحياة لأن العلم هو الذى يقدم (التخزين - زيادة كمية وحجم المنتجات الزراعية وغيرها - سرعة النقل .. إلخ ..).

١٧ - من الطبيعى أن تحدث الموافقة على التنفيذ الفعلى (لعلم الأجناس بمعنى رجل أبيض - رجل أسود) .. إذا ثبت أن هذا الكلام النظرى قابل للتنفيذ عملياً .. خصوصاً .. وأنا مستعد أن تكون (مصر) هى أول دولة مستفيدة من التنفيذ العملى (عرض تجربة عملية) .. لأن (مصر) تمت فيها الخطوات الأولى.

١٨ - العلم يستطيع إسكات بنادق كثيرة .. لكن بنادق الدنيا لا تستطيع إسكات العلم .. فالعلم دائماً له وريث .. إذا كان صادق .. ومعيار الصدق يرتبط بمستوى العلم والفهم .. إلخ .. وبالتالى فإن العلم متغير وفقاً لمسبباته ولا يموت.

باختصار يوجد فى العالم ملايين البنادق .. لكن التى تسمع أصواتها بضع آلاف ..

وطبعاً العلم هو المؤثر الأكبر فى هذا المجال .. وعلم الأجناس ستكون مسؤليته إسكات باقى البنادق .. إن شاء الله.

١٩ - الظاهرة الطبيعية تختلف عن الظاهرة الإنسانية فمثلاً نقول (الحديد يتمدد بالحرارة .. انتهت المشكلة) .. أما الظاهرة الإنسانية لأن الأمر أكثر تعقيداً وبالتالى تكون الحلول أكثر تعقيداً أيضاً .. وليست بهذا القدر من البساطة (تمدد الحديد) ولذلك يكون علم الأجناس هو الأكثر فائدة فى هذا المجال.

٢٠ - العلم هو (الثائر الصامت) الوحش الأسطورى الجديد .. الذى يهدد البشرية إذا لم نكبح جماحه .. ولذلك أفضل أن تتولى جهة ما يتفق عليها لوضع الحدود على كل العلوم .. وأنا أفضل ترشيح السادة / الرؤساء الدوليين للأجناس (المجلس الدولى للأجناس) .. باختصار (تحديد فائدة العلم) .. باختصار أكثر .. (يمكن باتفاق الكل تحجيم العلم لتجنب شروره مع الفوز بالفائدة).

٢١ - العلم مكتوب .. والكلمة المكتوبة أكثر قوة من الكلمة الشفهية.

٢٢ - العلم دائماً به بعض الأخطاء .. فهل من المعقول ألا نلجأ إلى العلم لأن به أخطاء .. وإلى أى شىء نلجأ .. ؟ ..

٢٣ - أى عمل بدون علم .. هو تقريباً مجهود ضائع .. العمل المطلوب لعلم الأجناس هو (إصلاح العالم).

٢٤ - كل علم يبحث فى جزئية خاصة .. وهذا العلم يبحث فى جزئية (الكرة الأرضية الفاضلة) بصفة شاملة لكل العلوم (بطريقة عملية) قابلة للتنفيذ.

٢٥ - أى قانون يفترض فيه أن يحقق توازن بين الأطراف المستفيدة.

٢٦ - العلم يمنح الإنسان قوة إضافية بما يمد فى ارائه بمنطق جديد لمواجهة صعاب الحياة.

واعتقد أن هذا حلم يراود كثير من البشر .. واعتقد أيضاً أن هذه الجزئية أهم مما قد يعتقده البعض بأنه يحقق أرباح مباشرة للإنسان .. فقط .. فالحقيقة أنه يحقق (استقرار ـ أمان ـ ثقة .. إلخ ..).

٢٧ - مسئولية العلم الأساسية هو طرح الحقيقة المجردة لمكافحة (الكذب ـ الجهل .. إلخ) المتداول وفقاً لآخر معطيات العلم.

**ملحوظــة :**

١ - هناك منظومة عالمية وهى أن الدولة تتكون من مجموعة من الكلمات (خشب - حديد - صحافة - قصة.. إلخ..) ويتولى شخص أو أكثر (كلمة) وفقاً لأعباء الكلمة.. وما أضيفه فى هذه المنظومة العالمية هو كلمة (الأجناس).. الفساد فى العالم أو داخل أى دولة هو إما نقص فى تواجد بعض هذه الكلمات أو النقص فى تنفيذ تطبيقها كلها أو بعضها.

٢ - هناك مؤشرات تدل علي وفرة الإنتاج مؤقتاً (اختراعات معروفة لم تسوق للتحكم فى الأسواق - الحروب وما يتم تخريبه فيها - الإفساد العمدى فى الصناعة أو الخدمة بغرض الحصول على المزيد من الأرباح - إعدام فائض الإنتاج للحفاظ على الأسعار - الفساد الإدارى .. إلخ..) وكل ما ينقصنا هو (الإدارة) .. أو بمعنى أصح .. علم الأجناس لتنقية الإدارة (وهو الأمر الذى يحل ٥٠٪ من المشاكل المتواجدة (بدون أى إضافات أخرى).

٣ - هذه التجربة التنفيذية فى (مصر) تفيدنا من ناحية سرعة الاستفادة من حصاد علم الأجناس قبل غيرنا (بعد ٥ - ٦ سنوات بغرض تذليل كل الصعاب) علماً بأنه لن يتم الاستفادة من علم الأجناس على مستوى العالم قبل ٥٠ عام على الأقل لأسباب تتعلق بالتمويل وغيره ..

فيجب أن يتم التنفيذ وفقاً لمتوالية هندسية (دولة - ٢ دولة - ٤ دولة - ٨ دولة .. إلخ ..) وذلك للاستفادة من مساهمة الدول التى يتم إنقاذها أولاً بالتمويل .. وضرورة فهم ..

(هناك فارق بين أن يعرف وأن يفهم المواطن البسيط) بما يعود عليه بالنفع قبل التنفيذ.. إلخ ..

٤ - أى أخطاء تحدث فى التنفيذ .. لن تسبب أضرار جسيمة مثلما هو متوافر الآن فى (الهيصة) ويمكن للأجيال القادمة إصلاحها كما سنفعل نحن الآن فى أخطاء الماضى.. وبالتالى لا خوف نهائياً من ارتياد السبق.

٥ - أكثر من ٢٠ عام أراسل فى هذا الموضوع (داخل مصر وخارجها) .. (فكما أن مصر لها عيون فى كل دول العالم فإن كل دول العالم لها عيون فى مصر) وهذا يؤكد أن القوى المختلفة المؤثرة فى العالم تعرف الكثير عنا (لأن لهم عيون فى كل دول العالم .. ومنها (مصر) بالطبع .. ولم يعترضنى أياً منها بأى تحرك ضدى .. ومعنى ذلك :

- أنهم اكتشفوا أن علم الأجناس هو العلم الوحيد القادر على حل مشكلة العشوائية فى العالم حتى الآن.
- أنهم حصلوا على الفترة المناسبة للتفكير لبدء الخطوة الأولى أو اتخاذ البدائل.
- أنهم ينتظرون كلمة العلم.
- أن لديهم الرغبة فى توصيل الحق إلى أصحابه (لكن لم يكونوا يعرفون.. كيف..؟..) وهذا شئ مطمئن.
- هذا الأمر يعجل بالتنفيذ (مصلحة الكل فى السرعة).

أما من لم يسمع عنى خلال هذه الفترة (فهذا أكبر دليل له هو شخصياً (أياً كان مركزه) أنه ليس ضمن القوى ذات التأثير فى مقره .. حيث أنه لم يشعر بحدث على هذا القدر من الأهمية طوال هذه الفترة .. وبناء على ذلك يفضل عليه أن يتبع تعليمات القوى ذات التأثير فى دولته (أو المنظمة التى يتبعها .. إلخ ..)

## س ٢ : من الذى يقدم الحماية للأقليات لحين تنفيذ هذا العلم .. ؟ ..

ج : ١ - سؤال محتمل ممن لا يعلم أنه لا يوجد أغلبية ولكن كل الأجناس أقليات وليس (أربع تقسيمات فقط) كما هو مذكور فى آخر الكتاب .. الحقيقة كما سيتضح لسيادتكم أن الأجناس مئات بل آلاف .. أو بمعنى أصح الكل أقليات وسيتم تجميعهم فى مجموعات وفقاً لاتفاقات أولى الأمر وأن التقسيمات الكثيرة فائدتها قليلة.

كما أن حالياً الأغلبية (مختلط) كنتيجة لعدم تواجد علم الأجناس.

٢ - أعمال الإنسان مراقبة بحكم الإدارة الدولية ومن كان أكثرية فى مكان فهو أقلية فى مكان آخر واحتياجات الإنسان تجبره على التعامل مع أجناس مختلفة والنهاية يكون المثل (دائن تدان) له قيمة فى إحباط النذالة إذا تواجدت فى أى مكان.

٣ - الإنسان يخاف من كل شئ حتى مجرد (صوت ارتطام شباك) ولو سار الإنسان وراء الخوف ما وصل إلى حق من حقوقه.

٤ - لست أنت الذى تطالب بهذا الحق (حتى تحاسب) ولكن رئيس جنسك (الذى لم يدرس أو يعين أو يختار بعد) وربما هو جنين حاليا.

٥ - التنوع فى كل شئ مطلوب كظاهرة بيئية فماذا لو أن كل الأشجار وأوراقها وأشكالها وثمارها متشابهة.

٦ – الأمر متاح لمن يستطيعون تقديم طريقة أكثر سرعة للحل الشامل أفضل من تلك.

٧ – لمن يتعلل بالمقولة ماذا أستفيد أنا من خدمة قادمة لأجيال قادمة أقول له (زرعوا فأكلنا ـ واليوم نزرع ليأكلوا).

٨ – الإنسان نفسان (أحدهما خارج والآخر داخل) .. ولا نعرف متى يتوقف أحدهما (هذه خلقه الله).

فقرة للتقارب مع السادة / الطلاب :

أنا طبعاً متأكد من أن بعض السادة / الطلاب متأثرين بالانفجارات وأصوات المدافع التى تنطلق من وقت لآخر .. وأنا أقول لهم :

١ – أنا متأكد من أن فاعل هذا التطرف يطالب بالحق (بسبب سوء توزيع الثروة الواضح .. الناتج عن الفساد .. وهو أهم اهتمامات هذا العلم) .. لكن لابد أن نعرف أيضاً أن الحق يأتى بناء على تراكمات حقية .. ما هو معنى ذلك .. نعطى مثال :

أنا أريد حجرة يدخلها الشمس والهواء (مطلب بسيط الآن .. لكن قديماً كان فيه نوع من الصعوبة .. لماذا .. ؟ ..)

أول سكن الإنسان كان حوائط بها (خرم) يغلقه بواسطة القش للدفىء وعندما يريد الشمس والهواء ينزع القش.

مع الأجيال خرجت صناعة المراكب لشراء الخشب ومصانع لصناعة المسامير وأدوات النجارة حتى تم عمل شباك وبلكونة .. إلخ ..

أعتقد وضحت .. التراكمات الحقية .. (الخشب ـ المسمار ـ الفصالة .. إلخ ..) التى أدت إلى صناعة (الشباك ـ البلكونة .. إلخ ..) وبالتالى لا يمكن لحق أن يأتى قبل حق آخر.

بناء على المثال السابق .. لابد من علاج المشاكل الناتجة عن نقص علم الأجناس (الذى تم اكتشافه بالفعل) .. أولاً .. وإذا ثبت وجود أى خلل بعد ذلك يمكن طرحه لأخذ الرأى بشأنه (ربما تم حل المشكلة أثناء تفعيل علم الأجناس .. وهو أمر مؤكد قريب الاحتمال).

كما أن تواجد علم الأجناس لا يعارض قيام أى أعمال مفيدة أخرى عن أى جهة أو نشاط .. إلخ ..

وأيضاً من الممكن أن يتم شىء من التكافل بين الدول أو أفراد الشعب نفسه لرأب الصدع مؤقتاً (وكلاهما لا يخصان مسئولية علم الأجناس).

علماً بأنى غير مسئول عن أى مشاكل أخرى .. أنا مسئول فقط عن (علم الأجناس بمعنى رجل أبيض ـ رجل أسود) للدراسة .. وبعد إتمامه سيكون هناك ممثلين عن كل جنس على حدة .. يمكن طرح المشاكل عليهم كل فى مجال جنسه وتخصصه (مطالب الإنسان لا تنتهى). وأيضاً وفقاً لترتيبات أسبقيات التنفيذ.

كما أن هذا الموضوع يمكن اعتباره مجال جيد للبحث معروض على سيادتكم .. ربما اكتشف أحدكم طريقة سريعة (لا تنسى أننا لا نحل مشكلة بعض الشعب ولكن كل الشعب).. وأوضح لسيادتكم أن هذا العلم فى مجمله يقضى على مشكلة الجوع فقط .. ولا يمس الأفكار سواء كانت سياسية ـ دينية ـ ثقافية .. إلخ ..) وإلا كان تدخلاً فى فروع أخرى ليست مجالنا.

ولما كان من يريد العبث بهذه الأفكار .. فانه غالباً ما يستغل (الجائع) بإقناعه بأنه الوسيلة الجيدة للقضاء علي الجوع (الجوع أصناف كثيرة) .. وعادة ما يفوز ببعض المخدوعين .. والحقيقة أنه يحاول أن ينشر أفكار معينة للقفز على السلطة.

وبالتالى يمكننى تأكيد التخلص من ٥٠٪ من المشأكل الحالية .. بناء على هذا العلم فقط.

من لا يقنعه هذا الرأى يمكن تقديم توضيحات أكثر فى سؤاله ويفضل أن يكون مكتوباً (بعد أن يقرأ هذا الكتاب) .. حتى يعلم أن (من صفات العلم أنه مكتوب) .. لعرضه فى مناقشة مفتوحة .. فليس هناك أى شيء إلزامى .. فقط الإقناع .. وأن مسئولية تطوير هذا العلم تقع على عاتقكم.

كما ينبغى ألا ننسى .. أن هذا العلم حالياً فى بدايته مثل علم الحساب (١ + ١ = ٢) وأن عبىء تنميته يقع على عاتقكم شأن كل العلوم الأخرى .. فليس هناك علم يقدم متكامل .. لكن ينمو بتعاون المختصين .. كما أن المراجع التى اعتمدت عليها قديمة ومترجمة.

٢ - فى رحلة حياتى الشخصية .. اكتشفت النقص الآتى فى (مصر) (علم الجنس ـ تنفيذ الاختراعات ـ علم الأجناس) ولما كان (علم الجنس) يحتاج بصفة خاصة إلى أطباء لتفعيله .. لم أتحدث فى هذا الموضوع تقريباً .. وتركته لمن هو قادر عليه (وهو الأمر الذى يطمئن إلى أن هناك الكثير من المجاهيل التى ستخدمنا فور اكتشافها .. المهم أن نعرف كيف وأين نبحث.

أما علم الأجناس .. فيمكن لأى شخص أن يتحدث فيه لذلك ارتبطت به لأنه لا يحتاج إلى أكثر من شخص (محايد - مهتم - يعلق آمال كبيرة على هذه العلم - حاصل على درجة جامعية) علماً بأن تنفيذ الاختراعات (فى العالم كله) مرتبط بعلم الأجناس لأنه الوسيلة القانونية لتوفير الحصص عامة ومنها الحصة الصناعية.

أنا أعتزم تدريس مادة (علم الأجناس بمعنى رجل أبيض - رجل أسود) عندما يوفقنى الله فى الحصول على موافقة السادة / أولى الأمر على تقسيم نهائى للأجناس.

٣ - مقولة عن كنفوشيوس (حكيم الصين العظيم).

سئل عن صفات الحكم المثالى فأجاب (أنه الحكم الذى يجد الناس تحت سمائه مظلة غذاء كافية وجيشاً جراراً يحميهم وثقة عظيمة فى حكامهم).

وسئل عما يمكن الاستغناء عنه من هذه الأمور الثلاثة إذا دعت الضرورة إلى ذلك فقال.. أفضل أولاً الاستغناء عن القوة أو الجيش .. ثم سئل عما يمكن الاستغناء عنه بعد ذلك فأجاب .. أفضل الاستغناء عن الطعام إذ ما أكثر من ماتوا جوعاً من الأفراد فى كل جيل منذ وجد الإنسان .. ولكن لم يحدث أن عاشت أمه بدون ثقة فى حكامها (طبعاً علم الأجناس يفيد فى هذا المجال).

٤ - طرق تقسيم الكرة الأرضية.

ليس هنا مجال الشرح التفصيلى لطرق تقسيم الكرة الأرضية ولكن عندما تختلف طرق التقسيم فإن علينا أن نحدد أكثرها أهمية للإنسان .. لأن جميع الطرق بالطبع مفيدة للإنسان ولكن فى جزئية محددة وليست شاملة.

- خطوط عرضية .. مفيدة فى تحديد المناخ.
- خطوط طولية .. مفيدة فى تحديد الوقت اعتباراً من (جرينتش).
- الحدود الدولية .. تجمعات عشوائية على مدار الكرة الأرضية.
- اللغة .. تجمعات عشوائية على مدار الكرة الأرضية.
- .. إلخ ..

وهكذا نجد أن طرق تقسيم الكرة الأرضية بنقصها طريقة تعطى بالتفصيل لكل ذى حقاً حقه .. وهو (علم الأجناس). لأنه الوحيد الذى يخصص لكل جنس حصة (زراعية - صناعية - صحراء - غابات .. إلخ ..) لضمان أمنه.

٥ – البخار المكتوم.

على مدى التاريخ قامت امبراطوريات هدفها الاستيلاء على الكرة الأرضية (لتحقيق الأمان) .. (قولاً على الأقل) .. ثم بعد الاستيلاء يتم التقسيم.

الذى حدث دائماً .. وكان أحد أسباب سقوط هذه الامبراطوريات .. أنه فى منتصف المسافة كان الأعوان يشعرون بعدم عدالة التقسيم (البخار المكتوم) (الأراضى - المراكز - الأموال .. إلخ ..) وأهم العدالة المنقوصة بالطبع تقسيمات الأجناس .. التى كانت دائماً حبيسة الصدور (لعدم تواجد هذا العلم) .. وهو الأمر الذى كان يحطم الامبراطوريات من الداخل قبل أن تسقط من الخارج.

هذا الحلم (الاستيلاء على الكرة الأرضية) ماذال يداعب كثير من الرؤوس بما فيهم بعضاً من السادة / أولى الأمر .. وهذا العلم لا يحطم هذا (الحلم) ولكن يحققه ولكن بصورة عكسية (يتم أولاً التقسيم ثم بعد ذلك تأتى مرحلة (الاستيلاء على الكرة الأرضية).. ووقتها لن يهتم أحد .. طالما أن كل شخص حصل على حقه (فالإنسان دائماً يريد أن يحافظ على مكاسبه).

وأنا عن نفسى أنتظر العظيم الذى يحمل مسئولية التعهد بالحفاظ على مكاسب الإنسان (بعد إتمام تنفيذ هذا العلم) على أن يتولى مسؤلية العالم ليحقق الأمان (للأسف هذا لن يكون قبل ٥٠ عام) .. ربما يشهد هذا الحدث العظيم .. الجيل القادم.

## خاتمة المقدمة :

١ – أعتذر عن طول المقدمة .. لكن واضح لسيادتكم أهميتها.

٢ – واضح طبعاً أنى أحاول توصيل الحقيقة إلى سيادتكم وفقاً للإمكانيات المتواضعة .. فكل محتويات هذا الكتاب هى مجهود فردى .. وأنتظر طبعاً من سيادتكم المزيد من التعاون لتوصيل المزيد من الحقيقة للأجيال القادمة.

٣ – أهم محتويات هذا الكتاب هو الاقتراح بتقسيم الأجناس والاقتراح (بالاسماء والرموز) (فى أخر الكتاب) والذى أهم منه أن يشرفنى تعاون سيادتكم (أولى الأمر) معى فى إنجازه.

# الفصل الأول
# نشأة النوع البشرى .. زمانها ومكانها

الإنسان وحيد النشأة .. نشأ من أب واحد فى مكان واحد ثم انتشر منه إلى سائر أنحاء العالم .. وقد كان يظن البعض أن الإنسان متعدد النشأة بمعنى أن الزنوج السود مثلاً ينحدرون من أب غير الأب الذى ينحدر منه الشماليون البيض أو المغول الصفر .. فقد كشفت بقايا متحجرة (حفريات هياكل الإنسان القديم) .. وقد دلت هذه البقايا على أن الاختلافات الجسمانية بين الإنسان موجودة من القدم .. ومثال ذلك أنه وجدت فى شمال إيطاليا بعض عظام بشرية يرجع تاريخها إلى حوالى ٢٠ ألف سنة مضت .. ودل بحث هذه العظام على أنها تمثل جنساً زنجياً أطلق عليه الباحثون اسم إنسان (جريمالدى) .. وقد وجدت البقايا البشرية القديمة فى كثير من جهات العالم فى آسيا وافريقيا وأوروبا وكلها تؤكد أن الإنسان وحيد النشأة .. نشأ من أب واحد فى مكان واحد.

ومادام الإنسان قد نشأ فى مكان واحد فقد حاول الباحثون تعيين هذا المكان .. ونحن لو حاولنا أن نبحث عن المكان الذى نشأ فيه الإنسان لوجب أولاً أن نضع شروطاً لهذا المكان.

**أولاً :** يجب بأن يكون هذا المكان ممهداً غير معقد التضاريس ليس فيه جبال شديدة الارتفاع لأنه لم يكن قد عرف بعد وسائل اختراق الجبال.

**ثانياً :** لابد أن يكون هذا المكان من الناحية المناخية معتدلاً .. لا هو بالشديد الحرارة حتى لا يكون ذلك باعثاً على الخمول .. ولا هو بالشديد البرودة .. حتى لا تعوق هذه البرودة نشاطه لأنه لم يكن قد عرف بعد صنع الملابس الثقيلة التى تقيه البرد الشديد.

**ثالثاً :** لابد أن يكون هذا المكان وفير الخيرات الطبيعية لأن الإنسان كان فى بداية أمره قليل الحيلة لا يعرف وسائل استغلال الأرض .. ومن هنا لزم أن تكون نشأته الأولى فى مكان توفر له الطبيعة غذائه وملبسه ومسكنه بدون بذل مجهود كبير.

رابعاً : لابد أن يكون مكان النشأة الأولى فى إقليم يتوسط أجزاء العالم المختلفة إذ تبين أن الإنسان كان ينتشر فى معظم أنحاء العالم القديم (أوروبا وآسيا وأفريقيا) منذ أقدم العصور البشرية .. ومادام قد نشأ فى مكان واحد فلابد أن هذا المكان كان فى مركز متوسط بالنسبة لجهات العالم القديم.

بعد أن وضعنا الشروط للوطن الأصلى للإنسان نستطيع أن نعين أفضل مكان تتوافر فيه هذه الشروط.

على أن البحث عن الوطن الأصلى للإنسان لابد أن يكون فى ضوء التاريخ الذى ظهر فيه أول إنسان .. وتحديد هذا التاريخ لابد أن يقوم على أدلة ثابتة .. فما هى الأدلة الثابتة التى وجدت والتى نستطيع بناء عليها أن نحدد تاريخ نشأة الأنسان أو تاريخ ظهور أول إنسان وهذه الأدلة تستمد من أمرين :

١ - حفريات الإنسان أى بقايا عظامه المتحجرة.

٢ - الآلات الحجرية التى صنعها الإنسان.

فأما عظامه فواضح أنها حيث وجدت تدل علي وجوده .. وأما الآلات الحجرية فهى أيضاً حينما وجدت تدل على وجود الإنسان .. لأن صناعتها تدل على مقدرة عقلية عالية استطاع صاحبها أن يسيطر على حركات أصابعه فيخرج من الحجر آلات ذات أشكال متنوعة بحسب الغرض الذى سيستخدم فيه هذه الآلات .. هذا فضلاً عن أن اختيار نوع الحجر الصالح لصناعة الآلات يدل علي أن صانع هذه الآلات كان صاحب عقل وإدراك .. وليس هناك مخلوق صاحب عقل وإدراك إلا الإنسان .. ومن أجل هذا كان وجود الآلات الحجرية دليلاً على وجود الإنسان لا يقل عن الدليل المستمد من عظامه المتحجرة .. وقد قلنا الآلات الحجرية ولم نقل أثار الإنسان بصفة عامة .. لأن أثاره الأخرى المصنوعة من الخشب والعظم وغير ذلك من المواد (تحللت) بمرور الزمن وتحولت إلى تراب .. بينما بقيت .. مصنوعاته الحجرية تقاوم الزمان فدلت على وجوده حيثما وجدت.

وتوصف هذه الآلات الحجرية بأنها ما هى إلا بصمات الإنسان على الطبيعة يستدل منها على وجوده فى المكان الذى توجد فيه.

وبناء على هذه الأدلة المستمدة من أثار عظام الإنسان وأثار عقله أمكن القول أن الإنسان وجد بصفة مؤكدة منذ منتصف عصر البلوستين الجيلوجى .. أى منذ حوالى نصف مليون سنة.

وكان توزيع اليابس والماء فى فترة نشأة الإنسان شبيهة بالتوزيع الحالى مع فروقاً بسيطة فى مناطق المضايق والبرازخ التى بين القارات والبحار فى الوقت الحالى .. مثل بوغاز باب المندب بين آسيا وافريقيا .. وبوغاز جبل طارق بين افريقيا وأوروبا .. وبوغاز بهرنج بين آسيا وأمريكا الشمالية .. ومثل برزخ السويس بين آسيا وافريقيا .. ومثل بواغيزملقا وسوندا وكريماتا فى منطقة جزر الهند الشرقية .. فيظن أن بعض هذه البواغيز كان برزخاً فى فترة نشأة الإنسان وأن بعضها الآخر كان أقل اتساعاً وعمقاً مما هو عليه الآن .. وبذلك تمكنت الهجرات البشرية أن تنتقل بين قارات العالم وعلى الأخص قارات العالم القديم آسيا وأوروبا وافريقيا والاقيانوسية (جزيرة غينيا الجديدة والجزر المجاورة لها .. ثم استرليا وتسمانيا .. ثم كل جزر المحيط الهادى) لأنه إذا كانت هذه المضايق قائمة فى الفترة التى نشأ فيها الإنسان فلابد أن نتوقع وجود عقبة فى سبيل انتشار الإنسان من موطنه الأصلى إلى سائر أوطانه الحالية أيا كان موطنه الأصلى .. فنحن لا ننتظر أن نجد الإنسان فى فترة النشأة وما بعدها مباشرة ذا قدرة على صنع قوارب يعبر بها هذه المضايق .. فلابد إذن أن نفترض أن هذه المضايق أو بعضها كان على الأقل برزخاً فى عصر البيلوستين .. حتى يتمكن الإنسان من أن يعبر من قارة إلى أخرى بطريق برى.

لكن إذا كان توزيع اليابس والماء فى فترة نشأة الإنسان شبيهاً بالتوزيع الحالى .. فإن حالة المناخ كانت تختلف اختلافاً كبيراً عما هى عليه الآن .. إذ تعرض المناخ فى البيلوستين إلى ما نسميه الآن العصر الجليدى .. فكان المناخ شمال القارات غير ثابت فى أحواله .. فأحياناً يكون شديد البرودة يتقدم فيه غطاء الجليد نحو الجنوب .. كما يتقدم جليد المرتفعات نحو السفوح السفلى .. ثم أحياناً أخرى يسود الدفء فيتراجع الجليد إلى الشمال من ناحية وإلى قمم الجبال من ناحية أخرى .. ويطلق على مرحلة تقدم الجليد اسم (الفترة الدفيئة) .. وقد مر شمال آسيا وأوروبا وأمريكا خلال البيلوستين فى أربعة أدوار جليدية تتخللها فترات دفيئة .. وقد حدثت هذه التغيرات المناخية فى المناطق الصحراوية الحالية ولكن فى صورة أدوار مطيرة تتخللها فترات جافة .. وكانت الأدوار المطيرة فى الصحراء معاصرة للأدوار الجليدية فى شمال القارات .. كما كانت الفترات الجافة فى العروض الصحراوية معاصرة للفترات الدفيئة فى العروض الشمالية.

وبعد أن عرفنا زمان نشأة الإنسان وحالة سطح الأرض ومناخها فى فترة النشأة نستطيع أن نبحث عن مكان نشأته الأولى.

فنجد أن قارة مثل أوروبا لا تصلح مكاناً لهذه النشأة لأنها كانت شديدة البرودة فى فترات كثيرة من فترات عصر البيلوستين .. والإنسان كما قلنا يحتاج فى فترة النشأة إلى مكان معتدل المناخ .. وكذلك نجد أن الأمريكتين لا تصلحان وطناً أصلياً للإنسان لأنهما تفقدان شرط الموقع المتوسط وهو شرط ضرورى للوطن المفروض لنشأة الإنسان .. إذ منه سينتشر فى سائر جهات العالم .. ويبقى أمامنا من قارات العالم آسيا وافريقيا.

فأما آسيا فهى قارة عظيمة المساحة مترامية الأطراف فتمتد من الاقليم الاستوائى فى الجنوب إلى الاقليم القطبى فى الشمال ومن جبال أوروال فى الغرب إلى المحيط الهادى فى الشرق .. ثم هى متعددة مظاهر السطح ففيها الجبال الحديثة الشديدة الارتفاع والهضاب القديمة المتوسطة الارتفاع وفيها الكهوف المنخفضة.

وهى من أجل اتساع المساحة وتعدد مظاهر السطح نجدها متعددة المظاهر المناخية والنباتية .. ولابد عند البحث عن مكان يصلح وطناً أصلياً للإنسان فى هذه القارة من أن نستبعد قسمها الشمالى لنفس السبب الذى من أجله استبعدنا قارة أوروبا وهو هذه البرودة فى بعض فترات البيلوستين .. كما أننا نستبعد قسمها الأوسط بسبب وعورته الشديدة التى تفقد .. شرطاً أساسياً من شروط الصلاحية لنشأة الإنسان وهو السطح الممهد .. وأما القسم الجنوبى من آسيا فيشتمل على مجموعات من الجزر على عدد من أشباه الجزر .. فأما الجزر فرغم أنها كانت فى فترة النشأة جزءاً من كتلة القارة الآسيوية أى أنها كانت أشباه جزر .. ورغم أن أقدم حفريات بشرية وجدت بها وهى الحفريات التى أطلق عليها اسم (إنسان جاوه) نسبة إلى جزيرة جاوه إلا أنها تستبعد لموقعها المتطرف .. وأما أشباه الجزر الحالية فتستبعد الهند الصينية لموقعها المتطرف بالنسبة لسائر أجزاء العالم حتى أنها تعتبر جزءاً من الاقليم الذى يسمى الشرق الأقصى .. رغم تقدم وسائل المواصلات .. وأما الهند فلا يعيبها إلا صعوبة اتصالها بقلب القارة الآسيوية بسبب الهيمالايا التي تكون قوساً محكماً لشمال الهند يعزلها عن سائر أجزاء القارة .. وأما شبه جزيرة العرب فهى مكان يستوفى كل الشروط.

فمن حيث الموقع نجدها ولو أنها جزء من القارة الآسيوية إلا أنها تتصل اتصالاً سهلاً بالقارة الافريقية عبر برزخ السويس وبوغاز باب المندب .. فلو فرض أن كانت نشأة الإنسان الأولى فى شبه جزيرة العرب لسهل عليه الانتقال إلى افريقيا ومنها إلى أوروبا .. ومن حيث السطح نجد شبه جزيرة العرب عبارة عن هضبة غير شديدة الارتفاع إلا فى

حافتها المطلة على البحر الأحمر وفى جبال عمان .. وأما من حيث المناخ والنبات فقد كانت فى فترة النشأة وفيرة الأمطار غنية بالنبات ولذلك كانت وفيرة الخيرات يستطيع الإنسان الأول أن يجد فيها غذائه دون بذل مجهود كبير.

وأما افريقيا فتنقسم من حيث السطح إلى قسمين .. قسم جنوبى وعر لا يصلح وطناً أصلياً رغم أنه كشفت به حفريات بشرية تمثل بعض سلالات الإنسان القديم .. وقسم شمالى عبارة عن هضبة ممهدة السطح وهى وإن كانت صحراوية فى الوقت الحاضر إلا أنها كانت فى فترة نشأة الإنسان وفيرة الخيرات بفضل ما كان يسقط بها من أمطار .. ولذلك يمكن أن تعتبر شمال افريقيا فى منزلة شبه جزيرة العرب من حيث درجة الصلاحية كوطن أصلى للإنسان .. ومن الناحية الجغرافية يمكن اعتبار الصحراء الكبرى وشبه جزيرة العرب اقليماً واحداً لا يقطعه إلا حدود البحر الأحمر ويمكن أن نفرض أن الإنسان الأول نشأ فى مكان ما فى هذا الاقليم الكبير الذى يمتد من المحيط الأطلسى غرباً إلى الخليج العربى شرقاً .. وإذا كانت تربة هذا الاقليم لم تخرج لنا آثاراً بشرية تكفى لتعزيز هذا الغرض فما ذلك إلا لقصور البحث العلمى بسبب شدة اتساع الاقليم وطبيعته الصحراوية الحالية .. وعدم توافر إمكانيات البحث من مال ورجال وغير ذلك.

الرأى الأرجح إذن أن الإنسان نشأ فى بقعة ما بين النطاق الصحراوى الكبير الذى يمتد من الصحراء الكبرى إلى صحراء شبه جزيرة العرب .. ثم تدرج فى مدارج الرقى جسمانياً وعقلياً .. وقد سار تدرجه الجسمانى جنباً إلى جنب مع تدرجه العقلى أو تدرجه الحضارى .. وينقسم تدرجه الجسمانى إلى قسمين رئيسيين .. مرحلة الإنسان القديم .. ومرحلة الإنسان الحديث وينقسم تدرجه العقلى أو الحضارى إلى عدة أقسام يطلق عليها اسم العصور الحجرية لأن الأثار الحجرية هى أهم ما وصلنا من أثار الإنسان العقلية فى هذه المرحلة المتقدمة .. ويمكن الربط بين تدرجه الجسمانى وتدرجه العقلى أو الحضارى على النحو التالى :

| | | |
|---|---|---|
| عصر المعدن | أعلى | مرحلة الإنسان القديم من ٥٠٠,٠٠٠ سنة ق.م إلى الوقت الحالى. |
| العصر الحجرى الحديث | وسط. | |
| العصر الحجرى القديم | أسفل | مرحلة الإنسان القديم من ٥٠٠,٠٠٠ سنة ق.م إلى ٢٠,٠٠٠ سنة ق.م. |

# الفصل الثانى
# انقسام النوع البشرى إلى أجناس

لابد أن نفرق بين أمرين :

أولاً : تكوين النوع.

ثانياً : تكوين الجنس.

## أولاً : تكوين النوع :

عرفنا تكوينه وتدرجنا من هذا النوع الذى نسميه التطور البشرى إلى أن أصبح حقيقة قائمة فى العصر الحجرى القديم الأوسط.. ولن يقف التطور البشرى عند هذا الحد بل سنجد هذا النوع ينقسم إلى أجناس فيهم الأبيض والأصفر والأسود.. وفيهم أصحاب الرؤوس الطويلة والقصيرة وأصحاب الرؤوس العريضة.. وفيهم الطوال وفيهم الأقزام.. إلخ.

معنى هذا أن النوع البشرى انقسم إلى أجناس عديدة .. فإذا كان الإنسان وحيد النشأة أى نشأة من أب واحد فى مكان واحد .. فكيف انقسم إلى هذه الأجناس العديدة ..؟

لابد أن هذا الإنسان بمجرد إن وجد وتكاثرت أفراده فى مكان النشأة قد فكر فى مغادرة مكان النشأة لعدة دوافع .. ويمكن أن نحدد العوامل الجغرافية التى أوجدت الجنس والتى جعلت الإنسان يهاجر من مكانه الأصلى إلى بيئات جغرافية متعددة .. فيكتسب من هذه البيئات الجغرافية صفات جسمانية جديدة لم تكن له من قبل .. ويمكن أن نحدد هذه العوامل الجغرافية فيما يلى :

### ١ - عامل الدفع أو عامل الطرد :

بمعنى أن بيئة من البيئات تدفع سكانها إلى خارجها أو تطرد سكانها إلى مكان آخر .. وعامل الدفع أو عامل الطرد قد يكون طبيعياً كأن يحل بالاقليم جدب .. قد يكون بشرية كأن يتنازع أبناء الاقليم الواحد فيهاجر الأضعف منهم إلى مكان آخر.

### ٢ - عامل الجذب :

بمعنى أنه إذا كان قد تحدد أن يهاجر قوم من بيئتهم لسبب طبيعى أو بشرى فلابد أنهم يقصدون إلى بيئة تجذبهم أى أن ظروف البيئة الجغرافية من حيث المناخ ومن حيث توافر الرزق تجذب إليها هؤلاء السكان المهاجرين.

### ٣ - عامل التحكم :

معنى التحكم أنه لا يكفى أن توجد بيئة تطرد وبيئة تجذب بل لابد أن يوجد طريق سهل يؤدى بين البيئتين .. وهذا ما نسميه بالتحكم الجغرافى .. بمعنى أن الظروف الجغرافية من يابس وماء ومن سهل أو جبل ومن غابات أو صحراء .. هذه الظروف الجغرافية هى التى تحدد الطريق للجماعات المهاجرة من بيئتهم القديمة إلى بيئتهم الجديدة وهذه هى المرحلة الأولى فى طريق تكوين الجنس.

استقرت هذه الجماعات المهاجرة فى بيئات طبيعية مختلفة وينبغى أن نلاحظ هذا فى ضوء التوزيع الحالى للإنسان .. فهو النوع الحيوانى الوحيد الذى ينتشر فى كل جهات العالم من أقصى الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب .. لا يهمه تنوع هذه البيئات فى السطح أو فى المناخ أو فى النبات.

## ثانياً : تكوين الجنس :

استقر الإنسان فى هذه البيئات المتنوعة فى ظروفها الجغرافية وكان الإنسان فى بداية أمره عجينة لينة فى يد الطبيعة تشكله بحسب ظروفها الجغرافية .. فالذين سكنوا جهات حارة اكتسبوا من البيئة الطبيعية صفات خاصة .. والذين سكنوا الجهات الباردة اكتسبوا صفات خاصة كذلك .. والذين سكنوا الغابات اكتسبوا صفات تختلف عن صفات الذين سكنوا المناطق المكشوفة .. وهكذا .. وبذلك نكون قد وصلنا إلى المرحلة الثانية فى تكوين الجنس.

ثم بمرور الزمن ثبتت هذه الصفات المكتسبة من البيئة فى الناس وانتقلت إلى النسل بالوراثة .. وبذلك وجدت المرحلة الثالثة والأخيرة فى سبيل تكوين الجنس .. فكأن مراحل تكوين الجنس هى كما يلى :

١ - الهجرة من الوطن الأصلى.

٢ - الانتشار فى بيئات طبيعية مختلفة واكتساب صفات تتلائم مع هذه البيئات الطبيعية المختلفة.

٣ - انتقال الصفات إلى النسل بالوراثة.

وبهذا تكونت السلالات الجنسية التى نراها فى العالم فى الوقت الحالى.

نستطيع بعد هذا أن نعرف الجنس تعريفاً علمياً صحيحاً (مجموعة من الناس يشترك مع بعضها البعض فى صفات جسمانية ظاهرة ثابتة) .. فإذا ما نظرنا فى هذا التعريف نجد الصفات التى يشترك فيها أفراد الجنس الواحد هى صفات جسمانية .. أى أنه عند تقسيم العالم إلى أجناس ينبغى ألا ننظر إلا إلى الصفات الجسمانية .. أما ما عدا ذلك من الصفات الثقافية من لغة أو دين وغير ذلك .. فهذه لا تدخل فى حسابنا عند تقسيم العالم إلى أجناس .. فليس هناك ما يسمى بالجنس المصرى أو الإنجليزى أو الجنس العربى .. فالقضية قومية ولا علاقة لها بتاتاً بالجنس .. وكذلك صفة الإنجليزية وصفة العربية ترتبط باللغة ولا ترتبط بالجنس .. فالقاعدة أن يجتمع فى الاقليم الواحد جماعة تنتمى إلى سلالات جنسية متعددة وتربطهم مصالح مشتركة فتتكون من هذه المجموعة قومية لا علاقة لها بالجنس إطلاقاً لأنها كما قلنا تتألف من أجناس عديدة.

وكذلك الحال فى اللغة فإذا نظرنا مثلاً إلى الشعوب التى تتكلم اللغة العربية من آسيا إلى افريقيا نجد أن هذه الشعوب تنتمى أيضاً إلى سلالات جنسية مختلفة.

خلاصة هذه أن الجنس صفات جسمانية لا علاقة لها بالصفات الثقافية .. أما كون هذه الصفات ظاهرة فلأنها صفات اكتسبت من البيئات الخارجية فغيرت من الشكل الخارجى للإنسان بحسب ظروف البيئة الطبيعية .. أما الشكل الداخلى للإنسان فهو واحد فى جميع أفراد النوع البشرى مهما تعددت أجناسه.

أما كون هذه الصفات ثابتة فقد قلنا أن من شروط الصفات الجنسية أنها تثبت بحيث تنقل إلى النسل بالوراثة إذ لا ينتقل إلى الأبناء من صفات الآباء إلا الصفات الثابتة .. أما إذا كانت صفة عرقية كالسمرة التى تطرأ على سكان الأقطار الشمالية الذين يسكنون وسط افريقيا مثلاً أو صفة قصر القامة أو طولها الذى ينشأ عند بعض الأفراد لأسباب مرضية أو لأسباب طارئة .. فإن هذه الصفات لا تعتبر صفات جنسية لأنها لا تنتقل إلى النسل بالوراثة.

إذن نستطيع أن نلخص شروط الصفة الجنسية فيما يلى :

١ - أن تكون صفة جسمانية.

٢ - أن تكون صفة ظاهرة.

٣ - أن تكون ثابتة.

بعد أن عرفنا تعريف الجنس والصفات الجنسية .. نتم هذا الموضوع بمعرفة كيف انقسم النوع البشرى إلى أجناس فعلاً .. أى معرفة أثر البيئات الطبيعية المختلفة فى مجموعات النوع البشرى حتى شكلتها الأشكال الخاصة التى نجدها عليها الآن فى الوقت الحاضر وهى الأشكال التى نسميها الأجناس.

### ١ - لون البشرة :

ننظر أولاً إلى صفة لون البشرة فهى من الصفات التى تسترعى الانتباه من أول نظرة .. فحينما نريد أن نصف إنسان قابلناه فإن أول الصفات التى تتبادر إلى الذهن هى أن نقول أنه أبيض أو أسود .. إلخ .. فكيف اكتسب الإنسان هذه الصفة من البيئة الطبيعية؟

إذا نظرنا إلى توزيع المناطق الحرارية فى العالم لوجدنا أن هذه المناطق تبدأ من الاقليم الاستوائى الحار وتتدرج شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الاقليم البارد عند القطبين.

وإذا نظرنا من الناحية الأخرى إلى توزيع لون البشرة فى العالم لوجدنا أن اللون الأسود يوجد فى الاقليم الاستوائى وما حوله ثم يندرج إلى الأسمر فى الاقليم المعتدل ثم إلى اللون الأبيض فى الاقليم البارد .. ومعنى هذا أن التدرج فى اللون من خط الاستواء إلى القطبين يسير مع التدرج الحرارى .. فلابد من وجود صلة بين هاتين الظاهرتين.

وينبغى أن نلاحظ أن التدرج الحرارى أكثر وضوحاً فى نصف الكرة الشمالى لأن معظمه يابس .. وأن هذا التدرج الحرارى أقل وضوحاً فى نصف الكرة الجنوبى لأن معظمه ماء .. ومن حيث لون البشرة وجد أن التدرج واضح أيضاً فى نصف الكرة الشمالى وأقل وضوحاً فى النصف الجنوبى .. إما لأن التدرج الحرارى ليس فى قوة التدرج فى نصف الكرة الشمالى .. وإما لأن الجهات التى يسكنها الإنسان هى الجهات اليابسة واليابس قليل فى نصف الكرة الجنوبى كما نعلم.

نتساءل بعد هذا عن الصلة بين الحرارة وبين لون البشرة .. فنجد أن لون البشرة صفة وقائية بمعنى أن الجسم يكتسبها لكى يتقى بها أشعة الشمس الشديدة .. ونحن نعلم أن الأشعة العمودية أكثر حرارة من الأشعة المائلة .. وأن الأشعة الاستوائية العمودية توجد فى المنطقة الاستوائية .. وتزداد ميلاً كلما اتجهنا نحو القطبين.

هذه الصفة الوقائية وجدت لأنها تتجمع تحت الجلد أو تحت البشرة حبيبات خاصة تعتبر كغطاء يفصل بين الجو الخارجى وبين داخل الجسم .. فلكى لا تنفذ الأشعة الشديدة الحرارة إلى داخل الجسم لابد أن تكون الحبيبات أكثر .. وكثرتها هى التى تعطيها اللون الغامق.

وهذه الصفة الوقائية وجدت فى المجموعات الأولى التى سكنت الأقطار الحارة ثم ثبتت فى أجسامها بمرور الزمن وانتقلت إلى النسل بالوراثة فإذا ما انتقل الشخص الزنجى فى الوقت الحاضر وعاش فى الأقطار الشمالية فإن لونه لا يتغير لأن الصفة أصبحت صفة جنسية .. ومادمنا قد قلنا صفة جنسية فهى ثابتة.

إذا انتقلنا إلى الأقطار الشمالية .. نجد على العكس من ذلك هذه الطبقة الوقائية غير ضرورية بل هى ضارة لأن الأشعة شديدة الميل والجسم محتاج إلى قدر كبير من هذه الأشعة للتدفئة .. ومعنى هذا أن الجسم يريد أكبر قدر من الأشعة فى أقصر وقت لأن

الأشعة فضلاً عن ضعفها فإن ساعات الضوء فى الأقطار الشمالية قليلة جداً فى نصف السنة الشتوى.

وإذن فمن صالح الجسم فى الأقطار الشمالية ألا تكون فيه هذه الطبقة شديدة الكثافة حتى لا تحرم الجسم من امتصاص الأشعة .. ومن هنا وجد لون البشرة الفاتح .. وانقسم العالم بحسب المناطق الحرارية إلى القسمين الرئيسيين الأبيض والأسود .. ثم هناك درجات من البياض تدخل فيها السمرة .. وكذلك هناك درجات من السواد .. وهذه الدرجات وجدت فى الأصل بحساب كحاجة كل جماعة إلى كثافة معينة من الغطاء الواقى.

وإذن فالسمرة التى يكتسبها الأوروبى فى افريقيا أو السمرة التى يكتسبها المصيفون على الشواطىء .. لا يمكن أن تعتبر صفات جنسية لأنها غير ثابتة فالأوروبى بمجرد أن يعود إلى وطنه يفقد ما اكتسبه من سمرة .. على أن هذا فى حد ذاته دليل على الصلة بين لون البشرة وبين أشعة الشمس.

## ٢ – طول القامة :

من الصفات الواضحة أيضاًصفة طول القامة .. فهى صفة تسترعى الانتباه كذلك .. فكيف اكتسبت الجماعات الأولى هذا الطول أو هذا القصر فى القامة بحيث أصبحت صفة ثابتة تنتقل إلى النسل بالوراثه ولا تتغير مهما غير الإنسان بيئته بعد ذلك؟

إذا نظرنا إلى توزيع طول القامة نجد أن أطول قامة فى الوقت الحاضر هم السماليون فى شمال أوروبا وزنوج أعالى النيل .. ونجد أن أقصر الناس قامة فى الوقت الحاضر هم الأقزام فى الغابات الاستوائية والاسكيمو فى الأسقاع الشمالية .. وإذن فطول القامة لا يرتبط بالمناطق الحرارية وأما هذا الطول أو هذا القصر يرتبط بصفات أخرى فى البيئة الطبيعية غير صفة الحرارة .. وربما كانت أهم الظروف الطبيعية التى تشكل طول القامة أمرين :

( أ ) حالة هذه البيئة.

( ب ) المادة الغذائية.

### ( أ ) حالة هذه البيئة :

هل هى بيئة مكشوفة أو غير مكشوفة .. أى هل الإنسان يعيش فى هذه البيئة فى الهواء الطلق ويمارس حياته واستغلاله للبيئة والبحث عن موارد رزقه فى الخلاء .. أو هو يقضى معظم وقته فى مكان غير مكشوف .. أى يقضى الإنسان جزء كبير من حياته (وقته) فى وضع منكمش .. ؟..

ومن أمثلة المناطق المكشوفة .. مناطق السافانا والاستبس .. أو مناطق الحشائش بصفة عامة .. ومن أمثلة المناطق غير المكشوفة .. الغابات الكثيفة الاستوائية والمناطق الجليدية.

### ( ب ) المادة الغذائية :

هل هى وفيرة فتسبب أطراد النمو أو هى قليلة فتسبب ضعف النمو .. والطول هو فى النهاية نتيجة لازدياد النمو .. فالجماعات البشرية الأولى التى سكنت فى بيئات غنية فى مواردها الغذائية استطالت قامتها .. أما الجماعات التى سكنت فى أقطار فقيرة فى هذه المواد الغذائية فقد قصرت قامتها.

وقد عملت تجارب للتحقق من هذه الصفة فأخذ أفراد من الجماعات القصيرة القامة فى الوقت الحاضر ووضعت لأجيال أو لمدة من الزمن فى مناطق وفيرة المادة الغذائية وزود هؤلاء الأفراد منذ الصغر بالمواد الغذائية الكافية .. فوجد بالمقارنة أن هؤلاء الأفراد ازدادوا فى طول القامة على الأفراد المساويين لهم فى السن والذين مازالوا فى بيئتهم الأصلية.

وليس معنى هذا أن السلالات قصيرة القامة حالياً ستطول قامتها إذا غيرنا من بيئتها .. إنما معناه أن هناك صلة بين شكل القامة وبين المادة الغذائية .. فإن الطول أو القصر أصبح من الصفات الجنسية عند الجماعات الحالية .. بمعنى أنها لن تتغير مهما غيرت الجماعات من بيئاتها.

ولطول القامة ميزة خاصة هى أنه يمكن إخضاعها للقياس وقد اصطلح الباحثون على مقاييس معينة تحدد الأشكال المختلفة للقامة ستعرفها فيما بعد.

وفى الوقت الحاضر يوجد طوال القامة فى شمال غرب أوروبا وفى أعالى النيل بأفريقيا .. ويوجد قصار القامة والأقزام فى الغابات الاستوائية الكثيفة وفى الصحارى سواء كانت صحراء حارة أو صحراء جليدية .. أعنى المناطق المجدبة.

### ٣ - شكل الشعر :

إذا نظرنا إلى الشعر نجد أن الشعر المموج هو الغالب عند الناس .. على أن هذه الأمواج فى الشعر مختلفة .. فهى تزداد عمقاً فى بعض الأحيان .. وتقل عمقاً فى أحيان أخرى .. وفى بعض الأحيان يقل عمق الأمواج إلى درجة كبيرة بحيث يصبح الشعر مستقيماً .. وأحياناً يزداد عمق الأمواج زيادة شديدة حتى يصبح الشعر مجعداً أو مفلفلاً .. وبالتالى يمكن تقسيم الشعر إلى ثلاث مراحل كبرى :

١ - الشعر المستقيم. ٢ - الشعر المموج. ٣ - الشعر المفلفل.

وواضح أن عمق الأمواج فى كل شعرة هو المتحكم فى الشكل العام للشعر فى النهاية.

فما هى الصلة الطبيعية فى البيئة التى أنتجت كل نوع من هذه الأنواع لشكل الشعر ..؟

يظهر أن هناك حساسية خاصة بين الشعر ودرجة الرطوبة أو هناك استجابة خاصة بين شكل الشعر من حيث الامتداد (الاستقامة) أو الانثناء (التموج) وبين الرطوبة الموجودة فى الهواء.

فمنذ الوقت الذى أخذ فيه النوع البشرى ينتشر إلى بيئات العالم المختلفة .. أخذ شكل الشعر عند كل جماعة من هذه الجماعات يتشكل بحسب درجة الرطوبة فى كل اقليم .. فالذين سكنوا جهات شديدة الرطوبة تكون لهم الشعر المفلفل والذين سكنوا جهات متوسطة الرطوبة تكون لهم الشعر المموج والذين سكنوا جهات جافة تكون لهم الشعر المستقيم .. ثم بين هذه الأقسام الثلاثة درجات .. بمعنى أن هناك الشعر المجعد وهو مرحلة وسطى بين المفلفل والمموج .. وهكذا.

هذه الصفات فى شكل الشعر اكتسبها الإنسان فى بيئاته الأولى ثم حدثت الهجرات الحديثة فانتقل الناس من بيئاتهم الأصلية إلى بيئات جديدة ولكنهم ظلوا محتفظين بهذه الصفة لأنها أصبحت صفة جنسية أى صفة ثابتة.

## ٤ - شكل الرأس :

إذا نظرنا إلى رأس الإنسان نجد أنها ذات صفات خاصة من حيث طولها وعرضها .. وطول الرأس هو البعد بين نقطة التقاء عظام الأنف بعظام الحاجبين وبين القذال .. أما عرض الرأس فهو أبعد مسافة فى الرأس بين نقطتين فى أعلى الأذنين .. ويوجد بروزان فى جدار الرأس الجانبين .. وأكبر عرض للرأس يقع بين هذين البروزين .. ومعنى هذا أن رؤوس الناس تختلف فى طولها وفى عرضها .. وقد حاول الباحثون إيجاد مقياس لهذا الاختلاف هو المقياس الذى يطلق عليه اسم النسبة الرأسية.

النسبة الرأسية .. هى عرض الرأس مقسوم على الطول مضروب فى مائة أى أنها فى النهاية نسبة مئوية.

$$\frac{\text{عرض الرأس} \times 100}{\text{طول الرأس}} \quad \text{فمثلاً} \quad \frac{\text{عرض } 25 \times 100}{\text{طول } 35} = \frac{500}{7} = 71.5 \text{ النسبة الرأسية}$$

وقد اصطلح الباحثون على أرقام معينة تحدد الأشكال المختلفة للرأس سنعرفها فيما بعد.

وقد حاول الباحثون أن يجدوا ارتباط بين شكل الرأس والبيئة فلم يستطيعوا .. إنما كل ما وجد أنه فى التوزيع الحالى للسلالات البشرية يرتبط عرض الرأس بالاقاليم الجبلية بمعنى أن كل سكان المناطق الجبلية فى العالم بلا استثناء تقريباً يتصفون بعرض الرأس.

أما لماذا يرتبط عرض الرأس بالاقاليم الجبلية فهو ما لم يستطع أحد تحليله حتى الآن وينبغى أن نلاحظ هنا أنه ليس لشكل الرأس أى علاقة بحجم المخ.

**٥ - شكل الأنف :**

الأنف جهاز يؤدى وظيفة خاصة هى توصيل الهواء إلى الرئتين .. فلابد أن يشكل هذا الجهاز بحسب الطبيعة الهواء الذى ينقله والرئتان تتطلبان صفتين فى الهواء :

١ - أن يكون ذا قدر معين.

٢ - أن يكون ذا درجة حرارة معينة.

الهواء الجوى يتخلخل إذا كان شديد الحرارة وفير الرطوبة .. ومعنى يتخلخل أنه ينتشر فى حيز أكبر .. وإذن فى المناطق الاستوائية مثلاً حيث الهواء فى أشد حالات الخلخلة بسبب شدة الحرارة ووفرة الرطوبة لابد أن يكون الجهاز الذى سيحمل الهواء إلى الرئتين واسعاً لكى يدخل قدر كبير من مساحة الهواء أو حجمه إلى الرئتين لأن هذا القدر الكبير من الحجم هو من الناحية الفعلية ليس كبيراً لأنه كان فى حالة خلخلة شديدة .. وليس هناك خطر من هذا لأنه فى هذه المنطقة الحرارة متوفرة والهواء دفىء لا يؤذى الرئتين.

وأما فى المناطق الباردة فإن برودة الهواء تجعله غير مخلخل أى مضغوط وبذلك ليست هناك حاجة إلى فتحات واسعة فى هذا الجهاز لأن أى قدر يدخل إلى الرئتين سيكون كافياً ثم لهذا صفة أخرى أو ميزة أخرى هى أن الهواء فى دخوله بقدر معلوم ضرورى بسبب برودته .. ومعنى هذا أن شكل الجهاز فى المناطق الحارة .. قصير واسع وفى المناطق الباردة .. طويل ضيق .. فما الأنف إلا جهاز لتكييف الهواء قبل دخوله إلى الرئتين.

وإذن فالارتباط واضح بين شكل الأنف والبيئة الطبيعية .. فمنذ انتشار الأجناس اكتسب الذين سكنوا الجهات الحارة الرطبة أنوفاً قصيرة الجزع واسعة الفتحات .. واكتسب الذين سكنوا المناطق الباردة أنوفاً طويلة الجزع ضيقة الفتحات.

# الفصل الثالث
# قواعد تصنيف الناس إلى أجناس

عرفنا فى الفصل السابق كيف اكتسبت المجموعات البشرية صفات مختلفة من البيئات الطبيعية المختلفة حتى أصبحت كل مجموعة جنساً قائم بذاته .. ومن الحقائق المشاهدة فى الوقت الحاضر أن سكان العالم يختلف بعضهم عن البعض الآخر من عدة وجوه .. فهناك فى أحد طرفى المجموعة البشرية الرجل الأوروبى الذى يمتاز بالبشرة البيضاء المشربة بالحمرة أو المائلة إلى السمرة والعينين الزرقاوين أو البنيتين أو السوداوين والشعر الناعم المموج .. وفى النهاية الأخرى الرجل الزنجى الافريقى الأسود البشرة الأفطس الأنف الغليظ الشفتين الكثير فى تجاعيد الشعر .. وفيما بينهما المغولى الآسيوى المائل لونه إلى الأصفرار ذو الشعر المستقيم الخشن والمرتفع عظمتى الخدين والعينين الضيقتين فتحتهما .

ولكل من هذه المجموعات الثلاثة الكبرى أقسام وفرق وشعب متعددة مما يدل على عظمة الاختلاط الذى حدث بين هذه المجموعات وفروعها بحيث أصبح الجنس النقى بالمعنى العلمى الصحيح لا وجود له على سطح الكرة الأرضية (الجنس كما قلنا فى الفصل السابق هو تلك المجموعة البشرية الكبرى التى يختص أفرادها فى مجموعهم بوجود صفات جسمانية موروثة أى غير مكتسبة حديثاً تميزهم عن المجموعات الأخرى).

فعلماء الأجناس يعتمدون فى التفريق بين جنس وجنس على الصفات الجسمانية التى تنقل من الآباء إلى الأبناء بطريق الوراثة ومن هذه شكل الرأس وطبيعة الشعر وشكل الوجه والأنف وطول القامة ولون البشرة .. لا بل أنهم يخصون بعض هذه الصفات بالعناية دون الصفات الأخرى .. فيعزون مثلاً لشكل الرأس وطبيعة الشعر أهمية تزيد على الأهمية التى يعزونها لطول القامة أو لون البشرة .. وهم فى الوقت نفسه يرفضون عامل الثقافة بشتى مظاهرها أساساً لتقسيماتهم .. ويوردون تعليلاً لهذا الرفض أمثلة عدة نكتفى منها بالآتى :

### ١ - ألمانيـا :

ظهر فيما بين الحربين العظيمتين الأولى والثانية دعماً لنظرية العنصرية .. وغالوا مغالاة كبيرة فى نسبة سكان هذه البلاد إلى جنس واحد هو الجنس الارى الذى ألبسوه من الصفات ما رفعه عن غيره من السلالات البشرية كلها .. غير أن البحث العلمى .. لا بل مجرد المشاهدة يدل من غير أدنى شك على أن ألمانيا لم تكن فى يوم من الأيام مكونة من جنس واحد .. فقسمها الشمالى والغربى مكون من ولايات شلزويج وهلشتين وهنوفر سكانه يشبهون فى صفاتهم الجسمانية سكان شبه جزيرة اسكندناوه .. الجنس النوردى .. وفيما إلى الشرق من نهر اودر تضعف الصفات النوردية .. إذ تقصر القامة وتستدير الرؤوس بتأثير الجماعات السلافية .. وهم من الجنس الالبى .. وفيما بين هذين تظهر مجموعة كبيرة يبدو فيها الاختلاط واضحاً .. ومع ذلك فألمانيا تكون وحدة سياسية متجانسة ذات لغة واحدة وتقاليد موروثة واحدة.

### ٢ - الجزائر البريطانية :

نلاحظ أيضاً اختلافاً كبيراً بين أجناس السكان فهناك النورديون ويكونون غالبية السكان ثم سكان البحر المتوسط .. وهم أكثر ظهوراً فى السواحل الغربية وخاصة فى ويلز وأيرلندا .. ورغم اتحاد هذين الأخرين من الناحية الجنسية فهما يختلفان من الناحية اللغوية اختلافاً واضحاً فسكان ويلز يتكلمون اللغة الجالية وسكان أيرلندا يتكلمون لغة كلتية .. لا بل ولاية اليستر الواقعة فى النهاية الشمالية الشرقية لأيرلندا نفسها تختلف فى ثقافتها عن بقية أجزاء الجزيرة مما كان له أكبر الأثر فى تاريخ البلاد السياسى.

### ٣ - البلاد العربية :

وهى وإن اتحدت فى اللغة وغيرها من مظاهر الثقافة كالدين والتقاليد .. فأننا نشاهد اختلافاً ظاهراً فى عناصر سكانها .. فالجهة الشمالية تأثرت إلى حد كبير بالمجموعة الارمينية ذات الرأس المبطط القذال .. والأنف المحدب المرتفع والقامة الطويلة .. على حين أن المجموعة الجنوبية والجنوبية الغربية تأثرت إلى درجة كبيرة بالحاميين الذين تشتد فيهم سمرة البشرة وكثرة تموجات الشعر .. وتغلظ فيهم الشفاة .. وفيما بين هؤلاء وهؤلاء يوجد تلك المجموعة التى تطلق عليها اسم سكان البحر المتوسط .. ويمتازون باستطالة الرأس وضيق الأنف وسمرة البشرة.

لهذا كان من الضرورى عند الكلام على المجموعات الجنسية أن نتجنب استعمال المصطلحات الثقافية .. فمن الأخطاء أن نتكلم عن الجنس الإنجليزى والعربى أو الارى أو الفرنسى أو غير ذلك مما درج عليه بعض الكتاب .. فهذه كلها يجب قصرها على ما وضعت لها .. أى أنها تعبر عن السلالات التى تتكلم اللغة المشار إليها .. غير أنه يجب ألا يفهم من هذا أننا ننكر أهمية اللغة كعامل من عوامل اختلاط السلالات الجنسية ببعضها.. لأن وجود اللغة قد تكون عاملاً له أثره فى اختيار الأزواج .. ولكن فى الوقت نفسه قد تفرض اللغة فرضاً على مجموعة من السكان كما هو مشاهد الآن فى بعض جهات من افريقيا وأمريكا .. فسكان جزيرة مدغشقر يتكلمون اللغة الفرنسية .. وزنوج أمريكا الشمالية لا يعرفون غير الإنجليزية .. لا بل أننا عند دراستنا لسكان الجزيرة العربية نفرق بين الساميين والحاميين رغم ما بينهم من قرابة جنسية .. وكما أن وحدة اللغة لا يمكن أن تتخذ أساساً لتقسيم العالم إلى مجموعات جنسية بالمعنى العلمى الصحيح.. كذلك يجب ألا نقيم وزناً للوحدة السياسية لأنها قد تتنافر مع الوحدة الجنسية.. ففى فرنسا مثلاً استقرت الأجناس الثلاثة الرئيسية التي يتكون منها سكان القارة الأوروبية .. النورديون فى الشمال والالبيون فى الوسط والشرق وجنس البحر الأبيض فى الجنوب .. ومع ذلك فإنه لن تجد قوماً أعظم وطنية من الفرنسيين .. والولايات المتحدة بحكم تكوينها الجنسى تكاد تكون متحفاً بشرياً لجميع الأجناس البشرية.. ورغم هذا فهى وحدة سياسية نجحت إلى حد كبير فى صهر هذه العناصر المتباينة صهراً تاماً .. كذلك وحدة الدين لا يمكن اعتبارها أساساً لتمييز جنس عن جنس ففى البلاد العربية مثلاً يصعب التمييز بين المسلم وغير المسلم .. حتى اليهود أنفسهم الذين يميل بعض الكتاب إلى اعتبارهم أكثر الأجناس تجانساً من غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى يختلفون من قطر إلى آخر اختلافاً كبيراً ..

نخلص مما تقدم إلى أنه عند تمييز الأجناس البشرية بعضها عن بعض آخر يجب ألا نعتمد إلا على الفوارق الطبيعية التى تنتقل من الوالدين إلى الولد بطريق الوراثة .. وهذه على نوعين :

أولاً : عوامل واضحة تسترعى النظر.

ثانياً : عوامل لا تتضح بمجرد النظر.

## أولاً : عوامل واضحة تسترعى النظر :

ومثال ذلك لون البشرة وطبيعة الشعر وشكل الأنف وطول القامة .. وما إليها من العوامل التى يمكن مشاهدتها بمجرد التأمل فى صاحبها مما استطاع الإنسان تدوينها والإشارة إليها منذ أقدم العصور .. فالمصريون القدماء كانوا يفرقون فى رسومهم التى زينوا بها مقابر الأسرة الثانية عشرة بين أربعة أجناس متباينة فصبغوا المصريين باللون الأحمر والآسيويين باللون الأصفر والافريقيين سكان الجنوب باللون الأسود .. أما النازلون إلى الشمال والغرب فخصوهم باللون الأبيض.

## ثانياً : عوامل لا تتضح بمجرد النظر :

وهذه لا يمكن تدوينها على وجه الدقة إلا بالقياس ومثلها النسبة الرأسية والنسبة الأنفية ومجموعة الدم.

والعلم على وضعه الحديث لا يعرف على وجه التحقيق طريقة انتقال هذه الصفات من الأب إلى الإبن أو من جيل إلى الذى يليه .. وإنما نستطيع بتطبيق النتائج التى وصلنا إليها إلى (تهجين الحيوان والنبات) القول أن الصفات تورث على طريقة ما يسمى (جين) (genis) وهى ميكروبات ثانوية تظهر عادة مزدوجة فى الخلايا كل منها تستمد من أحد الأبوين ويبدوا أن كل صفة من الصفات التى ذكرناها كشكل الشعر أو الأنف .. لا تنشأ عن ميكروب (جين) واحد وإنما عن اتحاد عدد كبير منها .. وهذا مما يزيد المسألة تعقيداً .. هذا إلى جانب توريث الصفة الأخرى .. فقد يورث الطفل مثلاً شكل الشعر ولكنه لا يورث شكل الأنف وهكذا ..

وقد حاولنا فى الفصل السابق أن نبين كيف اكتسب الإنسان من البيئة الطبيعية صفاته التى أدت إلى انقسامه إلى أجناس .. وسنحاول فى هذا الفصل تفصيل الكلام عن الصفات التى يقسم بحسبها النوع البشرى إلى أجناس (لون البشرة ـ طول القامة ـ الشعر وتركيبته ـ شكل الرأس).

### ١ - لون البشرة :

وهو كما قلنا أظهر العوامل كلها لأنه أول ما يسترعى نظر الإنسان ولهذا عمد إليه الأولون فى تقسيم المجموعات البشرية إلى أجناس متميزة غير أن قيمته العلمية فى نظر

بعض الكتاب قليلة للغاية .. وذلك لاندماج الألوان بعضها فى بعض بحيث يصعب رسم حدود فاصلة بين الواحد والآخر.

وعلى الرغم من طول عهدنا بمعرفة هذا الفارق الطبيعى فكنة هذه المادة مايزال مجهولاً ولا نعرف عنها سوى أنها خلايا توجد بأسفل الطبقة الجلدية السطحية وكان المظنون أن هذه المادة قد اختص بها الجنس الأسود دون الأبيض .. لكن ثبت الآن وجودها فى سائر الأجناس بدرجات تتدرج فى القلة من الجنس الأسود القاتم إلى الجنس الأبيض الفاتح فى شمال غرب أوروبا.

وقد عرفنا أن لون البشرة يكون شديد الاسمرار ويميل إلى السواد فى الجهات القريبة من خط الاستواء .. ثم يأخذ فى التدرج فى البياض كلما اتجهنا شمالاً .. كذلك ثبت الآن أن كثرة المادة أو قلتها ضرورية لحماية الجسم من أنواع خاصة من أشعة الشمس Actitic Rays وكذلك حمايته من البرودة .. وعلى هذا الأساس حاول بعض العلماء إيجاد علاقة بين مختلف ألوان البشرة ومختلف عوامل الطبيعة التى يعيش فيها أصحاب كل لون من هذه الألوان .. وقد حاول البعض أن يشكك فى العلاقة بين لون البشرة والظروف الطبيعية.. فقال أنه توجد جماعات ذات ألوان طبيعية متباينة تنزل فى بيئات متشابهة المناخ .. فبيئة زنوج الكونغو الذين يشتهرون بشدة سواد لون بشرتهم لا تختلف عن بيئة جماعة Punan صفر الوجوه الذين يقطنون جزيرة بورنيو .. ولا بيئة سكان غابات الامازون ذوى البشرة السمراء المشربة بالاحمرار (لون القرفة) .. كما نلاحظ كذلك أن ظروف الحياة فى كل من جزائر فيجى وساموبا متشابهة من وجوه كثيرة .. ومع ذلك فإن سكان الجزيرة الأولى سمر يميلون إلى السواد وسكان الثانية يميلون إلى صفار اللون.

فلو أن سواد لون الزنوج كان نتيجة مباشرة لظروف البيئة .. فما هى الأسباب التى حالت دون اكتساب غيرهم ممن يقطنون الجهات المماثلة نفس الصفات .. جواب هذا .. أن عامل الوقت هو السبب فى ذلك .. أى أن البونان وسكان غابات الأمازون لم يمض على وجودهم فى بيئتهم الحالية الوقت الكافى حتى يصبحوا ذوى بشرة سوداء كأخوانهم فى غابات الكونجو .. كذلك يتساءل البعض عن سبب سواد بشرة واتساع أنوف التسمانيين .. مع أن البلاد التى كانوا يعيشون فيها معتدلة المناخ طيبة الهواء .. وجواب هذا أن التسمانيين ومثلهم فى ذلك سكان أستراليا الأصليون اكتسبوا هاتين الصفتين خارج بلادهم وجاءوا بها إلى موطنهم الحالى فكان فقدانهم لها أمراً مستحيلاً لأن من القواعد

الحيوية أن الصفات إذا سارت فى اتجاه معين فإنها لا تغير هذا الاتجاه إذا غير الكائن الحى بيئته بعد ذلك.

ويرى بعض الباحثون أن الإنسان اكتسب المادة الملونة فى مواطن مختلفة وأن لا علاقة بينها وبين ظروف البيئة .. لكن لما كان الأفراد غزيروا المادة الملونة أكثر احتمالاً لظروف المناخ المدارى .. فقد أمكنهم مقاومته على حين انقرض غيرهم ممن كانت المادة الملونة لديهم قليلة .. ثم تكاثروا بعامل الانتخاب الجنس وتزايدت المادة الملونة فيهم .. وحدث عكس هذا تماماً فى الجهات المعتدلة فالأكثر منها اعتدالاً .. أى قلة المادة الملونة ليتهيأ للقوم مواجهة البرودة.

ويذهب جماعة آخرون فى تعليل كثرة المادة الملونة أو قلتها إلى عظم اشتداد الضوء أو ضعفه بدليل انتشار الجماعات السوداء والسمراء فى المناطق الصحراوية والقطبية ولكن هذا يتعارض مع :

١ - وجود أشد الأجناس سواداً فى منطقة تمتد إلى الجنوب من اقليم الصحراء الكبرى فى افريقيا.

٢ - عدم اقتصار المادة الملونة على الأجزاء المكشوفة من الجسم فتتعداها إلى الأقسام التى تظل مغطاة.

وهادون Haddon عند اتخاذه هذا العامل أساساً لتقسيم المجموعات البشرية إلى أجناس يميز ثلاثة أقسام كبرى فهناك :

١ - الأجناس ذات البشرة البيضاء Leucoderms ويندرج لونهم من البشرة البيضاء المشربة بالحمرة فى الشمال إلى الأبيض المشرب بالسمرة (البنى) فى الجنوب .. وتضم هذه المجموعة جميع الأوروبيين وسكان غرب آسيا وشمال أفريقيا وسكان مجموعة جزائر بولونيزيا .. أما السمر وهم شعب من الجنس الأبيض فيندرجون من الأسمر الفاتح كالحاميين إلى الأسمر المشرب بحمرة كالهنود الحمر .. فالأسمر المائل للسواد كالدرافيديين فى بلاد الهند.

٢ - الأجناس ذات البشرة الصفراء Xanthoderms ويندرجون من الأصفر الفاتح إلى الأصفر القاتم القريب من البنى .. فيما يشمل هذا القسم جميع مغول آسيا ومساحات أخرى فى مختلف القارات كبعض الهنود الحمر والاسكيمو فى أمريكا الشمالية والألب فى شمال أوروبا والهوتنتوت فى جنوب أفريقيا.

٣ - الأجناس ذات البشرة السوداء Melanaderms ويندرجون من البنى القاتم ـ لون الشيكولاتة ـ إلى الأسود .. ويدخل فى ذلك زنوج أفريقيا والمجموعات التى سوف نطلق عليها اسم Negraids أشباه الزنوج والـ Rapuars فى غانا الجديدة وسكان جزائر ميلانيزيا وسكان بلاد الهند الأصليون الذين كانوا يقطنون هذه البلاد قبل مجئ الدرافيديين إليها Pre Dravidians والاستراليون الأصليون .. ويقول هادون وغيره من العلماء أن اللون الأسود النقى .. لا وجود له.

وهذا .. ويتصل بدرجة تلوين البشرة والشعر لون العينين وإن كانت هذه القاعدة غير مطردة .. أن يحدث أن نجد شقر الوجوه ذوى عيون قاتمة .. كما نشاهد أحياناً ذوى البشرة القمحية ولهم عيون رمادية اللون .. ومن أمثلة النوع الأخير .. سكان جزيرة مالطا إذ تنطبق هذه القاعدة الأخيرة على مجموعات منهم .. والمادة الملونة فى العين لها نفس المفعول الذى فى لون البشرة أى أن الغرض منها حماية العين من أنواع خاصة من الأشعة الضوئية .. لهذا كانت عيون الأوروبيون والأسيويين ذوى البشرة الشقراء أكثر تعرضاً لضرر الأشعة فوق البنسفجية فى الأقطار المدارية ودون المدارية.

## ٢ - طول القامة :

يمكن تقسيم المجموعة البشرية من حيث طول القامة إلى الفئات التالية :

١ - الأقـــــزام Pygnsy وهم الذين يقل طولهم عن ١٤٨ سم.

٢ - قصيـــر القامة Short يكون طولهم فيما بين ١٤٨ - ١٥٨ سم.

٣ - متوسطو القامة Mediem يكون طولهم فيما بين ١٥٨ - ١٦٨ سم.

٤ - طـــوال القامة Tall يكون طولهم فيما بين ١٦٨ - ١٧٢ سم.

٥ - العمالقـــــة Very tall وهم من زادت قامتهم عن ١٧٢ سم.

وعدد الأقزام قليل جداً وأن الغالبية العظمى من سكان العالم يزيد طولهم عن ١٥٨سم.. وينزل الأقزام الحقيقيون الآن (وهم الذين يقل طولهم عن ١٤٨سم) فى أربع بقاع منعزلة .. فى جنوب غرب أفريقيا حيث توجد جماعة Bushmen وفى جزيرة غينيا الجديدة ـ قبائل Bapuans وفى أفريقيا فى جهات متفرقة من حوض الكونجو وأجزاء صغيرة من أوغندا فيما جاور بحر الغزال وغيرها .. ويطلق عليها جميعاً اسم Negrillos أى الزنوج الصغار .. وأخيراً فى جهات منعزلة من شبه جزيرة الملايو.

ويقابل هذه المناطق الأربع من الناحية الأخرى جهات امتاز سكانها بطول قامتهم منها شمال غربى أوروبا (السلالات التيتوية جملة) وسكان الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك فى ولاية دلماشيا وولايتى البوسنة والجبل الأسود من يوغسلافيا والسكان الأصليون للسهول الوسطى فى أمريكا الشمالية وبعض القبائل النازلة فى أعالى النيل - الدمكا والشلوك - وأخيراً الباجونيون وهم النازلون فى النهاية الجنوبية لأمريكا الجنوبية وفى جزيرة تيرادل فويجو.

فأما عن تأثير البيئة فقد شوهد أن أقصر الأجناس قامة هم أولئك الذين ينزلون فى مناطق الجدب والحرمان حيث يتعذر الحصول على الكفافة من العيش كما هو الحال فى صحراء كالهارى حيث ينزل البوشمن فأنهم أقصر قامة من جيرانهم جماعة Hottentot النازلين إلى الشرق حيث تزايد كمية الأمطار فينموا العشب ويربون بعض الماشية فيصبحون ولهم مورد ثابت للعيش .. والاثنان من جنس واحد - وإلى نفس هذا العامل ينسب الفرق بين طول قامة سكان سهول الميسيسبى - وهم السكان الأصليون - الخصيبة الوفيرة العيش وقصر قامة سكان المناطق الجنوبية فى أوروبا بالنسبة لسكان السهول والوديان القائمة على حدودها كما هو الحال فى جبال الابنين فى إيطاليا والفوج والغابة السوداء على جانبى وادى الراين .. أما ما نشاهده فى بعض المناطق الجبلية من طول قامة ساكنيها وشدة بأسهم فمرجعه إلى أن هذه الجماعات تحتل الجهات شاهقة الارتفاع مدفوعين بعامل الإلتجاء أو الدفاع عن النفس حيث يعيشون مستقلين عن جيرانهم أو يأبون الخضوع لمن اغتصب بلادهم .. ولا تظهر هذه الروح إلا فى الفئات القوية شديدة البأس والمرأس .. أما الضعفاء فيخضعون للغزاه والفاتحين فيمتصونهم .. ومن أمثلة هذه الفئة سكان السافوى والتيرول وجبال كوردستان وغيرها.

كذلك يظهر أثر البيئة داخل حدود القطر الواحد بسبب ما ينشأ بين أجزائه من اختلاف فى التربة وما يترتب على ذلك من تفاوت فى درجة الإنتاج .. ومن أحسن الأمثلة على ذلك ما هو حادث فى مقاطعة ليموزين المتقدم ذكرها فهناك يلاحظ أن متوسط طول قامة الرجل خمس أقدام وثلاث بوصات لا بل ١٠٪ من مجموع السكان ينقصون عن خمسة أقدام ويقل المتوسط للنساءبوصتين أو ثلاثة عن هذا المعدل .. ومثل هذا الاختلاف عن بقية سكان البلاد لا يمكن نسبته إلى فوارق جنسية وإنما يعلل بسوء الأحوال الاقتصادية جملة .. بدليل أن الأطفال الذين يولدون فى هذه المنطقة إذا نقلوا إلى جهات

أخرى ارتفعت قامتهم إلى المتوسط العام للبلاد على حين أن الأطفال الذين يولدون فى بقاع أخرى إذا نقلوا إلى ليموزين يشبون ذوى قامات قصيرة.

أما عامل الاختيار فمن مظاهره المشاهدة (نظام التجنيد) الحديث وما ينشأ عن الحروب الطويلة المدى من نتائج اجتماعية .. ذلك أن اختيار المجندين من بين الأشداء طوال القامة ورفض القصار والضعفاء يؤخر زواج الأولين ويبكره عند الأخريين .. ولما كان أكثر الأطفال يولدون عادة فى سن الزواج الأولى كان معنى ذلك زيادة الأطفال المولودين من آباء دون المتوسط .. هذا إلى أن الحروب تودى بعدد كبير من خيرة أبناء البلاد وأطولهم قامة .. وقد عملت إحصاءات كثيرة منذ الحرب الأولى الفرنسية إلى الآن أثبتت كلها هذه الحقيقة بجلاء.

كذلك يظهر أثر الاختيار فى نوع الحرفة التى يمارسها الإنسان .. فقد ثبت من بحث حوالى ٢٠٠,٠٠٠ من المجندين السويسريين أن أكثر من نصف أصحاب المهن الحرة ورجال الدين وطلبة الجامعات يزيد طول قامتهم على ١٧٠سم .. أى أنهم فى عداد طوال القامة.. على حين لا يصل إلى هذا الطول سوى ٦٠٪ فقط من جماعات الخياطين وصانعى الأحذية والنساجين وصانعى السلاسل وغيرهم من العمال الذين يزاولون عملهم فى الحوانيت وداخل المصانع .. غير أننا لا نستطيع أن نحدد على وجه التدقيق ما إذا كانت الحرفة هى التى تؤثر فى طول القامة .. أم أن الإنسان عند اختياره لنوع العمل يراعى ظروف بيئته ومدى ملائمته لهذا العمل أو ذاك .. إذ أنه من غير المعقول أن يختار أصحاب الأجسام الضعيفة القصيرو القامة حرفة حمل الاثقال أو طرق الحديد .. كما أن إطفاء الحرائق وأعمال الشرطة لا يختار لها إلا من توافرت فيه شرائط جسمانية خاصة .. ولكن مما لا جدال فيه أن الحرف التى تتطلب الجلوس والتى يزاولها أصحابها فى الأماكن الداخلية تؤثر إلى حد كبير فى درجة نمو الجسم .. وإلى هذا يعزوا بعض الكتاب سبب قصر قامة اليهود بصفة عامة وذلك لأنهم يزاولون الحرف الجلوسية .. وقد فطنت الحكومات إلى تأثير هذا العامل فى صحة أبنائها فسنت الكثير من القوانين المنظمة للعمل والعمال.

### ٣ - الشعر وتركيبه :

هناك أنواع كثيرة للشعر المستقيم Straight وهو الشعر الخشن المنسدل الخالى من كل أثر للتموج .. والشعر المتموج Wavy وتكون تموجاته أكبر وأعمق ثم الكثير التجاعيد

Frizzy وتقرب فيه التموجات من بعضها البعض حتى تصبح قصيرة ولكنه لايزال يحتفظ بنعومته .. ثم أخيراً الشعر الذى يشبه حبات الفلفل Pepper Corns وفيه تلتوى كل شعرة حول نفسها مكونة دائرة كاملة يبلغ قطرها ١ سم تقريباً .. وقد درج العلماء على جمع أنواع الشعر فى مجموعات ثلاثة :

١ – مجموعة الشعور المستقيمة Lieotrichy.

٢ – مجموعة الشعور المتموجة Cynotrichy.

٣ – مجموعة الشعور الصوفية Ultrorichy.

واضح من هذا التقسيم أن المجموعتين الأولى والأخيرة تكونان الطرفين والمجموعة الثانية متوسطة بينهما .. ويذهب كيبلى Kiply إلى القول بأن الشعر المتموج نشأ عن اختلاط أصحاب الشعور المستقيمة والشعور الصوفية ببعضهم.

والاختلاف بين نوع وآخر مرجعه الفرق بينهما فى مقطعة المستعرض .. فالشعر الصوفى يكون على قطاع ناقص .. أما الشعر المستقيم فيكون مقطعه مستدير اسطوانى الشكل .. والشعر المتموج وسط بين الاثنين .. وهناك درجات لهذا التوسط فمنه ما هو قريب من القطاع الناقص ومنه ما يقرب من الشكل الاسطوانى وهذا بدوره يعين طبيعة الشعر .. ولا يختلف شكل القطاع مهما اختلف لون الشعر أو درجة نعومته.

وإذاً نحن تأملنا خريطة هذا التوزيع على سطح الكرة الأرضية فأول ما نلاحظه التجانس العظيم بين جميع السكان الأصليين للأمريكتين .. فكلهم مستقيموا الشعر .. ومثلهم فى ذلك ـ إلى حد كبير ـ جميع سكان آسيا ما عدا بلاد الهند والبلاد العربية وهضبة إيران فإن سكانها من أصحاب الشعر المتموج ولكنه تموج عميق مما يدل على أنهم اختلطوا إلى درجة ما بالزنوج من سكان الهند الأصليين أو سكان شرق أفريقيا وهم من هذه الناحية يشبهون شمال أفريقيا إلى جنوب خط الزنوج فشعرهم من النوع الصوفى ويشبههم فى ذلك تماماً سكان ميلانيزيا وخاصة البابوان فى غينيا الجديدة ويقول كين Keane أن كلمة Papuan مشتقة من لفظتين ميلانيزيتين معناهما الشعر الكثير التجعيد Frizz Hair أو على العكس من هذا تماماً نجد أن سكان بولونيزيا والاستراليون الأصليون من أصحاب الشعر المتموج .. وهم فى هذا يختلفون تماماً الاختلاف عن سكان تسمانيا الأصليون ذوى الشعر الصوفى مع أنه لا يفصلهم عن استراليا سوى مضيق باس Bass بقى بعد ذلك سكان القارة الأوروبية وهم رغم انتمائهم إلى أجناس ثلاثة كلهم ذو شعر متموج..

وقد حمل هذا التجانس ريبلى Ripliy على التساؤل عما إذا كان سكان القارة الأوروبية هم نتيجة لاختلاط الجنس المغولى ذو الشعر المستقيم والجنس الزنجى ذو الشعر كثير التجاعيد فيشبهون بذلك سكان بولونيزيا واستراليا .. ولكن يتعارض مع هذا الفرض وجود نسب مختلفة للرؤوس تنزل كلها فى هذه القارة الصغيرة - أوروبا - ويحتل كل منها بقعة معينة منها.

هذا ويحاول بعض العلماء إيجاد علاقة بين تركيب الشعر وظروف البيئة .. فتزعم قلة منهم أن الشعر المفلفل ذا القطاع المستطيل والشكل الحلزونى هو نتيجة الاستقرار الطويل فى المناخ الحار الرطب .. إذ أن مثل هذا المناخ يسبب ارتخاء فى عضلات الجمجمة فينموا الشعر متراخياً ويلتف على نفسه ليأخذ الشكل الحلزونى بعكس الجهات ذات المناخ الجاف فإن ظروفها المناخية تسبب ضمور هذه العضلات فينموا الشعر رأسياً ومستديراً قطاعه ويأخذ الشكل المستقيم.

## ٤ - شكل الرأس Head Form :

وهو فى نظر بعض العلماء أهم العوامل كلها فى تمييز جنس عن جنس ذلك لأنه أبعدها كلها عن التأثر بالبيئة .. وثمة فئة أخرى ترى أن قيمة هذا العامل تنحصر فى تقسيم الأجناس الكبرى إلى سلالات ثانوية .. وحجتهم فى ذلك أن الجنس القوقازى وهو أحد الأجناس الثلاثة الكبرى فيه طويل الرأس وعريضها ومتوسطها .. وكذلك الهنود الحمر وهم جنس قائم بذاته يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً فى شكل الرأس.




ووحدة القياس هى ما يعبر عنه بالنسبة الرأسية Cephalicindex بالنسبة للأحياء أو النسبة الجمجمية Cranidlindex بالنسبة للأموات .. وهذه تقل عادة وحدتين عن النسبة الرأسية.

والنسبة الرأسية عبارة عن النسبة بين أقصى عرض للرأس وأقصى طول معبراً عنها بالنسبة المئوية .. ومعنى ذلك أنه كلما استطالت الرأس صغرت هذه النسبة وتكبر إذا استدارت .. وتقسم الرؤوس إلى مجموعات كبرى ثلاث هى :

١ - الرؤوس العريضة Brachy Cephalic وفيها تزيد النسبة عن ٨٠.

٢ - الرؤوس المتوسطة Meso - Cephalic وفيها تتراوح النسبة بين ٨٥ - ٨٠.

٣ - الرؤوس المستطيلة Dobeho - Cephalic وفيها تقل النسبة عن ٧٥.

ويرى الأستاذ فلورى Fliere أن هذه الأرقام فى حاجة إلى تعديل نتيجة للأبحاث والخبرات الحديثة فى علم الأجناس وهو يقترح الآتى :

الرؤوس المستطيلة وتكون النسبة الجمجمية فيها ٧٢٪ أو أقل ويعادل ٥ , ٧٣٪ للأحياء.

الرؤوس المستطيلة نوعاً وتكون النسبة الجمجمية فيها ٧٢ - ٧٥٪ وتعادل٥ , ٧٣ - ٥ , ٧٨٪ للأحياء.

الرؤوس العريضة نوعاً وتكون النسبة الجمجمية بها ٥ , ٧٧ - ٥ , ٨٠٪ وتعادل ٥ , ٧٨ - ٥ , ٨١٪ للأحياء.

الرؤوس العريضة نوعاً .. وهى ما زاد عن ذلك.

وقد دلت الأبحاث الأركيولوجية على أن الرأس البشرى يسير تدريجياً نحو العرض .. ويقول الأستاذ فلير فى هذه الظاهرة (لدينا من الأدلة ما يحملنا على الاعتقاد بأن نسبة كبيرة من الجماعات التى مارست الزراعة وأقامت بمدن كانت ذات رؤوس طويلة ٧٣ - ٧٨ ومن الراجح أن هذه الاستطالة كانت نتيجة الاستقرار والسكن فى منازل ثابتة .. حيث تعلمت طهو الطعام وحيث كانت تقدم ألياف الحيوان لأطفالها .. وكلها عوامل تساعد على تأخير تصلب الجمجمة واشتداد عظامها ومن ثم لم تكن هناك حاجة إلى اشتداد العضلات التى تربط الفكين بجانبى الجمجمة مما هو ضرورى عند الجماعات التى تعيش على تقطيع اللحم النيىء ومضغه.

غير أن هذا التعليل قد يتعارض إلى درجة كبيرة مع ما هو مشاهد من عراض الرأس فى أوروبا وغيرها من البلاد التى قطعت شوطاً بعيداً فى الاستقرار ومع ما هو ملحوظ من طول رؤوس الجماعات التى تعيش على أكل اللحم النيىء فى بعض جهات أفريقية.

وهناك تجانس بين شكل الرأس وشكل الوجه .. فأصحاب الرؤوس العريضة وجوههم مستديرة على حين يطول الوجه عند أصحاب الرؤوس الطويلة .. غير أن هذه القاعدة ليست مطردة .. فقد تكون استدارة الوجه نتيجة لبروز الخدين كما هو الحال عند سكان تايلاند فهم من أطول الأجناس البشرية رؤوساً .. ومثلهم فى ذلك ـ وإن كان بدرجة أقل ـ

اسكيمو جزيرة جرين لاند فهم مستديروا الوجوه رغم استطالة رؤوسهم .. وعلى العكس من هذا جماعات الباسك فى شمال اسبانيا وجوههم طويلة ورؤوسهم عريضة .. لكن هذه الاستثناءات قليلة جداً ولا تؤثر فى القاعدة العامة.

ويجب أن نشير هنا إلى أنه لا علاقة مطلقاً بين شكل الرأس أو السعة المخية ودرجة ذكاء أو القوة الفكرية .. وليس أدل على ذلك من وجود الجنسين الطويل والعريض الرأس جنباً إلى جنب فى قارة أوروبا كما نرى أيضاً أحط الأجناس البشرية ومنهم طويل الرأس ومنهم عريضها.

ويرى المتأمل فى خريطة توزيع النسبة الرأسية الأهمية الكبرى التى لخط الجبال الالتوائية الحديثة بقارة أوراسيا فى هذا الشأن .. فهو يفصل بين الرؤوس العريضة فى الشمال والرؤوس الطويلة فى الجنوب وذلك باستثناء شمال غرب أوروبا حيث ينزل النورديون ذوو الرؤوس الطويلة .. أما سكان جنوب أوروبا وكل أفريقيا والهند وجنوب غرب آسيا وأستراليا فكلهم من ذوى الرؤوس الطويلة .. ويبدو أن عظم ارتفاع جبال الهيمالايا وصعوبة اجتيازها كان عاملاً أساسياً فى فصل الأجناس النازلة فى شمالها عن تلك التى فى جنوبها .. بدليل أننا إذا وصلنا إلى شرق آسيا حيث يسهل الاتصال بين قسمى القارة نجد أن الفارق الجنسى بين الشماليين والجنوبيين يتدرج من الواحد إلى الآخر وليس فجائياً كما فى القسم الأوسط فالصينيون واليابانيون نسبتهم الرأسية متوسطة .. ولكن هذه النسبة تعود ثانية إلى الارتفاع فى شبه جزيرة الملايو .. ويستدل من وجود بعض السلالات الزنجية ذات الرؤوس الطويلة فى هذه البلاد على أن الجنس المغولى الحالى صاحب الرؤوس العريضة جاءها من الشمال وحل محل سكانها الأصليين .. هذا وتغلب الرؤوس الطويلة فى مجموعة ملانيزيا وتسمانيا وغيرها من الجزائر العديدة القريبة منها.

ولما كانت أوروبا تشبه جزيرة لانشيا فإننا نشاهد امتداد الرؤوس العريضة على طول خط المرتفعات الوسطى حتى ساحل المحيط الأطلسى فى فرنسا وعلى طول السهل الأوسط حتى قبيل ساحل بحر البلطيق فاصلة بذلك بين القسم الشمالى الغربى بما فيه سواحل بحر البلطيق وبين اقليم البحر المتوسط .. وهما منطقتا الرؤوس الطويلة .. ويستثنى من هذا الاقليم الأخير بلدان البلقان المطلة على ساحل بحر ادرياتيك الشرقى .. ويلاحظ هنا أن زحف الجنوبيين على طول الساحل الغربى لأوروبا كان عكس ما حدث فى شرق آسيا حيث كانت الغلبة للشماليين زحفوا جنوباً واحتلوا جنوب شرق آسيا .. ولاتزال

آثار سكان البحر المتوسط ظاهرة فى غرب الجزائر البريطانية وفى أيرلندا .. لا بل لها الغلبة فى بعض هذه الجهات.

والأمريكتين من هذه الناحية أكثر تجانساً من الدنيا القديمة لأننا إذا استثنينا الاسكيمو وسكان البرازيل الأصليين نجد استدارة الرأس هى الصفة الغالبة فى هذه القارة الكبيرة وقد قدروا أن ٩/١٠ من السكان الأصليين تتراوح النسبة الرأسية لهم ما بين ٨٩ - ٨٣ وتبلغ هذه النسبة أعلاها على طول السلسلة الجبلية الغربية وإن كانت لا تصل هنا إلى ما تصل إليه فى مناطق الدنيا القديمة .. أما أقلها فتكون فى جنوب شرق البرازيل حيث تصل إلى ٧٦ .. فسكان الأمريكتين من هذه الناحية وسط بين سكان العالم ومثلهم فى ذلك سكان جزائر المحيط الهادى.

# الفصل الرابع
# المجموعات الجنسية الكبرى

دلت المكتشفات على أن الإنسان الحديث ينقسم إلى أجناس رئيسية منذ العصر الحجرى القديم الأعلى .. فقد أمكن التعرف على أربعة أجناس كبرى فى هذا العصر .. كرومانيون ـ كوم كابل ـ شانسكيد ـ جريمالدى.

أما كرومانيون ـ وكوم كابل .. فينسبان إلى ما نسميه فى الوقت الحاضر بالجنس الأبيض أو الجنس القوقازى .. ففيما يختص بكرومانوين كان طويل القامة وطويل الرأس ودقيق التقاطيع ليس فيه من الصفات الشاذة إلا ما نسميه صفة عدم التناسب أو صفة عدم التناسق Disharmonism لأنه كان يجمع بين الرأس الطويلة والوجه العريض المألوف فى الشكل البشرى هو أن يوجد التناسب Harmonism بين شكل الرأس وشكل الوجه .. فالوجه الطويل يصحب رأس طويل والوجه العريض يصحب رأس عريض .. إلا أن كرومانيون كان يتصف بعدم التناسق.

أما جنس كوم كابل فقد كان متوسط القامة أى أنه كان أقصر قامة من كرومانيون وكان معتدل التقاطيع.

وكل من كرومانيون وكوم كابل يمثلان الجنس الأبيض ويمكن أن نعتبر كوم كابل بالذات جداً للجنس الذى سنعرفه فيما بعد باسم جنس البحر المتوسط.

المهم هنا أن نلاحظ أن أول الأجناس الكبرى الثلاث التى سنعرفها فى الوقت الحاضر وجد منذ نشأة الإنسان الحديث أى منذ العصر الحجرى القديم الأعلى.

أما جنس شانسكيد فقد كان عريض الرأس متوسط القامة به السحنة المغولية ومعنى هذا أن ثانى جنس من الأجناس الثلاثة الكبرى بدأ يوجد أيضاً منذ نشأة الإنسان الحديث.

بعد هذا نجد جنس (جريمالدى) ويتصف جريمالدى بصفات زنجية ووجدت حفرياته

فى شمال إيطاليا .. ومعنى هذا أن الجنس الثالث من الأجناس الكبرى التى سنعرفها فى الوقت الحالى وجد أيضاً منذ نشأة الإنسان الحديث .. أى أن الإنسان الحديث انقسم منذ بداية الأمر إلى سلالاته الرئيسية.

إذا تركنا هذا العصر الحجرى القديم الأعلى .. وانتقلنا إلى العصر الحجرى الحديث.. نجد أنه وجدت فى هذا العصر أشياء حضارية هى التى أوجدت التقسيم الحالى إلى سلالات جنسية تتخصص كل سلالة فى منطقة معينة .. أو بمعنى آخر .. وجد الأساس لتقسيم العالم إلى أقاليم جنسية على مثال تقسيمه إلى أقاليم مناخية وأقاليم نباتية.

والظاهرات المناخية والظاهرات النباتية .. ظاهرات متخصصة أو بتعبير آخر أن كل إقليم تخصص منذ وقت بعيد فى صفاته المناخية وصفاته النباتية.

أما الإنسان فليس مثبتاً إلى الأرض بل هو يستطيع أن يغير مكانه إذا أراد وبذلك يصعب تقسيم العالم إلى أقاليم أجناس مثل أقاليم المناخ والنبات ..

بسبب الظروف الحضارية التى حدثت فى العصر الحجرى الحديث أخذ مناخ العالم يتجه نحو الجفاف .. فبعد أن كان الإنسان منتشراً فى كل الجهات وكل الاقاليم يعيش معيشة ترحال وتجوال .. لا يربطه بالأرض شىء لأن مصادر الرزق متوافرة ومضمونة فى أغلب بقاع الأرض بسبب انتشار المطر .. أخذ العالم يتجه نحو الجفاف فكان لابد للإنسان أن يلزم المجارى المائية الدائمة وهى الأنهار .. وهذه أول رابطة تربطه بالأرض .. ثم لما التزم المجارى المائية الدائمة لم يعد هناك ما يبرر أن يتخذ له مسكناً خفيفاً .. فقد كان فى الماضى يكتفى بأى وقاء يقيه الريح أو يقيه الشمس .. ولم يكن هناك ما يتطلب بإقامة مسكن ثابت لأنه كما قلنا كان كثير الترحال .. فلما استقر فى جانب المجارى المائية وجد من الأوفق أن يبنى لنفسه مسكناً ثابتاً .. لأنه أصبح يستقر فى المكان الواحد طوال الوقت وبذلك وجد ما نسميه الاستقرار .. فالاستقرار كان أول دعامة من دعامات العصر الحجرى الحديث .. وكان بدوره سبباً فى أن يحدث نوع من التخصص الإقليمى فى السلالات الجنسية .. ثم لما استقر بجوار المجرى المائى وبنى لنفسه مسكناً وجد الناس أنه من الأوفق أن تكون مساكنهم متقاربة أو متجاورة ... ففى ذلك فوائد كثيرة .. فيه الأمن .. والإنسان حيوان اجتماعى بطبعه يألف أبناء جنسه .. ويجب أن يأتنس بهم فى حياته .. ثم هناك الفائدة الاقتصادية .. وهى التعاون المشترك فى استغلال الأرض .. ونتيجة لهذاوجد ما نسميه القرية .. وهذا زيادة فى التخصيص الإقليمى للجماعات البشرية المختلفة.

أخذ سكان هذه القرية يلاحظون ما حولهم من ظواهر طبيعية ساعدهم على ذلك الاستقرار .. مثال ذلك أن الذين سكنوا ضفاف النيل لاحظوا أن الفيضان يأتى فى موعده كل عام فيغمر الأرض ثم ينحسر بعد ذلك الماء ويلزم النهر مجراه .. ثم تمر هذه النباتات أدوار متعددة من دور الإنبات إلى دور النضوج ثم فى النهاية تخرج هذه النباتات ثمارها وتصبح صالحة لاستغلال الإنسان .. إنما هذه النباتات نباتات برية .. والنباتات البرية .. من صفاتها شدة الانتشار .. بمعنى أنه إذا كان على هذا الإنسان أن يجمع قدراً من الغلال فلابد أن يتجول مسافات بعيدة لأن عيدان الغلال متفرقة وهو - كما عرفنا - أصبح يسكن فى مسكن ثابت لا يجب أن يبتعد عنه كثيراً .. فأحد الأذكياء فكر فى أن يبذر هذه الحبوب بالقرب من المسكن ثم يأتى النهر فيرويها طبيعياً ثم ينمو النبات ويحصل فى النهاية على حاجته من الغلال من هذا الحقل الموحد المتجانس فى نباته والقريب من مسكنه وبذلك وجدت الحرفة التى نسميها حرفة الزراعة فثبتت الإنسان إلى الأرض وبعد أن كان له مسكن أصبح له حقل أيضاً .. ثم بعد أن أصبح له حقل فكر فى وسيلة يحمل بها الماء إلى مسكنه لأنه من غير المعقول أن يقصد هو وأهله وأطفاله إلى النهر للإرتواء كلما أصابهم العطش وكان أن استرعى نظره أن الطين فى الموقد يتحول إلى مادة صلبة نتيجة للإحتراق فهداه تفكيره إلى تشكيل ما يشبه الآنية من الطين ثم حرق هذا الشكل بالنار حتى يتحول إلى مادة صلبة لحمل الماء .. وبذلك وجد ما نسميه بصناعة الأوانى الفخارية .. أى أن الإنسان أصبح له مسكن وحقل ومصنع .. وهذا مكن من الاستقرار .. وربط الناس بأرضهم برباط وثيق .. ثم أراد الإنسان أن يتخلص نهائياً من كل الدوافع التى تدفعه إلى الترحال والبعد عن مسكنه .. ووجد أنه فى الوقت نفسه محتاج إلى الحيوان .. والحيوان لازال فى حالته البرية فى الصحارى والجبال المجاورة .. ففكر الإنسان فى أن يستحوذ على بعض هذا الحيوان بالقرب من مسكنه وطبيعى أنه ابتدأ بصغار الحيوان فحصل عليها بوسيلة من الوسائل ورباها بالقرب من مسكنه .. ووجد فى النهاية أنها ألفته، لهذا وصل إلى اختراع آخر من الاختراعات الهامة وهو إستئناس الحيوان.

وبذلك وجدت الدعامات الأربع التى قامت عليها حضارة العصر الحجرى الحديث .. وتخصص الناس فى أقاليم العالم المختلفة .. وبذلك استطعنا أن نجد الأشكال والصور الجنسية المختلفة .. تلتزم أقاليم خاصة ابتداء من العصر الحجرى الحديث .. واستطعنا أن ندرس توزيع الأجناس على مثال توزيعنا للظاهرات الجغرافية الأخرى .. وعلى الأخص الظاهرات الحية الأخرى كالنبات والحيوان.

بعد العصر الحجرى الحديث جاء عصر المعدن .. وأول المعادن التى استخدمت (معدن النحاس) وكان ذلك لعدة أسباب منها أن خامات النحاس متوفرة فى الطبيعة وأنه يمكن طرقها على البارد أى دون الحاجة إلى إذابتها فى الأفران .. فعمد الأنسان إلى هذا المعدن وصنع منه بعض أدوات القتال وبعض السنانير وغير ذلك .. ولكن ليس هناك عصر خاص يسمى عصر النحاس .. وذلك لأن النحاس لا يؤدى كل الأغراض التى يتطلبها الإنسان من المعدن بسبب ضعف الآلات المصنوعة من النحاس ويمكن أن يقال أن استخدام النحاس كان مقصوراً على جهات خاصة مثل مصر وغراسيا .. وهذه أول علامات استخدام المعدن .. إنما الأثر الأكبر الذى يحدثه استخدام المعدن فى توزيع السلالات البشرية هو (البرونز) .. فالبرونز هو خليط من النحاس والقصدير .. لكن ليس خليطاً طبيعياً بل هو صناعى يحدثه الإنسان ولابد لذلك من إذابة المعدنين وخلطهما ببعضهما وإخراج المادة الخليط التى تسمى (البرونز) لتصنع منها آلات كثيرة يهمنا منها آلات القتال .. ذلك أنه بعد أن تخصص الناس فى الأقاليم المختلفة وكثر عددهم نتيجة للإستقرار .. والطبيعة لم توزع المادة الخام فى جهات العالم بعدالة .. أخذت كل جماعة تشعر أنها فى حاجة إلى مادة معينة فى إقليم غير إقليمهم .. ثم وهم يمتلكون السلاح اللازم والعدد الكافى .. يفكرون فى الإغارة أو الانتقال إلى هذا الإقليم .. وبذلك يحدث إعادة توزيع الجماعات البشرية فى جهات العالم المختلفة.

وينبغى أن نلاحظ هنا فى صدد دراستنا لتوزيع الأجناس أن اختراع آلة جديدة من أدوات القتال كان دائماً بداية غزوات كبرى فى التاريخ وهجرات على نطاق واسع .. يغير من التكوين الجنسى لأقاليم العالم المختلفة.

| | |
|---|---|
| عصر الحديد | ١,٠٠٠ ق.م. |
| عصر البرونز | ٢,٠٠٠ ق.م. |
| عصر النحاس | ٤,٠٠٠ ق.م. |
| العصر الحجرى الحديث | ٦,٠٠٠ ق.م. |

وفى عصر الحديد حدثت هجرات أخرى كبرى كالهجرات التى حدثت فى عصر البرونز .. وكانت أكثر الجهات التى تأثرت بعصر الحديد أوروبا وعلى الأخص شمالها الغربى .. ويمكن أن نقول بصفة عامة أن ما نسميه الاستعمار بدأ منذ عصر البرونز .. ومعنى الاستعمار حاجة جماعة من الجماعات إلى المادة الخام الموجودة فى منطقة أخرى

فتذهب لاستغلالها ولو أدى الأمر لاستعمال القوة .. ثم بعد ذلك يبدأ العصر الذى نسميه العصر الميلادى .. ونحن نعرف الامبراطوريات الكبرى التى قامت فى العالم بعد الميلاد والتى أدت بدورها إلى ما نسميه إعادة توزيع الناس .. وكانت القارتان اللتان تأثرتا بعصر الامبراطوريات الكبرى هما آسيا وأوروبا.

ثم بعد ذلك تأتى مرحلة هامة جداً أحدثت تغييراً واضحاً فى توزيع السلالات الجنسية.. هذه المرحلة تبدأ بعصر الاكتشافات الجغرافية .. ويمكن أن نقول بصفة عامة أنه منذ القرن الخامس عشر الميلادى يحدث ما نسميه إعادة توزيع الجماعات البشرية .. فنجد الجنس الأبيض مثلاً يصل إلى أمريكا وإلى استراليا .. وهما قارتان لم تعرف الجنس الأبيض قبل عصر الكشف الجغرافى.

وإذن فتوزيع السلالات الجنسية الذى سنتعرض له هو خلاصة هذه العصور التى ذكرناها .. وخلاصة الهجرات العديدة التى حدثت منذ عهد الاستقرار الأول فى العصر الحجرى الحديث حتى الوقت الحاضر.

# الفصل الخامس
# أهمية اللون من الناحية الاجتماعية

إن العلم الذى يعنى بوظائف البشرة وخصائصها والذى يبلغ المتخصصون فى دراسته حوالى ثلاثة آلاف عالم فى جميع أنحاء الدنيا لم يعالج وظيفة من أهم وظائفها وهى تصنيف الجنس البشرى فى جماعات .. ولربما كان ذلك راجعاً إلى ما يقال من أن هذا الميل إلى التصنيف ليس من طبع الإنسان .. وأن تقسيم الجنس البشرى حسب لون البشرة ليس من صنع الخالق .. ومع ذلك فاختلاف اللون .. عن لونك أيها القارىء العزيز وعن أى لون آخر هو المشكلة التى حيرت آلاف الناس آلاف السنين.

وفى كل محاولة لتقسيم الناس حسب جنسهم كان للون البشرة الأهمية الأولى بل الأساسية فى التقسيم حتى إذا انقلب هذا التقسيم إلى شىء من الترتيب يجعل أحد الأجناس أسمى من الآخر ويتخذ من هذه الظاهرة الجلدية الطبيعية التى دعت إلى التجمع وسيلة إلى الغض من أقدار الناس .. بذلت الجهود للقضاء على الخلافات بمحو لفظ (الجنس) ومحو المسألة العنصرية إذا كان ذلك فى الإمكان.

ومن رأى بعض الكتاب أنه يجب محو لفظ الجنس وأن تمحى معه المسألة العنصرية ويستعمل فى هذا المجال أسس أخرى للتقسيم كحجم الجمجمة مثلاً (بلومنباخ سيرجى Blumenbach Sergi) ولو أن هذا سيبنى عليه وضع الزنوج والاسكندنافيين فى جنس واحد.. ويرى آخرون أن يستبدل بلفظ الجنس لفظ آخر كالجماعة العنصرية ethnic Group وبالرغم من نبل المقاصد فمازالت توجد الظروف العنصرية التى لا يمكن علاجها من الناحية الانثروبولوجية وحدها لأنها أيضاً مسألة اجتماعية تؤثر فى الجماعات والطبقات وتقوم على تقسيم الناس حسب ألوان بشرتهم[١].

وهذه المسألة التى أسمتها اليونسكو سنة ١٩٥٠ الخرافة الاجتماعية Sociological

---

(١) لم يدخل فى هذا التصنيف أى عامل آخر كشكل الجمجمة أو الأنف والوجه أو الشعر المجعد.

Myth ذات أهمية بالغة لأنها تثير السؤال الفاصل الذى طالما وجه إلى المختصين فى علم الإنسان .. أى العناصر هو الأسمى وأى العناصر هو الأدنى .. أو أيها كان كذلك فى صور ما قبل التاريخ وهذه المسألة لابد أن تبدأ بتعريف واضح لها لأن كل كاتب ـ كما دل عليه بحث اليونسكو فى العنصرية ـ فسرها تفسيراً مخالفاً لتفسير غيره من الكتاب ويتعمق بيتارد Pittard فى كتابه الأجناس والتاريخ إلى لب المسألة فيقول إنى استعمل لفظ الجنس بالمدلول الشائع ـ دون أى مناقشة بيظنطية ـ الجنس جماعة من الناس متشابهون انحدروا من آباء من دم واحد .. بهذا المدلول استعمل لفظ الجنس .. فى هذا الكتاب.

## الأساس التاريخى :

ومع أن التفرقة العنصرية والجماعية قد وجدتا دون شك منذ أقدم العصور ـ كما سنرى فيما بعد ـ فإن المشكلة تبلورت ثانية بعد انتصار فرديناند وايزابيلا على أهل المغرب وكشف البيض أراض جديدة وأسسوا المستعمرات .. ومن سوء الحظ أنهم ارتكبوا خطأ سيحاسب عليه أمثالهم عدة قرون متتالية .. عندما استعبدوا أهالى البلاد وأعدوا أنفسهم متفوقين عليهم لا فى القوة وحدها بل فى لون بشرتهم كذلك وكان العالم منقسماً إلى الجنس الأبيض والأصفر والأسود[١] ومن لم ينتظمها أحد هذه الأقسام وضع فى قسم آخر حسب الأهواء السياسية وحسب القوة والسلطان .. ورغماً من أن أحد أبناء نوح وأحد حكماء الشرق كان لونهما أسود[٢] فإن الكنيسة أسهمت بنصيب يؤسف له فى ذلك حين أصدرت مرسوماً باباوياً عام ١٤٥٥ يقرر سيادة النصارى على الكفار .. وهذا الإجراء قد أقر فى الواقع استرقاق الزنوج والهنود الحمر وأدهى من ذلك أثار موجه جديدة من الدعاية التى ظلت منطلقة دون قيد عدة قرون وليس هناك من شىء أقوى حيوية من الخطأ.

---

(١) لم يكن ذوو اللون الأحمر معروفين عند إذ فضلاً عن أن تسميتهم بهذا الاسم كانت ترجع إلى لون بعض الأصباغ التى كانوا يصبغون بها بشرتهم للوقاية من الأرواح الشريرة أو الأمراض وكانوا يصبغون حيواناتهم كذلك باللون الأحمر ولم تكن صباغة الجلد مقصورة على الهنود الحمر هذا ولفظ فينيقى Phoenician معناه الجلد الأحمر وكان البكت يسمون بهذا الاسم لصبغتهم بشرتهم باللون الأحمر .. والروس وشعر رؤوسهم فى لون الصداء Rust كانوا يسمون الرستيان Rustian كما أن لفظ باتولى Batuli المستعمل فى شمال نيجيريا للدلالة على الرجل الأبيض.. يعنى أيضاً ذا الجلد الأحمر.

(٢) لعل الافريقى بوصفه من الحكماء ذكر للمرة الأولى فى العصور الوسطى للدلالة على أن المسيحية ديانة عالمية .. ولم يرد له ذكر وصفه هذا فى الإنجيل.

وتضمنت هذه الدعاية أن الاسترقاق هو سبيل خلاص الرقيق الذين غضب الله عليهم فإنهم بدخولهم فى المسيحية سيدخلون مملكة الله من قريب .. وهذا الخلاص الذى وعده النصارى للرقيق فهمه هؤلاء على أنه خلاص لهم من الرق .. ويبدو أنه لم يكن هناك سبيل آخر إلى إقناع آلاف من البشر فى كل يوم بصدق النصرانية .. يقول شورز Schurz أن عدد من دخل فى النصرانية بلغ أربعة عشرة ألفاً فى يوم واحد وهذا القول ينصب على الهنود الأرقاء ولكن هيربرت هيرينج Hubert Herring يقول أن الأرقاء الزنوج كانوا يجبرون على دخول الدين لأن خلاص الروح كان يقتضى الاسترقاق.

ولما كان من مبادىء النصرانية العظمى .. أحب لجارك كما تحب لنفسك .. ومن مقدساتهم صورة الله وأمثاله .. لم يكن لهم خيار فى ألا يعدوا الرقيق من الجنس البشرى وفوق ذلك رغبة منهم فى الاستئثار بالأراضى المستكشفة حديثاً وبخاصة أرض الرقيق فى أفريقيا .. صور هؤلاء الفاتحين أهالى البلاد الذين لم يرحبوا بهم ولم يكرموا وفاده (صيادى الطير الأسود) فى صورة أشد قسوة وأعظم خطراً من الفاتحين أنفسهم وقد سموهم آكلى اللحوم فى البحر الكاريبى علماً بأن بعض الألفاظ المستعملة فى السويد مثل سكال Skal ومعناها الجمجمة تذكرنا بصيادى الرؤوس البيض وهى مستخدمة حتى الآن فى الألقاب فى حفلات الشراب.

وفى هذا فقد ارتفعت أصوات رجال الدين ذوى القلوب الرحيمة ضد هذه المساوىء وارتفع صوت لاس كاساس Las Casas ـ تاجر الرقيق الذى صار فيما بعد قسيساً ـ عالياً ضد محاكم التفتيش الاسبانية وقد رفضت كل كتاباته التى وجهها إليها وأسمتها (الأسطورة السوداء) وقد عارض لاس كاساس رق الهنود الحمر فقط فى أول الأمر وكان من رأيه أن يحل الزنوج محلهم وهم أشد منهم قوة وقد وصلت بالسفن أول حمولة منهم قبل ذلك بفترة قصيرة إلى أمريكا الجنوبية .. ثم أنه ترك هذا الاقتراح بعد مدة وانضم إليه الكثيرون منتسينوس Montesinos ومنتوفار Montofar يعضدونه وبهذا أصبحت الكنيسة كلها منضمة إلى الجانب الذى يعارض الرق.

وفوق ذلك كانت سيدة جواد يلوب Lady of Guadeloupe فى نصرة الهنود الحمر فى ١٥٣١/١٢/٩ عندما كان الهنود يكرمون إحدى قديساتهم تجلت للرئيس الهندى دييجو وقالت له أنها هى أيضاً أم للهنود .. ولا حرج فى أن نتصور أن الكنيسة أو دييجو نفسه قد دبر هذا اللقاء ليكون آخر سهم يصوبه إلى الرق .. وسواء أكانت هذه الحادثة ـ التى

يحتفى بها ـ سنوياً والتى استمد منها هيدالجو بطل التحرير المكسيكى شعار الحرب ـ صحيحة أم مجرد أسطورة ـ فأنا لفى أسف شديد لأن السيدة العذراء لم تكن كذلك فى عون الزنوج ولا هى كرمتهم .. لو أنها فعلت ذلك فلربما كانت قد قضت على كثير من المشاحنات بين البيض والسود التى لاتزال مصدراً للشقاء والتعاسة فى العالم إلى الوقت الحاضر.

وبلغ موقف السادة البيض فى مبدأ الأمر من الزنوج من شدته أنه لايزال ملحوظاً فى بعض التصرفات ولو بشكل بسيط .. كما نرى فى الذكرى السنوية للقديس نيقولا التى يحتفل بها الأوروبيون فى بعض البلاد وفى رمزان يمثلان العلاقة العنصرية ـ الأول كاهن أبيض يمتطى جواد أبيض يوزع الهبات الطيبة بينما خادمه بطرس الأسود أو روبرخت Rupprecht الذى يحمل كيساً كبيراً وعصا ينشر الرعب والخوف بين الصبية.

ويمثل الرسم الثانى جمعية السرطان .. والحمار الوحشى له خطوط بيضاء وصفراء وسوداء كلها فى كائن واحد إذا ما طعن فأصيب قلبه فإنه يموت أياً كان موضع الطعن وفى أى خط من خطوط الحيوان.

## غرب أوروبا :

فى هذه الاحتفالات يمثل هذا القديس الطيب بكاهن أبيض على جواد أبيض يوزع الصدقات بينما خادمه بطرس الأسود الذى يحمل الحقيبة السوداء ينشر الخوف والرعب ويخطف الأطفال الأشقياء.

وفى هذه اللحظة التى يهم فيها العبد بإمساك الطفل يسبقه القديس ويمنع الاعتداء عليه وسط تهليل الحاضرين وصيحاتهم وسواء أكان هذا القديس الطيب الذى يمتطى السحاب قادماً من الشرق أم من جنوب إيطاليا أو من أسبانيا وسواء كان خادمه من المغرب أو من مصر أم كان عبداً أسوداً فإن هذا لا يغير من جوهر الفكرة التى يمثلها هذا الاحتفال[1].

---

(١) هناك تباين بسيط فى طقوس حفل القديس نيقولا كان يقوم بها هنود الهوبى له طرافة كما يقول سيمونز نقلاً عن كلنبرجر Klineberger برغبة فى تدعيم السلطة الأبوية حيث يتقدم أحد القرويين لا يعرف التى يكاد يوضع فيها الطفل فى الكيس ويتقدم والده وينجح فى خلاصه لينتزع الولد الشقى ويأخذه معه وفى هذه اللحظة الحرجة وبهذا الإجراء يثبت الوالد قدرته على حماية ولده .. ويمكن أن أزيد على هذا .. أنه فى بعض البلاد الافريقية وفى جيانا الهولندية لا يمثل بيتر الأسود بل القديس نيقولا الخاطف وفى سويسرا لايزال الآباء يرهبون أبنائهم بحكايات عن البعبع الأبيض.

## جـزاء اللـون :

قلما اعترف بأن الرجل الأسود من الجنس البشرى ومتى اعترف به فلونه الأسود لابد أن يكون آية عذاب الله (وصمة قابيل) وحسب ما جاء فى سفر التكوين كان لابد أن يلبس حـام ابن نوح ثوب العقـاب حتى القرن العشرين على أن هذا التفسير المنحرف الذى سنتناوله فيما يلى له ما يشبهه فى كثير من الأساطير.

## حكايـات وأساطيـر :

حسبما جاء فى سفر التكوين كان لابد أن يلبس حام ابن نوح ثوب العقاب حتى القرن العشرين على أن هذا التفكير المنحرف الذى سنتناوله فيما يلى له ما يشبهه فى كثير من الأساطير :

١ - الله خلق الخلق سوداً كلهم وهيىء لهم جميعاً الفرصة لأن يتطهروا .. فاغتسل البيض وابيضت أجسامهم .. ولم يتركوا إلا الماء الذى لا قوة فيه للزنوج فلم ينظفوا إلا راحات أيديهم وبطون أقدامهم.

٢ - الناس جميعاً هم عيال الله الأعزاء فمن سرق منهم صاروا سوداً وكان عليهم أن يرحلوا إلى أعالى النهر فى داخل القارة.

٣ - من جزر فيجى أن من أساء العمل صار أسود اللون وأقل حظاً فى الملابس أما من أحسن فقد ظل أبيض اللون وأعطى وفرة فى الملابس.

٤ - الله رأى ثلاثة زنوج يبكون ولكى يبعد عنهم الحزن سمح لهم أن يغتسلوا ويصيروا ذوى بشرة بيضاء فلم يفعل ذلك إلا واحد منهم دون أخويه الآخرين وهذا صارا أبيض اللون جميل المنظر .. فأكلت الغيرة قلب أحد أخويه ولكن الماء كان قد نفذ فمسح يديه بتربة الأرض الحمراء فصار لونه أحمر .. أما الثالث فلم يستطع إلا غسل راحتى يديه وقدميه وهى الأجزاء الوحيدة من جسمه التى أصبحت بيضاء.

## اتهام متبادل بين الطرفين :

رأى الأبيض يمكن أن نوجزه فيما يلى :

١ - الزنوج وثنيون متعددوا الآلهة ويجب أن نردهم إلى الإيمان.

٢ - هم أكلة لحوم البشر .. أو هم على الأقل كانوا كذلك.

٣ – هم غير متمدينين ويمشون عراه الأجسام.
٤ – هم لا يؤتمنون.
٥ – هم يحبون الظهور ومغرمون بالحلى البراقة.
٦ – هم لا يعرفون قيمة النقود.
٧ – هم شهوانييون ولأجسامهم رائحة خاصة.
٨ – إن لون الزنجى فيه دلالة على ظلمة عقله.

رأى السود فى البيض نوجزه فيما يلى :

١ – البيض نصارى ولكن لهم مذاهب دينية كثيرة وكل منهم يعتقد أنه أسمى من غيره وأنه هو وحده الصحيح.
٢ – رؤسائهم أنصاف آلهة مقنعون .. وبعض المذاهب يؤمنون بإله واحد والبعض يؤمنون بإلهين أحدهما للخير والآخر للشر.
٣ – إذا كان الزنوج آكلى لحوم البشر .. فالبيض يقتلون الجموع الغفيرة ويشيدون الحروب بعضهم على بعض .. وهم حين يقتلون لا يفعلون ذلك تقرباً إلى الله .. ولا ليحصلوا من ورائه على ما يقتاتون به .. لكن يفعلون ذلك حباً فى المال أو السلطان أو النفوذ.
٤ – أنه من دواعى الشك أن يكون الزنجى قد ارتكب من حوادث القتل جزء من ألف جزء مما قام به الرجل الأبيض.
٥ – الرجل الأبيض كثير الوعود قليل الوفاء.
٦ – جاء الرجل الأبيض وفى يده الإنجيل .. ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض للبيض والإنجيل فى يد الزنجى.
٧ – فى زمن الحرب يدعونا الرجل الأبيض اخوته .. وأما فى زمن السلم فهو لا يقبل أبناءنا فى مدارسه.
٨ – الرجل الأبيض يحب جمع المال ويبحث دائماً عن العمال ذوى الأجور البخسة.
٩ – نحن لا نستطيع أن ننكر أن البيض قضوا على العزلة التى كنا فيها وكانوا سبباً فى تقدم بلادنا .. ولكن الدافع إلى ذلك كان ما يرجونه من نفع.

## خطوة جديدة .. ثورة الطبقة الخامسة :

إنه من الأهمية بمكان أن الخطوة التالية فى تطور المشكلة العنصرية والصراع ضد الحاجز اللونى قد وصلا إلى علم عامة الناس ـ هذه الخطوة ترجع إلى الجوانب

الاجتماعية ـ فأى جنس أدنى مهما كان نوع دونيته هو فى مرتبة أدنى من جنس أعلى منه حتى ولو كان علو هذا الأخير راجعاً إلى قوته الحربية أو الاقتصادية .. وهذا دعا إلى التفرقة بين الشعوب الحاكمة والشعوب المحكومة (من أنت؟) وفى المنزلة الاجتماعية (ماذا تملك؟) .. ولم يكن هذا التمييز على درجة كبيرة من الظهور إذا صحبته فروق فى لون البشرة .. وقبل أن تعالج الفارق بين الوضع السياسى والطبقى من حيث علاقة كل منهما بلون البشرة يحسن أن نتناول مفهوم كل منهما بعبارة وجيزة.

ففى أوروبا قبل العصور الوسطى بمدة كان هناك تمييز بين الوضع السياسى للنبلاء ورجال الدين وسواد الشعب .. وكان الأطباء والمحامون ومن فى مرتبتهم يكونون طبقة متوسطة مستقلة[1] .. ومع وجود هذه الأوضاع الثلاثة السياسية كان هناك فارق مبنى على مدى ما يملكه الفرد كاليلوتاريا كما كان يطلق عليهم فى روما Proletaria لم يكونوا يمتلكون إلا أولادهم البرول Proles وهذه الطبقة الدنيا أطلق عليها فيما بعد اسم الطبقة الرابعة.

ولو أن هذه العلاقة الجزرية المستقرة فى العلاقات الطبقية لحقها بعض التأثير من وقت إلى آخر إلا أن التأثير الكبير الذى أصابها وأحدث فيها تغييراً كبيراً كان إبان الثورة الفرنسية عندما قضت الطبقة الثالثة على الطبقتين الأولى والثانية .. وكان اليد العليا للطبقة الرابعة فى الثورة الروسية.

وثمرة هاتان الثورتان (المساواة) التى حصلت عليها فى أثناء القرن الحالى كل البلاد الغربية حتى صار لكل فرد فى الجماعة صوت مساوى لغيره فى اختيار ممثليه فى المجالس النيابية وأكثر من ذلك كان لهذه (المساواة) ميزة هامة حيث خولت لأى فرد من أى طبقة ممن يجمعهم لون واحد أن يدعى الانتماء إلى طبقة أخرى .. إذا قضت بذلك ضرورة أو مصلحة.

ولو أن مكانة الناس ظلت متميزة بالملابس الخاصة وما يماثلها فإن هذا لا يقارن بالخاصية التى لا يمكن أن تتغير معها الطبقة ولا المنزلة السياسية ألا وهى لون البشرة .. إن هذا هو الرداء أو الرمز ..

(١) لم تكن التجارة مقصورة على طبقة واحدة .. وهذا أحد الأسباب التى لم تمنع اليهود من التجارة ولم يعد التجار من الطبقة المتوسطة إلا حديثاً.

## المشكلة الحقيقية :

لو أن هناك علاقة متينة طبيعية بين البشرة وبين الإنسان الذى تحتويه فإن العلاقة الاجتماعية أو بعبارة أصح عدم العلاقة الاجتماعية بينها وبين العالم الخارجى ليست أقل منها فى الأهمية .. وكثيراً ما يجول فى الخاطر هل الاختلاف فى البشرة يسايره حقيقة اختلاف فيمن تحتويه هذه البشرة .. وإن كان كذلك .. فهل ولدوا فى حالتهم تلك .. ؟ .. أم هم قد تغيروا من أثر البيئة الطبيعية والاجتماعية وسنتناول الجوانب الأساسية الثلاثة لما يسمى المشكلة العنصرية :

١ - الجانب الانثروبولوجى .. المتعلق بعلم الإنسان ويعالج هذا الجانب الرأى الذى يقول بأن الأجناس الملونة دون سائر الأجناس البيضاء فى بعض النواحى على قول .. وفى كثير من النواحى على قول آخر.

٢ - الجانب الاثنولوجى .. المتعلق بالأجناس البشرية .. فالاختلاف الثقافى بين الأجناس المختلفة أو الوحدات العنصرية عامل هام فى المسألة العنصرية .. إذ يجعل التلائم فيما بينها عسيراً أو مستحيلاً.

٣ - الجانب الاجتماعى .. والمسألة العنصرية هنا تتأثر بتكوين الطبقات أو الدرجات المختلفة وتتصل اتصالاً وثيقاً بمسألة تصنيف الناس إلى جماعات ويدخل فى هذا الجانب العوامل السياسية التى تؤثر فى المسألة العنصرية.

ومما يزيد المسألة تعقيداً أنه كثيراً ما تبذل الجهود لحل مسألة متعلقة بأحد هذه الجوانب فيستعان فيها بحجج خاصة بجانب آخر كما يستعمل كثير من الألفاظ استعمالاً خاطئاً مثل Venophobia كره الأجنبى[1] أو الخوف من المجهول والكره العنصرى والحاجز اللونى والعزل الاجتماعى والتفرقة العنصرية والحائط العنصرى فيختلط على الناس فهم مدلولها ويحدث الخطأ فى استعمالها ولو أنه من المسلم به أن كل جانب من هذه الجوانب يتصل اتصالاً وثيقاً بالجانب الآخر وأن بعضها نتيجة للبعض الآخر.

وأنه فى غاية الأهمية أن نقرر أن المسألة العنصرية من حيث أنها مشكلة عالمية هى مشكلة اجتماعية بصفة أساسية حددت فيها بعض العلاقات الجماعية الخاطئة التى عزلت بعضها عن بعض خواص عنصرية معينة من أهمها لون البشرة .. فإذا ما تكونت من

(١) لعل أفضل ترجمة Prijudice ما جاء فى القرآن الكريم .. ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ وإن كان الشائع هو التحامل أو الحقد أو الملل.

أى جماعة وحدة عنصرية معينة وإذا ما اشتملت الجماعة على طبقة اجتماعية ما ولا سيما إذا كانت فى مرتبة دنيا أو فئة أضعف فقد ينشأ التمييز فى هذه الجماعة وهذه التفرقة الطبقية قد تبدو فى صورة تفرقة عنصرية (أو تفسر هذا التفسير) إذا ما صاحب الطبقة اختلاف فى بشرة أصحابها.

ويمكن أن تضيف إلى ما تقدم أن التفرقة العنصرية قد لا تستلزم الكره العنصرى رغم ما فى هذا القول من غرابة.

## مصادر أخرى للعنصرية

### ١ - النشاط المميز :

يمكن لكل المجتمعات تقريباً أن تجد سبباً وجيهاً كى تعتبر نفسها متميزة على الأقل فى نشاط بذاته .. أن ادعاء بسيط بالكفاءة فى أى مجال (الرسم ـ كرة القدم ـ الشطرنج ـ الطبخ .. إلخ ..) عادة ما يكفى لكى يضخم الناس من أهميتهم.

### ٢ - الروتين اليومى :

هو روتين يخضع لمؤثرات فردية وحضارية .. يضج بمقارانات فجة بين عادات الفرد وعادات الأجانب التى كثيراً ما تكون مختلفة جداً .. وحقيقة وجود هذه الاختلافات (حتى دون أن نعرف مصدرها) قد تكون كافية لإذكاء الخوف أو البغض .. وأن الطبيعة البشرية لا ترحب بالتغيير حتى إذا كنا ساخطين على أوضاعنا .. وهذا الإخلاص للعادة والخوف من الإصلاح يشجع المحافظة على القديم مما يؤدى إلى العنصرية.

### ٣ - الفروق الظاهرية :

هناك فروق لا شك فيها بين الشعوب والأمم (اللغة ـ لون الجلد ـ التذوق (لاسيما الطعام) ـ الترحيب .. إلخ ..) وكلها تختلف بين الحضارات وتقود إلى الأحقاد بأن الآخر ليس مثلنا حقاً .. والعادة تنتهى إلى أن طرقنا نحن هى الأفضل وأن غيرها غاية فى السوء.. من يتحدث غير اليونانية كان عند الإغريق من الهمج .. أما إذا وجد المرء أن الحياة فى بلدته لا ترحب به فستجده ربما وقد تحمل بسهولة الظروف المعيشية الغريبة وحياة اللاأمان فى مقره الجديد بل وقد يقبل حتى ضرورة أن يتعلم أشياء جديدة .. لكنه على وجه العموم يفضل الشرنقة التى ولد بها ويرعبه نبذ ما ألفه.

### ٤ - إسقاط تعاسة الإنسان علي غيره :

رغبة الفرد فى أن يسقط تعاسته على غيره .. كلنا يعرف اغتراب الذات فى المجتمعات المعاصرة كثيراً ما يكون سبباً خطيراً جداً من أسباب التكدر والقلق ولقد تظهر هذه المشاعر عن الخوف من البطالة أو عن الاضطرار إلى تأديه عمل قاسى غير إنسانى أو عن الوقوع فريسة الفقر أو الظلم أو عن الشعور بالعجز الذى كثيراً ما ينموا عند ملاحظة أن الثروة لا تأتى إلا لعدد محدود من الناس .. وكل شخص حتى من يشعر بأنه ضحية الرؤساء يمكنه أن يمارس السلطة على من هم أدنى منه فى المجتمع فى السلم الاجتماعى.. الفقير دائماً يجد من هو أفقر منه.

بسبب كل هذه العوامل تنتشر العنصرية .. وهى أقل وضوحاً فى زمن السلم والأوضاع المدنية المستريحة .. لكنها تتفاقم مع العداوات التى تنشأ عن الهجرات الجماعية من الدول الفقيرة.

### هل هناك أساس علمى للعنصرية ؟ ..

لابد أن ندين العنصرية لأن أثارها خبيثة .. ترفضها كل الأديان وكل النظم العرقية الأخلاقية. لكن هل يمكن أن نستبعد احتمال وجود جنس متفوق .. ؟ .. أو أن نجد بين السلالات البشرية فروقاً وراثية ذات أهمية اجتماعية .. ؟ .. هناك فروق واضحة مؤكدة بين المجاميع البشرية تعتمد إلى حد ما على الجينات ـ لون الجلد ـ شكل الأعين ـ نمط الشعر ـ صورة الوجه ـ شكل الجسم .. إلخ ..) هل توفر هذه وغيرها من الصفات الأخرى تبريراً للعنصرية علمياً .. ؟ .. هل توجد فروق أخرى تبرر هذا أو توفر هذا التبرير .. ؟ ..

علينا أولاً أن نعرف طبيعة التباين الذى يلزم أن ندرسه .. أن هذا يساعدنا فى تفهم ما نعنيه بالسلالة .. وأن نقرر أية مجاميع يلزم أن نفحصها وماذا قد تبوح به الفروق العرقية.

### التباين البيلوجى والتباين الثقافى :

الناس لا يميزون بين التوريث البيلوجى والثقافى .. قد تكون بيلوجية الأصل فنسميها فروق وراثية لنعنى أنها تصلك مع دناك .. وقد تكون سلوكية يتعلمها الفرد من الآخرين (ثقافية) .. وقد تكون فروق سلوكية وبيلوجية معاً.

الصفات التى تحددها الوراثة صفات ثابتة جداً على مر الزمن .. على عكس السلوك المحدد اجتماعياً أو المنقول بالتعلم .. الذى قد يتغير بسرعة كبيرة.

هناك كما ذكرنا سابقاً أن هناك فروق بيلوجية واضحة بين العشائر فى الخصائص المرئية التى نستخدمها فى تصنيف البشر .. تصبح العنصرية مبررة - على الأقل من الناحية الشكلية - إذا ما اتضح أن هذه الفروق تدعم فكرة تفوق سلالة على أخرى.

وأنا أرى أن التعريف الوراثى أو البيلوجى للعنصرية هو الأكثر إقناعاً.

وقد يوسع البعض المجال فى تمييز السلالات ليتضمن أى فروق بين المجاميع حتى أكثر الصفات الثقافية سطحياً .. والفائدة الوحيدة لهذا التعريف العريض هو أنه يتلافى ما إذا كان لصفات معينة مكون وراثى أم لا .. لكن يبدو من غير الملائم أن نتحدث عن فروق عرقية عندما نستاء من الصوت العالى أو إصدار أصوات عند الأكل أو من الذوق فى اختيار الملابس أو من صعوبة النطق الصحيح.

وهذا النوع الأخير من التعصب الشائع فى بعض البلاد أو بعض الطبقات الاجتماعية .. أسهل على ما يبدوا فى تصحيحه أو تحجيمه بالتعليم .. مقارناً بالعنصرية الحقيقية.

## أمثلة على تاريخ الإنسان فى بعض المناطق

دامت الامبراطورية الرومانية وقت أطول من الكثير غيرها فى أوروبا لكن زمانها امتد خمسة قرون لا أكثر - كانت فى حجم امبراطورية الانكا التى عاشت زمناً يربوا قليلاً من القرن .. وقبل الامبراطورية الرومانية استعمر شواطىء البحر المتوسط بضع قوى بحرية (الاغريق والفينيقيون والقرطاج) وفى نفس ذلك الوقت شهدت البلاد الأوروبية البعيدة عن الشاطىء الأمراء السيتيلين وهم يسيطرون على معظم أوروبا.

وفى خلال النصف الثانى من الألفية الأولى قبل الميلاد اتحدت كل وحدة من إقطاعيات السيتيلين والبحريين بروابط تجارية ولغوية وحضارية لكنها كانت مفككة سياسياً .. وفى النهاية كان لابد لها جميعاً أن تسقط.

أقام الرومان أول حضارة فى أوروبا مترابطة سياسياً .. لكنها سقطت فى نهاية الأمر أمام الغزاه من (الهمج) الآتين من الشرق .. ازدهر الهمج ولم يستمر باقياً حتى العصور الوسطى سوى الجزء الشرقى من الامبراطورية الرومانية - الامبراطورية البيظنطية - أما فى الغرب فقد أسس شارلمان الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة ٨٠٠ م وكانت ذروة التطور السياسى الفرنكى.

أعيد الاتحاد لفترة قصيرة بين فرنسا وألمانيا وأجزاء من إيطاليا وأسبانيا وبعد عام

١٠٠٠م تحولت القوة الفرنكية إلى ألمانيا .. وجزئياً إلى البابا .. على الرغم من الخلافات الكثيرة بينهم.

ومع القرن الرابع عشر كانت الامبراطورية الرومانية المقدسة قد فقدت كل قيمتها السياسية .. وإن بقى أباطرة النمسا يحملون لقب الامبراطور الرومانى المقدس حتى عام ١٨٠٦.

نشأت بعض دول أوروبية أو اندمجت فى الفترة ما بين ١٠٠٠ - ١٥٠٠م صحيح أن الحروب كانت بينها كثيرة لكن أياً منها لم يستطيع هزيمة معظم أوروبا قبل نابليون.

ومع تطوير سفن قادرة على مواجهة العواصف حاولت جيوش الأوروبيين وأساطيلهم أن تمتد سيطرتها إلى بقية العالم سعياً وراء ثروات القارات الأخرى .. أقام البرتغاليون والأسبان والإنجليز والهولنديون والفرنسيون والروس أقاموا امبراطوريات لهم عبر البحار ظلت باقية حتى القرن العشرين.

لكن التاريخ الأوروبى لم يشهد واحدة استمرت أكثر من خمسة قرون .. تمكن نابليون بسرعة من هزيمة القارة الأوروبية .. لكن حكمه لم يزيد أكثر من عشر سنوات.

بدأت الامبراطورية الصينية فى القرن الثالث قبل الميلاد وتحملت تقلبات كثيرة تحت حكم عدد هائل من الأسر الحاكمة لم يستمر حكم أياً منها أكثر من أربعة قرون .. وبعد فترات عصيبة سقطت الصين أمام المغول فى القرن الثالث عشر .. وبعد مائة عام أعاد الكنج السيادة الصينية لفترة قروناً ثلاثة .. ثم حكمت أسرة أخرى أجنبية (أسرة الكنج) لبضعة قرون حتى القرن العشرين .. وسنجد نفس النمط فى كل قارة أو شبه قارة.

## الخلاصـــة

١ - سنجد باستثناءات قليلة أن الناس يحبون العالم الصغير الذى ولدوا فيه ولا يريدون تركه فالحضارة الأوروبية عند البيض هى أعظم الحضارات وأفضل الأجناس هو الأبيض (الفرنسيون فى فرنسا والإنجليز فى انجلترا) لكن ماذا يرى الصينيون واليابنيون.

٢ - إن الأشياء كلما ازداد تغيرها بقيت كما هى ـ فالعائلات النبيلة أو ذات السلطان تأتى وتروح .. هناك تحول متصارع فى السلطة ـ لكن التغير فى بنى السلطة جد قليل.

٣ – يتقد الكبرياء القومى فى زمن النجاح .. إذا أحس شعب أنه قوى .. سهل على مواطنيه أن يقول نحن الأقوى والأفضل.

٤ – القوة قد تكون لها أصول غريبة حقاً فالقرارات العظيمة والمناورات السياسية الحازقة قد تؤدى فى النهاية إلى فترات من الازدهار .. والوصول إلى النفوذ السياسى كثيراً ما يتطلب العنف .. والعنف ليس دائماً جسدياً .. قد تساعد أيضاً الظروف الخارجية المواتية فى الحفاظ على الاستقرار حتى ولو لفترة وجيزة.

٥ – السياسيون الذين يستخدمون سلطتهم بمهارة يصعب أن تستبدل بهم خلفاء منهم قادرون مثلهم.

٦ – يمكن للشعوب فى سنى الاستقرار والازدهار أن تقنع نفسها بأن نجاحها إنما يرجع إلى نوعيتها الممتازة وإلى أن الخصائص الكامنة لسلالاتهم هى التى جعلتهم عظماء .. وأن وهم الخلود يتجاهل كل دروس التاريخ .. يتضاءل النقد الذاتى عندما يمضى كل شىء على ما يرام .. فيختفى أو لا يجد له الأذن الصاغية.

ربما كان (كلود ليفى شتراوس) هو من قدم أبرع تعريف للعنصرية .. انها الاعتقاد بأن سلالات بشرية معينة (تكون عادة ـ وليس دائماً ـ هى سلالة الفرد نفسه) هى سلالة فائقة بيلوجيا ـ ميزها عن غيرها ما حظيت به من جينات وكروموزومات ودنا متفوق.

إن هذا هو الحال مع أمريكا الآن .. وليس من قبيل المصادفة أن علينا أن نضرب الرقم (١) أولاً إذا أردنا أن نتلفن إلى الولايات المتحدة من الخارج.

فى أى لحظة معينة قد يسود شعب بالرغم من عديد من الدول التى سادت قبله أو ستسود بعده .. طبيعى لا يلزم أن يكون متفوقاً بالفعل كى تقنع بأنك كذلك فقد يرى الآخرون ذلك فى نجاح محدود .. يعتقد الكثيرون أن البيولوجيا هى التى تكمن من وراء هذه السيادة .. وهذا إن وجد فهو أيضاً موجود فى الجنس نفسه إذا تم تقسيمه وفقاً (اللون ـ الجلد ـ الطول .. إلخ ..).

# الفصل السادس
# الجانب الجغرافى للحاجز اللونى

بعد أن تناولنا مسألة اللون علينا أن نتتبع الخط الفاصل أو الحاجز اللونى بين ألوان الجنس البشرى فى العالم أجمع وقد أصبح الحاجز اللونى بسبب كثرة استعماله لفظ واضح المعنى لا يحتاج إلى شرح فهو يعنى الحاجز الخفى أو الجلى الذى يفصل بين البيض عن غير البيض متغيراً حسب الزمان والمكان والظروف(١).

ويمكن تقسيم المظاهر التى تقع على جانبى الحاجز اللونى إلى نوعين :

المظهر الظرفى. المظهر القصدى.

**أمثلة السياسة الظرفية :**

نراها فى الولايات المتحدة حيث الأمريكيون ضد الزنوج فى الجنوب لا فى الشمال على أنه ـ مع هذا ـ لا يعد مناصراً للزنوج بحال .. ويسود هذا الموقف نفسه فى المستعمرات البريطانية .. وأما فى روديسيا فالافريقيون محرومون من الوظائف الكبيرة ومن النوادى ومن الحوانيت والمكاتب بل من المصاعد ما لا يتاح لهم دخولها .. ويسمى فى روديسيا بنظام المدخل الضيق The hatch System وهو شبيه بتعليمات جيم كرو(٢) التى تتبع بعض المناطق فى أمريكا خاصة بعربات السكة الحديد والفنادق ودورات المياه وغيرها .. وفى سائر المستعمرات البريطانية ليست العلاقة فى مثل هذه الشدة .. ولعل ذلك راجع إلى أن الأجناس أكثر اندماجاً.

---

(١) يبلغ تعداد سكان العالم حسب تقدير الأمم المتحدة ١٩٠٠ مليون نسمة من غير البيض ويبلغ البيض ٨٥٠ مليوناً .. وهو أقل من نصف العدد الأول .. وسيبلغون حسب تقدير الأمم المتحدة فى نهاية القرن ٦ بلايين أو سبعة أى ضعف عددهم سنة ١٩٦٠.
ولا يعلم أحد كيف تحل هذه المسألة .. أن تخطيط الأسرة يقوم به من سمع به وعرف أمره .. أى البلاد المتقدمة.. وعلى هذا فأكثر الشعوب عدداً هى أسرع الشعوب فى زيادة عددها.

(٢) جيم كرو عنوان أغنية زنجية يغنيها دين ريس Dean Rice ألفت عام ١٨٢٠ ويبدو أن عنوان الأغنية يشير إلى لون الغربان السوداء.

## السياسة القصدية :

السياسة الصارمة المتبعة فى جنوب أفريقيا ـ سياسة الابرتهيد Apartheid ـ فهى فاصل قائم.

فى بعض المجتمعات حيث يوجد قطاع آخر يشمل ذوى الأجناس المختلطة وبين الجماعة الكبرى التى انفصلوا منها .. وفى بعض البلاد يعد هؤلاء رسمياً من البيض وفى غيرها يعدون من الزنوج .. وبناء على قول جيمس برايس James Bryce توجد بلاد يعد فيها أبيض كل من ليس أسود وبلاد أخرى فيها عكس ذلك .. وهو ما يتفق مع قانون السود القديم فى فرنسا Code Noir.

## النظام البريطانى :

يعد كل سكان المستعمرات البريطانية رعايا بريطانيين .. ومع هذا ففيها فاصل واضح للون يصحبه تمييز بين الملونين والبيض وفيها قدر يسير من الاندماج على أنه مقصور على الأسيويين .. وفى هذا النظام البريطانى يعد ذوى الأنساب المختلطة والاورو اسيوويين من الملونين أو (غير البيض).

وقد ذكر ألان برنز Allan Burns فى كتابه (دفاع عن المستعمرات) أن البريطانيين لم يحاولوا الاندماج مع الوطنيين فى مستعمراتهم لأنهم أرادوا أن يحفظوا لهم أصولهم غير مختلطة وألا يدمجوهم ثقافياً ولا جنسياً فى جماعات كبيرة العدد من الأجانب(١).

ويبدو أن هذا الرأى لم يكن مستساغاً أو مقبولاً لدى الرأى العالمى .. ومما لحظه برنز أن هناك نوعاً نمطياً من مقاومة الاستعمار يعم بخاصة البلاد التى توجد بها التفرقة العنصرية وشىء من الاستعمار .. وهو يذكر الولايات المتحدة مثلاً لتلك البلاد وقد حكمت جزائر الفلبين وهاواى ولا تزال تحكم جوام Guam وبورتريكو Porto Rico والفرق ضئيل بين موقف البريطانيين إزاء سنغافورا وموقف الأمريكان إزاء منطقة بنما .. ويرى برنز أن الاستعمار الروسى يخفيه عن الملاحظة أن دائرة نفوذه تمتد إلى البلاد المجاورة لروسيا فى أوروبا وآسيا .. والفتوى الكاذبة التى تقرر أن مياه المحيط الملحة ليست حاجزاً مادياً بين

(١) إن دعوى عدم رغبة البريطانيات فى إنجاب الأطفال فى المستعمرات ليتجنبن وصفهم بنسبهم إلى جنسية المستعمرات Coloonial هى دعوى غير صحيحة فى الغالب والسبب العادى لعودتهم إلى أوروبا هو رغبتهن فى الحصول على الرعاية الطبية فيها .. ومع هذا فهناك حالات تؤيد رغبة البريطانيات فى الولادة على السفن الراسية فى الموانىء لكى يولد أطفالهن فى أرض (بريطانية).

البلد الأم والمستعمرات فحسب بل هى أيضاً حاجز معنوى يغشى سائر أشكال الاستعمار والغلبة والتوسع كستار من دخان.

وعلى هذا الأساس كان من رأى برنز أن لا يعد أحد سكان فلاديفسك روسيا إلا كما يعد الهندى إنجليزياً .. ومن هذا الفاصل اللونى يفصل الأخيرين أحدهما عن الآخر ولا يفصل بين الأولين .. ومؤلفات برنز عظيمة الأهمية ولكن فيها أحياناً ما يدل على قصر النظر .. كتب عام ١٩٤٨ قال أن سكان البلاد الكثيرة التابعة لنا يقدرون مزايا حكمنا لهم.. ولا يروا ولا يرضيهم أن يستبدلوا به حكماً آخر ويرضون الاستقلال منه بديلاً .. فما على الإنسان إلا أن يوجه نظره نحو غانا التى كان هو نفسه حاكماً عليها .. إن رئيس حكومتها الذى غير اسمها نفسه فى أقل من عشرة أعوام أشار إلى هذه المزايا باعتبارها تغطية للاستغلال الاقتصادى .. والطريقة التى غيرت بريطانيا بها سياستها تتضح من حكمين صدرا فى مدى عشرين عام ففى عام ١٩٤٩ قال جودفيرى هجنز Godfriy Huggins فى معرض الحديث عن روديسيا ـ يكون الرجل الأسود فى المنطقة الأوروبية موضع ترحيب بوصفه عاملاً على أن يكون مفهوماً أنه لا يتعدى أن يكون معيناً لا منافساً للرجل الأبيض.

وبعد عشر سنوات فسر ماكيملان وجهة النظر البريطانية فى كيب تاون ما يلى :

(إن عواصف التغيير أخذت تهب فى أفريقيا .. وسواء رضينا أم لم نرضى يجب أن نعترف بالواقع .. إن ما نراه نحن البريطانيين صواباً أو خطأ فإنما نستمد من الحكم تجارب الفشل والنجاح فى إدارة الشئون .. إن هدفنا هو خلق مجتمع محترم فيه حقوق الفرد ـ مجتمع يكون أساس تقدم الإنسان فيه سياسياً واقتصادياً هو عمله وكفايته .. أنا نرفض فكرة تفوق شعب على آخر تفوقاً مبنياً على صفات طبيعية فيه .. وعلى هذا فسياستنا ليست مبنية على التفرقة العنصرية) .. ثم قال وهو يتحدث عن جنوب أفريقيا (أن بعض جوانب سياستكم تجعل من المستحيل أن نهب جنوب أفريقيا عوننا وتشجيعنا دون أن نكون مناقضين لعقيدتنا العميقة فى حرية الإنسان التى نعمل فى بلادنا على إقامة صرحها).

## نظام الولايات المتحدة :

لايزال النظام البريطانى البروتستانتى يسود الولايات المتحدة وفى جزائر الهند الغربية التى كان يحكمها البريطانيين والهولنديين إبان الحكم الاستعمارى .. أما فى أمريكا

الجنوبية بسبب النفوذ الأسبانى الكاثوليكى فليس فيها فاصل اللون .. ويشعر كل فرد فى أمريكا الجنوبية أقل سواداً أنه متفوق بعض الشىء على مواطنيه الذين هم أكثر ميلاً للسواد.

وفى الولايات المتحدة يعد مكتب الاحصاء زنجياً كل فرد أحد جدوده من الزنوج ولو لم يبدو من ملامحه الظاهرة أنه من غير البيض الخالصين .. وعلى هذا فكل الأجناس المختلطة على اختلاف درجة هذا الاختلاط تعد فى الولايات المتحدة زنوجاً .. مع إغفال نسبة الدماء الزنجية فيه .. وأنه لمتفق مع المنطق أيضاً أن تعد كل مختلط النسب أبيض .. مهما قلت نسبة الدم الأبيض فيه .. وهذا القول الأخير هو أحد الشعارات التى كثيراً ما تسمع فى البرازيل[١] وعلى هذا فمنطق مكتب الاحصاء فى الولايات المتحدة يستطيع أن يعد كل رجل مختلط النسب أبيض ولكن ليس لأى زنجى حقوق مماثلة فى الولايات الجنوبية .. وكان من أغراض قانون الحقوق المدنية الذى أصدره إيزنهاور سنة ١٩٥٧ أن يحدث بعض الإصلاح فى هذا الموضوع .. ويوجد الآن قانون عام أريد به إنهاء التفرقة العنصرية فى جميع الولايات .. وفى كثير من البلاد لم تعد هذه العبارة (للبيض وحدهم) تستعمل فى الإعلانات وحل محلها (نحن جميعاً أمريكيون) .. والمعاملة الظالمة للعمال بسبب عنصرهم يعاقب مرتكبها .. ولكن تصفية المسألة العنصرية فى الولايات المتحدة لاتزال بعيدة المنال.

## النظام الفرنسى :

إن هدف هذا النظام هو الاندماج بين البيض والسود (الأخوة) وكل سكان الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار مواطنون فرنسيون[٢] وكل مختلط النسب (هجين) يعد أبيض كلما أمكن ذلك ولا يعد عادة من السود .. وهذا النظام الذى يقضى الاندماج نظام مثالى (كل الناس أخوة) بينما الاندماج فى الكومنولث البريطانى واقعى (كل الشعوب أخوة).

(١) تضع إدارة الإحصاء فى الولايات المتحدة المولدين من غير البيض فى جنسية آباءهم باستثناء المولدين من الزنوج والهنود الحمر فإنها تعدهم من الزنوج.

(٢) تشمل فرنسا فيما وراء البحار الممتلكات الفرنسية فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية والبلاد التى تحت الوصاية .. ومع أن الجزائريين يعدون مواطنين فرنسيين (قبل استقلال الجزائر) فهم إما مواطنون فرنسيون أو (محليون) هذا وقد حصل بعض الأقاليم الإفريقية على الحكم الذاتى بناء على قانون عام ١٩٣٦ وفى الجمهورية الفرنسية الفيدرالية الحديثة حصلت الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار على (المساواة) مع فرنسا .. ولها صوتها فى اختيار رئيس الجمهورية الفرنسية.

ومع هذا فقد ظهر بمرور الزمن أن هذا النظام الفرنسى فيه رياء إذ من السهل أن ندعو إنساناً بأن نقول له يا (ابنى) وليس من اليسير أن نقبله صهراً لنا .. إن التناقض فى هذا النظام سيبين فى القسم التالى .. ويجب أن يذكر هنا أن الافريقيين يعاملون فى فرنسا معاملة أكرم من معاملة العرب مما يدل على أن اللون ليس هو وحده أساس العلاقة بين الناس.

## النظام اليابانى :

عندما خضعت أجزاء كبيرة من الجنوب الشرقى لآسيا للإحتلال اليابانى إبان الحرب العالمية الثانية كان هناك ظروف ظاهرة منعت وجود فاصل اللون فيها .. ولما كانت اليابان العظمى هى كبرى البلاد الآسيوية الحرة ورائدتها كان عليها أن تكتسب ود الآسيويين وتضعف فى نفس الوقت نفوذ الرجل الأبيض .. وإذا اتخذ اليابان هذا شعاراً لها فقد ألغت فاصل اللون القديم بين المستعمرين وأهل البلاد ومالت للوطنيين بعد أن كانت محرمة عليهم .. وقد تطور هذا إلى ثورة ضد سيادة البيض بل جعل سواد الشعب فى ثورة ضد طبقتى البيض العليا والمتوسطة اللتين كانتا مكونتين فى الغالب من العناصر المختلطة .. وكانت عقيدة اليابانيين غير الخفية بأنهم هم المحررون لهذه الشعوب وأنهم شعب مختار .. كانت آية صغيرة ولكنها كانت كافية للتفرقة .. ويكفى أن نقارن مسلك اليابانيين فى كوريا وفرموزا وتايوان فى العهد الماضى .. وفوق ذلك كانت سياسة اليابان هى الاندماج السريع فى كل المناطق التى كانوا يرون أنها متخلفة .. ومن الأمور التى تدل على هذه الروح إلزام كل فرد أن يسمى باسم يابانى .. ولم تنجح هذه الإجراءات إلا فى خلق كثير من الحركات الوطنية الآسيوية الصميمة.

وعلى الجملة لم تقدم اليابان لمن حكمتهم من الشعوب تلك الفترة القصيرة ما يحمدونه عليه إلا القليل[1].

## النظام السوفيتى :

لم يكن من المنتظر ـ لأسباب واضحة ـ أن يجد الإنسان فاصل اللون فى الاتحاد السوفيتى .. فالاشتراكية تعرض كأنها أسمى مراتب المساواة والإخاء وهدف الماركسية هو إلغاء أو على الأصح رفع طبقة البرولوتاريا التى تتميز بلونها فى كثير من البلاد .. وفوق ذلك فإن الدولة التى تدين بوجودها إلى محاربة الترفع على الطبقة المعدمة التى كان

(١) داى نيبون Dai Nippon أكبر جزائر اليابان سميت بعد الحرب العالمية الثانية نيبون كوكو Nippon Koku أو أرض نيبول.

تعدادها يبلغ الملايين لجدير بها أن تتجنب إقامة فاصل اللون[1] .. ولكن لأسباب سياسية أوجد فيها الياقة اللونية[2] ويبدو أن هذا أكثر أهمية نظراً إلى أن حوالى ربع سكان الاتحاد السوفيتى من غير البيض وأن بها حوالى ٢٠ مليون مسلم .. ومن رأى والتر كولارز Walter Kolarz أن روسيا تطبق مبدأ الأمر خط الأخ الكبير فى الأقاليم الجديدة ثم تأخذ فى حرمانها من كل شيء حتى أسماء البلاد من ذكرياتها القومية .. وهو يوازن .. مبدأ الأخ الكبير .. الذى لدى الروس بموقف الصين إزاء برما والتبت وموقف هولندا من اندونيسيا واليابان من سائر آسيا على أن الأولى كانت أكثر نجاحاً ويعبر هذا المبدأ عن نفسه - فيما وراء البحار - فيما يطلق عليه حلف شمال الأطلنطى N.A.T.C. (الزحف الشيوعى) فمنظمات مجلس تضامن الشعوب الآسيوية الإفريقية .. والاتحاد العام لعمال أفريقيا .. والاتحاد العام لعمال أفريقيا السوداء تقدم عوناً ثقافياً للدول النامية مثل الذى تقدمه مجالس وبعثات الأمم المتحدة.

## نظام جنوب أفريقيا :

فى جنوب أفريقيا يسود نظام العزل الاجتماعى الدقيق الابرتهيد .. ويقصد به التنمية الذاتية و (التوالد الذاتى) ولكن العزل يعنى التفرقة من حيث تعريفها .. ويمنع قانون اللاأخلاقيات Immorality Amendmcent الصادر سنة ١٥٥٠ (الزواج والاتصال الجنسى بين البيض والسود[3] وقد أعلن الجنرال سمطس Smuts أن التمييز بين الأجناس إجبارى وقال مالان Malan أن العزلة أحد تقاليد جنوب أفريقيا.

وكل من يعارض هذا التقليد أو يتردد فى المساهمة فى تنفيذه يعد مرتكباً جريمة الخيانة .. وفى جمهورية جنوب أفريقيا تعتبر ولاية الرأس أكثر الولايات تساهلاً فى تطبيق الحاجز اللونى .. ومن هذا فإن عليها أن لا تكون خارجة على ما يتبع فى سائر أنحاء الاتحاد .. ويعتبر مولونو الرأى من غير البيض.

---

(١) مما كتب جنتر Ganthir أن الرقيق فى روسيا القديمة حيث الشعوب المحكومة لم تكن إلا بمثابة ممتلكات التى شرعها الدين ولم تكن منزلتهم تختلف عن الزنوج فى أمريكا .. وكان الرقيق في روسيا مع هذا يتجاوز عددهم الزنوج فى الولايات المتحدة ونظراً إلى وجودهم فى جميع أنحاء البلاد كان لهم أهمية اقتصادية أكبر من هؤلاء.

(٢) قارن نداء الثورة الروسية : يا شعوب العالم المضطهدة اقضوا على هذه الآراء القديمة - وانتبهوا يا من ولدتهم أمهاتهم فى ظل العبودية - لن نعيش بعد اليوم وفقاً لإرادة الغير - أيها الرفاق استمعوا إلى صوت المساواة.

(٣) ينبغى أن يميز بين الأفريقى African وبين الأفريكانى Afrikaner الذى أطلقه بيض جنوب أفريقيا على أنفسهم باعتبار أفريقيا وطنهم وتمييزاً لأنفسهم عن السود.

ومسألة العزلة يعالجها مكتب جنوب أفريقيا للشئون العنصرية .. وقد أصدر توملتسون Tomlinson تقريراً فى هذا الموضوع سنة ١٩٥٦ وهو ينصح أن يكون تقدم البيض بمعزل عن السود والصعوبة - من ذلك - هى مع أن السود متفوقون فى العدد بينما البيض هم الأقلية المتحكمة .. وهذا ليس غريباً فى المستعمرات عادة .. ولكن فى جنوب أفريقيا أمر له أهمية خاصة وهو أن البيض فيها ليس لهم وطن أصلى - أى ليس لهم وطن (أم) ولهذا السبب جاء فى إجابة فرفورد Verwoerd إلى ماكيملان أن المسألة العنصرية فى جنوب أفريقيا لا تتضمن خصومة الافريقيين فحسب .. وإذا ما ذكر الإنسان العدالة يجب أن يذكر العدالة للرجل الأبيض كذلك.

ويرى هورنليه Hoernli أن الوحدة العنصرية تتم عن طريق الاندماج الثقافى والاقتصادى بعد أن يتم للجماعة اندماج اجتماعى وسياسى وحيوى .. وأكثر ما يخاف هو النوع الأخير لأنه يهدد بقاء الرجل الأبيض فإن عدد السود ثلاثة أضعاف عدد البيض .. ولذلك فإن الخطوة الأولى للاندماج تقابل بالحذر الشديد.

أما من حيث حقوق البوير فى أفريقيا الجنوبية فمن المسلم به أنهم هم اللذين أنقذوا البلاد من قبائل الشاكا والدنجار Chaka & Dingaer اللذين وفدوا من بلاد بعيدة وقد قتلو فى غزوهم جنوب أفريقيا ما يبلغ مليون نسمة من البانتو Bantu ومع هذا فكثيراً ما يزاع أنه ليس للافريقيين حقوق فى هذه المنطقة .. وهذا الرأى قد يكون منطبقاً كذلك على الأمريكيين واستراليا وعلى الهنود الاريين فى الهند(١) .. ومع كل فالمسألة فى مستقبل الأيام أكثر أهمية منها فى الماضى أو حتى فى الوقت الحاضر فحقوق الأولوية لا قيمة لها بالإضافة إلى العلاقة بين الجماعات المختلفة فنسبة السود إلى البيض أو ما يطلق عليه معامل اللون الديموجرافى Demographic Piymuit Confficient التى كانت كنسبة بين ٤ : ١ سنة ١٩٠٤ فهى بعد ما لا يتجاوز نصف قرن كالنسبة بين ١١ : ٣ ولو أن المعادلة الأخيرة يمكن أن تختصر إلى ٤ : ١ فإن المهم هو الفارق العددى وهو الذى يعتد به .. ففى سنة ١٩٠٤ كان البيض حوالى مليون نسمة والسود ٤ ملايين فى جنوب أفريقيا فقفز العدد إلى ٣ ملايين من البيض و ١٢ مليون من السود سنة ١٩٦٠(٢).

---

(١) من الغريب أن يطلق الكاتب هذا الرأى مع هذا التحفظ البسيط من أن حق كل فرد مكفول فى موطنه .. ومسألة قدم الأفريقيين فى جنوب أفريقيا دافع عنها أكثر من كاتب .. يراجع فى هذا الفصل الأول من كتاب Peoples & Policies of South Africa 1960.

(٢) البيض ٣ ملايين والوطنيون ٩ ملايين ونصف والملونون فى مستعمرة الرأس مليون والاسيويون ٨٠٠,٠٠٠.

وزيادة علي هذه المصاعب العنصرية يوجد فى جنوب أفريقيا المنافسة الشديدة بين الافريقيين الأقوياء من الناحية السياسية والبريطانيين ذوى النفوذ الاقتصادى القوى .. كما يوجد بها الخلافات الدينية كذلك .. ويبلغ الكاثوليك ٥٪ والبروتستانت ٦٠٪ وهؤلاء منقسمين إلى فرق ومذاهب لا عد لها.

وفى سنة ١٩٦٠ بلغت هذه المسألة حداً مخيفاً يوم أحرق الأفريقيين تصريحات المرور التى يلزم بها القانون .. إذ عدوها شارة للتفرقة العنصرية.

وهذه التصريحات هى فى الواقع تفيد فى تعيين أهل البلاد من آلاف غيرهم يريدون اجتياز الحدود .. وليست هذه التصريحات مما يلزم استعمالها لدى البيض لأنهم لا يقدمون إلا عن طريق البحر أو الجو وتبحث جوازاتهم فى الميناء .. ومشكلة التصريحات يجب أن تعد مقياساً للحالة العامة حيث أن البيض لسوء الحظ لا يرضيهم أن يصيب الأفريقيين أى تقدم[١].

## مدى انتشار فاصل اللون :

رأينا من قبل أن فاصل اللون قد يسير فى بلاد كثيرة ضد البيض حيث يتحرك ضد البيض تاركاً مجالاً أوسع للسود .. والعلاقة بين تحرير السود المستمر وبين نمو الحاجز اللونى يمكن ملاحظتها بعد إلغاء الرق مباشرة حينما انسحب كل نفوذ للجماعات البشرية فى الجانب الأسود من الحاجز اللونى .. ومع هذا فعند انتهاء الرق أوشكت أيام عجز السود على الانتهاء .. ورغماً من هذا ـ أى مع عدم وجود الرق ـ ابتدعت عدة وسائل لإجبار الشعوب المحكومة على تأدية خدمات بلا مقابل .. وعلى مر الوقت كانت الأجور تؤدى لما يقوم به العمال من الخدمات التى كانت تفرض عليهم فرضاً وكانت العقوبات توقع على كل من يمتنع عن تأديتها .. وإذا كان هناك نقص فى العمال يجلبون من البلاد الأخرى التى قد تكون على بعد شاسع فى بعض الأحيان .. وبعد تحرير الرقيق الزنوج فى أمريكا الجنوبية مثلاً ظهر الصينيون والأندونيسيون فى منطقة البحر الكاريبى حيث هجر الزنوج المزارع[٢] .. وأمكن الحصول على العمال عن طريق الرق أو بدفع الأجور .. وكان من الآثار

---

(١) فى جنوب أفريقيا يلزم كل افريقى بحمل التصريح وهو غير مقتصر على الوافدين فقط .. وأدى هذا إلى وقوع الافريقيين فى كثير من المخالفات القانونية مما فتح المجال أمام القبض الجماعى على الأفريقيين إذا كانت الحكومة تريد أن تمد بعض المزارع الأوروبية باليد العاملة .. ذلك لأن الحكومة هناك تعتبر مجرد القبض على الأفريقى اتهاماً .. والمتهم يخير بين السجن والعمل فى مزرعة أوروبية.

(٢) يطلق لفظ الطائر الأسود Black Bird على الزنجى الرقيق.

الباقية للرق الالتزام الذى يؤدى بمقتضاه بعض المناطق العمال اللازمين .. وعلى هذا أمكن الحصول على العمال بطريقة الرغبة على أن يحصلوا على أجورهم بإشراف رؤساء العمل من البيض .. ومن الأساليب التى كانت متبعة نظام حصول إحدى المناطق على الأجر مقدماً فى مقابل تقديم العمال اللازمين.

وقد تطور النظام من علاقة الرقيق بسيده إلى نظام الخادم إلى سيده ثم إلى فكرة الأخ الأكبر وتطبق فى بعض البلاد[1].

وكانت إحدى نتائج حاجز اللون أنها جعلت لون البشرة هو العامل الهام فى تقرير وضع الفرد .. ولم تكن النتيجة المنطقية لهذا ما قيل بأن الشعوب التى تقهر من السود فحسب بل إن الشعوب السوداء هى التى تقهر.

وهاتان العبارتان صحيحتان إلى حد كبير ولكن هذا لا يؤثر على أن لكل منهما معنى مغاير للأخرى .. وكان هذا الإيهام سبباً فى استحالة خروج الملونين عن السلطان الأعلى للسادة الحاكمين .. ونظروا إلى أن هؤلاء كانوا عادة من البيض فقد كان هناك تدرج فى اللون حسب الوظائف التى فى المستعمرات حتى الحكم غير المباشر كان يضطلع به الموظفون على طريقة (السندوتش) إذ كانت السلطات العليا فى يد البيض ثم يجىء الملونين فى الطبقة التى تلى وظائف هؤلاء .. ثم تجىء طبقة من الموظفين البيض ثم الطبقة الأخيرة الدنيا من الملونين الذين يكونون عادة أشد سمرة من الطبقة الثانية.

## حاجز اللون فى عالم البيض :

أن أى وصف للجانب الجغرافى لحاجز اللون لا يكمل ما لم يبحث الموقف فى أوروبا ولو أنها هى القارة التى من المفروض خلوها من مشكلة اللون .. ولا يخفى أنه فى أوروبا كغيرها من أنحاء العالم تختلف تفاصيل حاجز اللون من بلد إلى آخر ولكن يكفى هنا أن نذكر الصفات العامة لحاجز اللون فيها.

ولقد وفد إلى أوروبا حتى قبل الحرب العالمية الأولى عدد من المهاجرين غير البيض ولكن وجودهم بين مجتمع البيض لم ينشأ عنه أى مشكلة بل ظل الأمر غير ملفت للنظر أو لم يقابل بما يستحق من الاهتمام .. وزاد عدد من زاروا أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى

(١) هذه المعاملة ـ معاملة الأخ الأكبر للأخ الأصغر ـ توجد أيضاً فى أوساط خالية من علاقة البيض بغير البيض .. فهى واضحة فى معاملة أهل جاوه لسكان سائر الجزائر الأندونيسية بما فيها سومطرة نفسها.

زيادة كبيرة .. بل شجعت بعض البلاد هذه الزيارات مثل فرنسا والأراضى المنخفضة .. ولكن الهجرة على مستوى كبير لم تشجع مطلقاً .. على أن عدداً كبيراً من الجنود السود قدموا إليها بعد الحرب العالمية الثانية(١) ونتج عن ذلك بقاؤهم فى جزء كبير من ألمانيا.

وفى هذه الفترة عينها استقبلت أوروبا من غير البيض عدداًمتزايداً من الطلبة وآلاف ممن سبقت هجرتهم من المستعمرات إلى البلاد التى تتبعها هذه المستعمرات .. وكان الاندماج فى مجتمع البيض غاية فى الصعوبة .. حيث منع زواج المهاجرين الملونين للنساء البيضاوات .. مما يدل على أن أكثر من ١٠٠ طفل ملون هجرتهم أمهاتهم البيضاوات (وهذه صورة مقلوبة لما عمل فى المستعمرات السابقة حيث هجر كثير من الآباء البيض أولادهم الملونين قبل ميلادهم) .. ولهذه الأسباب وخوفاً من المتاعب التى تنشأ عن تبنية الرعاية الملونين فيما وراء البحار صارت مسألة اللون مما يشغل بعض البلاد الأوروبية .. ولكن مسألة اللون عند هذه البلاد تختلف عنها فى الولايات المتحدة .. أو فى جنوب أفريقيا .. لأنها ليست مشكلة تفرقة بل مسألة اندماج علي أنه من الواجب أن نقدر أن الملونين فيها أقلية ضئيلة.

ومع كل هل تعلمنا من التاريخ أو هل استفدنا من التجارب .. ؟ .. ولطالما فشلت محاولات لإدماج الملونين فى مجتمع البيض .. بل قد نتج عنها أحياناً عكس المراد منها .. وإذا ما اقترن زنجي ببيضاء فقد تم شىء شبيه بالاندماج فى الجيل القادم لو أن مثل هذا يسمى اندماجاً .. ولا شك أن نوعاً من الصداقة توجد موهماً بأن الاندماج بين الجنسين قد تم .. والواقع أن الزواج نفسه لا يخلق الاندماج الصحيح .. وكانت النهاية التى لا مفر منها ظهور هذه الحقيقة واضحة .. وها هى ذى حادثة والد الزوجة الذى طلب من صهره ألايكثر من زياراته .. بسبب الجيران .. وشبيه بهذا ما حدث للزنجى الذى لم يلاقى أثر حاجز اللون فى مقاهى أوروبا ومطاعمها إلى أن طلبت منه المقاهى يوماً ألا يتردد عليها فى فصل الصيف خشية شكوى السائحين الأمريكيين .. وهذا قد دعا كثيراً من الملونين إلى كره المدنية الغربية لا حبها وتقديرها.

وفى مثل هذه الظروف لا يكون للإقامة فى أوروبا أي غرض ذو فائدة .. ولعل مثل هذه الأحداث التى يسميها توينبى (دافع الضغط) هى التى كان لها أثر كبير فى كبار المجاهدين ضد الاستعمار وفى كبار القوميين فى هذا القرن.

---

(١) كانت إقامتهم مختلفة عن تلك الإقامة القصيرة بعد الحرب العالمية الأولى.

ويرى دى فرايز De Vries أن أشد لطمة يقشعر لها بدن الطالب الملون أن يسمع ويرى العبارات الدالة على التفرقة توجه إلى من عاشوا فى أحضان المدنية الغربية .. وعجزوا عن أن يحصلوا على ما كانوا يعدونه يوم رحيلهم مفتاح القوة والعزة والكرامة .. ومن رأى المؤلف أن هذا صحيح ولكن هذا الرجل الملون الذى عاد إلى وطنه لا يلبث أن يجد المكان اللائق فى بلاده .. ولكن الصعوبة فى اللطمة التى أصابت الطالب عندما كان فى البلد الأم.. وليس أثرها شعوراً مؤقتاً بخيبة الأمل بل سيكون أثرها الشعور بالإهانة التى تتطلب الانتقام .. وقد تكون الإهانة مما لا يكاد يدخل فى هذا الباب ولكن الرجل الملون الذى لا يجد فى أوروبا من حسن الضيافة إلا مشاعرها الكاذبة يحس بهذه الإهانة .. وهو ملاقى فيها ـ على حد تعبير جنتر Gunther الإخاء دون المساواة .. ولقد أشرنا من قبل إلى حادثة الرجل الذى عبر عن تمييز اللون لدى صهره .. وشبيه بها حادث الشاب الزنجى الذى استقبلته أسرة من البيض بالترحاب حتى إذا طلب الإصهار إليهم ـ أصيبوا بالزعر والاضطراب الشديد.

وقد يدعو توالى عبارات التمييز إلى حالة من التوتر الشديد مما قد يحدث عنه انفجار فى النهاية .. إنى أسوق لهذا مثلاً فتاة زنجية عاملة بأحد المصانع أحست بالدافع إلى أن تضرب ضربتها .. فقد كانت عاجزة عن أى اتصال حقيقى بأحد فى المصنع وكان يؤلمها ما تسمعه من الألقاب الدالة على الزراية بها فقد بلغ بها التأثر أن تملكتها الرغبة العارمة فى الانتقام فحاولت تسميم جميع العاملين معها .. ولن يذكر هذا التصرف دليلاً على أن السود (ليسوا أهلاً للثقة) إلا جاهل أو خوءون.

فإذا ما نجح الملون فى تحطيم الحواجز العنصرية والاجتماعية وصل إلى المكانة التى يستأثر بها عادة الرجل الأبيض ـ وعندئذ يصبح الاندماج ميسوراً .. ومن هذا فهو اندماج ظاهرى ـ ولو أن من العسير التفرقة بينه وبين الاندماج الحقيقى لأن الكرامة التى يتضمنها مركز الشخص الجديد أو حالته الجديدة ترجح الصفة الناتجة من الأصل العنصرى .. ولا يخفى هذا الحرج إذا كان الشخص الملون قليل الطموح راضياً بالبقاء فى الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها معظم ذوو قرابته .. وهذا فى الواقع مناقض للاندماج .. إذ أنه سعيد بحظوته بمكانة فى دائرة ضيقة من مواطنيه فى إطار مجتمع البيض .. وحسبة ذاك .. هذه الدائرة المحدودة توهم بوجود اندماج .. ولكن قد يكون الأمر عكس ذلك تماماً.. هذه الحالة يسميها ويرث Wirth الاعتزال Secissionism هى حالة استقلال

سياسى وثقافى واجتماعى للأقلية .. وهذا الاعتزال أمر نسبى إذا ما طبق على ظروف غير البيض فى أوروبا نظراً لصعوبة وجود وحدة ثقافية متماسكة واستحالة الاستقلال السياسى مع الحرمان من حق الانتخاب.

ولقد تكرر القول بأن القادم الحديث يقابل أحياناً بالترحاب لأنه شخص جديد وشخص معروف ولهذا كان ملفتاً للنظر (موقف الأجنبى) الذى يقفه الرجل له صلة وثيقة بالبلاد التى قدم منها القادم الجديد .. فإذا كان الرجل الأسود قادماً من بلاد مستقلة كان فى موقفه من الكرامة ما ليس لقادم من إحدى المستعمرات .. فهو ليس أحد أفراد المستعمرات فيما وراء البحار بل هو مواطن حر قادم من اقليم حر مستقل .. وعلى هذا لن يكون موضعاً للزرايه .. ولن يكون أثر لكره الغريب ولا لحاجز اللون .. بل سيكون بدلاً من ذلك حب الغريب أو شعور بالزمالة فهذا الأجنبى الذى صارت بلاده صوتاً للبلد الأم .. وعلى أساس هذه الظاهرة تختلف مكانة الأقليات المتعددة اللون فى الأراضى المنخفضة حيث يوجد Ambonese والأوراسيون وأهالى الانتين وسورينام.

والموقف الذى يقفه الناس من الرجل الغريب قد يخلو من (الفتنة) به إذا كان مسلك القادم الجديد غير حميد .. وإذا كان هؤلاء السفراء الذين يدعو تصرفهم إلى النقد لذوى البشرة الملونة فما أيسر أن يعدوا نموذجاً لعنصرهم بأكمله .. وهذا خطأ وقع فيه كثير من البيض فى المستعمرات.

إن المهاجرين الجدد يفسدون العلاقات العنصرية الطيبة إذ يحرضون جميع مواطنيهم إلى أن يعتبروا مثلهم .. وهذا ما يدعو الملونين من ذوى المكانة إلى تجنب عثرة بنى جلدتهم الذين لا يراعون جانب القانون فى مسلكهم كما يدعوهم إلى هدم احترامهم .. وفى هذه الحالة لا يقال إنهم يتنكرون لجنسهم.

والآن وقد وصلنا إلى حيث يجب أن ينتهى الموقف العدائى ويبدأ الاندماج .. تتضح الأسباب التى تحول دون هذا الاندماج .. أن فى إمكانها أن تحمل المهاجر أو أى فرد من أفراد الفئة التى ينظر إليها بعين التمييز والتفرقة على أن تسير فى الطريق التى لا تتوقع السير فيها فلكى يستطيع الحياة فى هذا المجتمع الغريب يجب عليه أن يبحث عن عمل يكسب منه معاشه فى الميادين التى لا يلقى فيها أية مقاومة .. فعندما أخرج اليهود من النقابات اضطروا إلى البحث عن الأعمال التى ظلت ميسرة لهم .. وبهذا أصبحوا أكبر المشتغلين بأعمال المصارف .. وكذلك صار الصينيون من بائعى الفول السودانى إلى

أصحاب المطاعم .. ووجد الزنوج فى نهاية أمرهم متنفساً لفنهم فى مسارح الترفيه .. ويشبه توينبى هذا بنمو أحد أعضاء الجسم إذا ما عجز آخر عن أداء مهمته .. وهو ما يسميه (دافع التعويض).

ويجب التفرقة بين هذا وبين محاولة من يشعر بألم التميز فى محاولة خدمة مآربه الشخصية بأن ينضم إلى من يهزأ بآلامة وآلام مواطنيه .. إن مثل هذا التصرف نراه عندما سئل أحد الزنوج عن سبب مرحه فأجاب بأنه إذا لم يكن مرحاً فإن شقاؤه يكون مضاعفاً.

والملجأ الأخير لمن يرهقهم التمييز الخداع بأن ينتسبوا لغير جنسهم .. وهناك حل آخر للمميزين وهو يصدق بصفة خاصة فى البلاد التى يكون الملونين فيها أقلية سياسية وهو يقضى بأن يكون الملون عارفاً بمقدار ما تصبو إليه نفسه من آمال ويرضى بنصيبه الذى قدر له .. ولربما كان من الواضح أنه لا يوجد إنسان يقنع بمثل هذا النصيب ما لم يعتقد أنه أمر مؤقت وأن كل إنسان مهما قل شأنه سيجىء له يوم الذى ينصف فيه.

والآن أصبح واضحاً أنه لا حديث فى الاندماج الكامل بين البيض والسود .. حتى بين الجنس الواحد قد يحتاج الغريب أن يندمج فيه إلى جيل كامل .. أن الجريكو[1] El Grico لم يعتبر أسبانيا إلا بعد موته. ورغماً من أن أعماله الفنية مودعة فى المتاحف الأسبانية نماذج للفن الاسبانى فلم يطلق عليه طوال حياته إلا (الجريكو) ـ اليونانى ـ .

ولما كان من غير الممكن أن يكون هناك اندماج تام حقيقى فالتعبير بهذا اللفظ يعنى الاندماج السطحى أو الاندماج الجزئى .. أو التكيف بالنسبة للظروف ليس غير .. وهذا التكيف ضرورى إذا أريد للكره أن تغير اتجاهها .. وينقلب الاندماج إلى خلاف يتحول فيه الرجل الملون كارهاً للبيض .. وهذا يحدث أيضاً إذا ما حاول الأبيض أن يذكر الملون بأياديه ضده .. والتاريخ قد برهن أولاً أن العكس هو الصحيح .. والأمر الثانى أن فعل الخير يعتمد إلى حد كبير على نفسية الطرفين.

وإذا أريد أن نحدد الاندماج بمعناه الصحيح يجب أن نختار لفظاً أنسب لوصف العلاقة بين الأجناس المختلفة .. ولربما كان لفظ الأخوة معبراً صالحاً للعلاقة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر .. والتحالف أو المشاركة يدلان على اتفاق المصالح .. لكن ليس هذا المهم بل

(١) عاش هذا الفنان اليونانى الأصل الأسبانى الإندماج فى النصف الثانى من القرن السادس عشر والربع الأول من القرن السابع عشر.

قد يكون فيهما خطر على حسب العلاقات يقول ليبولد سيدار سينجور Leopold Sedar Segnhor على لسان فروبنيوس Frobunius لا يمكن بلوغ المثل الأعلى للإنسانية وأداب السلوك إلا إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض بلغة لا تكلف فيها.

وقد يكون فى هذا القول غلو فى تبسيط المسألة فإن فى البلاد التى لا تفرق ضمير المخاطب وضمير جمع المخاطب لم يتم بلوغ المثل الأعلى للإنسانية وآداب السلوك .. إن هناك احتمالاً واحداً باقياً .. يجب أن تكون الصداقة مبنية على المساواة مع حرية الاختيار ومع احترام الشخصية وحمايتها.

## الأمم المتحدة :

إن بعض الشعوب وقد أيقظتها تعاليم الديانات الكبرى وعرفت قرب المسافة اليوم بين كل شعب وما يجاوره من الشعوب وأحست بما يهددها من حرب ثالثة واستشعرت الخوف من الدول الحديثة التى تستطيع القضاء على المدنية .. قد اتفقت بعد الحرب العالمية الثانية على تنظيم الأمم المتحدة .. وكان من أعظم أعمال الأمم المتحدة أن أصدرت إعلان حقوق الإنسان فى ديسمبر عام ١٩٤٨ وقد تقرر به فى البندين الأول والثانى أن (كل الناس ولدوا أحرار ومتساوين فى كرامتهم وحقوقهم .. أنهم وهبوا العقل والضمير فيجب أن يعامل كل فرد غيره بروح الأخوة دون أى تمييز لا من حيث الجنس ولا اللون ولا اللغة ولا الدين ولا العقيدة السياسية أو غيرها ولا من حيث الأصل الوطنى أو الاجتماعى ولا من حيث الغنى أو الميلاد .. أو أى أساس آخر (وبناء على البند السابع تقرر) أن كل الناس سواسية أمام القانون ولهم ـ دون أى تفرقة ـ حق فى حماية القانون وليس هذا الهدف فى حاجة إلى أى تعليق .. فإذا ما تحقق فلا داعى لأن يقرأ أحد هذا الكتاب إلا على أنه معلومات تاريخية.

# الفصل السابع
# الكنيسة والمسألة العنصرية

## من هو قريبى (إنجيل لوقا ١٠ - ٢٩) :

ربما يثير دهشة البعض إذا علموا أن هذا الموضوع فيه مجال واسع للبحوث المطولة ولا يمكن أن نكتفى فيه بأن نقول بإيجاز أن الكنيسة عامة والكنيسة المسيحية بخاصة تؤمن بالمساواة والأخوة بين كل الناس .. وفى أحد الكتب التى نشرتها اليونسكو عام ١٩٥٣ يقول كونجار Congar لا تقر الكنيسة أى فروق أو أى تمييز بين الأجناس البشرية .. إن قوانينها تعارضها وتؤيد الوحدة الكاملة فى الأسرة الإنسانية ومن سوء الحظ قلما راعى ملايين الناس هذه الحكمة وفى بعض الأحيان لم يجعلها كبار رجال الكنيسة هدفاً لهم ولم يعتبر الجنس البشرى أسرة واحدة فى جميع الأزمنة فمن الناس من كان يفسر هذه العبارة تقصيراً خاصاً ولايزال فيهم الآن من يفسرها تفسيره الخاص كذلك.

وفى إحدى نشرات اليونسكو فى المجموعة السابقة عينها[1] يقول فسرهوفت Visserhooft لقد حدث فى بعض عهود تاريخ الكنيسة المسيحية أن أصيبت العقيدة الأساسية بوحدة الجنس البشرى بهزة عنيفة بما استحدث فيها من تعاليم ونظريات قضت بنشوء شىء من التراتب فى الأجناس البشرية .. ويقرر كونجار أن جميع الكتاب الذين درسوا المفاهيم العنصرية الجديدة فى التاريخ أجمعوا على أن ينسبوا نشأة التفرقة العنصرية إلى عصر الاستعمار الذى حدث إبان القرن السادس عشر .. ومعنى هذا إما أن التفرقة العنصرية والتمييز العنصرى كانا غير معروفين قبل القرن السادس عشر فى البلاد المسيحية وسائر البلاد الأخرى .. وإما أننا أمام مسألة قديمة العهد ولكنها لم تطبق إلا فى القرون القليلة المتأخرة على لون البشرة باسم (المسألة العنصرية) .. وقبل أن تحل

---

(١) هناك مجموعتان ممتازتان أصدرهما اليونسكو : الأولى المسألة العنصرية والفكر الحديث. والثانية : المسألة العنصرية والعلم الحديث. وكل منهما يحوى عدداً من الكتيبات التى يعرض كل منها لجانب من جوانب المشكلة وقد طبع اليونسكو المجموعة الثانية فى مجلد واحد صدر عام ١٩٦٠ بعنوان : Le racisme devant la science.

هذه المسألة يجب أن تحدد فى قولنا تحديداً دقيقاً الفرق بين التفرقة العنصرية كما نفهمها من الناحية النظرية وبين التمييز العنصرى الذى تسببه حالة الحرب .. فى الحالة الثانية توجد لا شك علاقة عدائية بين جماعتين كانتا فى نظر كل منهما متساويتين فى الظروف العادية .. والتميز إذا أريد تعريفه فى مثل هذه الحالة إن هو إلا ظاهرة مؤقتة ولا محل له فى هذا الكتاب فنحن نعنى بالتميز الدائم الذى يوجد فى حالتى الحرب والسلم على السواء وهو الذى يتضمن التميز المصطنع والعزل والازدراء.

ولما كانت التفرقة تتضمن تمييزاً بين ما هو دون ذلك أو بين ما هو طيب وما هو خبيث.. يمكن أن نجد أصله فى جنة عدن (لست أنا الخبيث لكنه هو أو هى)[1] ولعل هذا الشعور بالتمييز هو الذى كان خطيئة الإنسان الأصلية ولأننا قد نجد تفسيراً حيوياً فى الشعور القبلى عند بعض الحيوانات على أساس من الإحساس العشائرى فبعض الطيور مثلاً تتآلف فى جماعات حسب ألوان ريشها .. وهذه دلالة واضحة بأن هناك فاصلاً حيوياً (بيولوجيا) وجد قبل العصر التاريخى الذى ساد فيه الاعتقاد أن الله لابد أن يكون ذكراً لا أنثى .. وهى تعد فى مرتبة أدنى من مرتبة الذكر .. وله القوامة وهو بهذا سيد التكوين ولابد أن يكون هناك تمييز قبل القرن السادس عشر مبنى على لون البشرة .. والنظام الهندى يشمل شعوباً تختلف فى ألوان بشرتها من المتزنجين ذوى اللون القاتم إلى اللون الناصع البياض فى الأريين والدرافيديين Dravidians ونظام الطبقات لدى الهنود يقضى عدم لمس البارين Pariahn على أنهم منبوزين .. وهذا النظام يرجع تاريخه إلى يوم أخضع الهندواوروبيين الشعوب التى تقطن فيما يجاور نهر السند .. وكانوا يرون أنهم المختارون أو النبلاء .. والطبقة العليا كانت طبقة الأريين الذين يرون تفوقهم بسبب لون بشرتهم الناصع .. هذا ولو أن نظام الطبقات لم تكن البوزية تقره .. ولا تعترف بأى تمييز أساسه مولد الفرد[2] ويقارن به تصريح الأمم المتحدة أن كل الناس سواسية فى الكرامة والحقوق .. فإن النظرية الأرية التى قوامها كفاية الفرد كانت غير متكورة وكان هناك تمييز للطبقة السادسة بين الطيب والخبيث وبين السيد والرقيق.

---

(١) سفر التكوين (الإصحاح الثالث) .. الأياتان ١٢ – ١٣٥ ونص الأيتين (فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت قال الرب الإله للمرأة ما هذا الذى فعلت .. فقالت المرأة الحية عرفتنى فأكلت).

هذا ويميز هنود الباكارى Bakari فى البرازيل بين كورا Kora التى تدل على نحن (والطيب) وبين كورابا Kuraba التى تدل على هم (والغريب) (والخبيث).

(٢) ولهذا السبب كان على كل من يقبل فى دير بوزى أن يتخذ اسماً جديداً.

وفى مصر نذكر أنه كان فيها شعور ضد اليهود قبل عصرنا هذا بوقت طويل وهو ما دعا المصريين إلى قتل كل طفل يلده اليهود (ولم ينجو من القتل إلا الطفل الذى كان سبباً فى إنقاذ شعبه) رغماً من أن الجدين الأولين لليهود والمصريين (سام وحام) كانا أخوين .. وكذلك هامان رئيس وزراء قورش أخذ يذبح اليهود فى أعداد كبيرة قبل أن يقوم بذلك هتلر بعده.

وكثيراً ما نرى اليهود أنفسهم وهم فريسة هذا الإيذاء يقومون بالتفرقة بينهم وبين غيرهم كما يدل عليه العهد القديم .. إن فكرة (الشعب المختار) لتدل علي شعور بالتفوق على الغير ولو أنها قد تكون وسيلة للدعاية يبررون بها رسالتهم وقد لا تعدوا أن تكون وسيلة أملتها الضرورة لاسترداد هيبتهم بعد الذى عوملوا به فى مصر .. ويبدو أن دعواهم أنهم الشعب المختار كان تاريخه خروج إبراهيم من مصر (سفر التكوين إصحاح ١٣) لا خروج موسى منها (سفر الخروج إصحاح ٢٠) وقال يهود لإبراهيم (سفر التكوين إصحاح ١ - ٣) وأما إسماعيل (وهو ابن إبراهيم من هاجر المصرية) لقد سمعت لك فيه.. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً وأجعله أمة كبيرة ولكن عهدى أقيم مع إسحاق (سفر التكوين إصحاح ١٧ الآيات ٢٠، ٢١).

وقال محييا رفقه (من أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد الصغير - سفر التكوين الإصحاح ٢٥ الآية ٢٣).

وقال الله لموسى (إصحاح ٢٥ آيات ٢٩، ٤٤) (وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد .. وأما عبيدك وإمائك الذين يكونون لك فمن الشعوب التى حولكم) (سفر الأويين إصحاح ٢٥ الآيات ٢٩، ٤٤).

وليس من المؤكد أن هذه الآيات تعد دليلاً قاطعاً على أن موقف اليهود كان سببه خوفهم من أصحاب الديانات الوثنية المجاورين لهم .. فما على الإنسان إلا أن ينظر إلى إسرائيل الحديثة حتى يجد اليهود البيض الاشكانزم يعتقدون أنهم أسمى منزلة من اليهود السفارديم القادمين من الشرق ومن أفريقيا[1] وليس الشعور بأنهم الشعب المختار مقتصراً على اليهود فإن شعب السادة الأريين Aryen Herrenvolk فى عهد الرايخ الألمانى الذين شعارهم النسر المحلق فى عنان السماء أبناء الآلهه وأبناء وطن الرب لهم نفس الفكرة تنوهيكيا Tenno Heika يعد ابن الله وكانت عبارة (الله معنا) التى هى شعار كثير من الشعوب .. تعنى الله معنا نحن لا مع غيرنا من الشعوب.

(١) الواقع أن اليهود السفارديم قدموا من أسبانيا والبرتغال وهم غير اليهود الذين لم يعيشوا مطلقاً فى أوروبا.

ويرى كينت ليتل Kenneth Litlle أن الإسلام لا يعتبر لون البشرة أساساً للتفرقة وهو يقرر أن الاحترام حق لكل الناس الذين أراد الله أن يخلقهم مختلفى ألوان البشرة[١].

ومع هذا فالمسلمون يفرقون بين المقيمين فى (دار الحرب) والمقيمين فى (دار الإسلام) وبهذا التعبير لا يعنى الإسلام إلا حالة السلام وحالة الحرب فلا أساس إذن للقول أن هناك تفرقة بين المسلم وغير المسلم.

ويقول بايرن Payrinne أن الشعوب المقهورة كانت تستعبد من مجتمع المؤمنين .. وبهذا يقوم بينهما حاجز .. وكان الحرم والأماكن المقدسة لها قداستها .. وكان يحرسها الخصيان وهم رقيق مجلوبون من البلاد المجاورة .. وأما حرية العقيدة التى يوفرها المسلمون لأعدائهم المقهورين فمردها إلى الرغبة فى بقاء المجتمع الإسلامى نقياً وتوفير عدد من الرقيق غير المسلمين[٢].

---

(١) يرى المسلمون أن من جراء المسيحيين أن يشتقوا اسمهم من اسم أحد الرسل معتقدين أنه ابن الله ولذلك لم يرى المسلمون أن يسموا أنفسهم بالمحمدين نسبة إلى محمد ـ إن المسلمون لم يختاروا لأنفسهم اسماً وإنما هذا هو اسمهم فى القرآن .. اقرأ قول الله تعالى **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** سورة آل عمران وقوله **﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾** سورة الحج ٧٨.

(٢) وهكذا نرى أنه بينما يعمل المسيحيون على تنصير أرقاءهم ليكفروا ما اقترفوا من أخطاء لا يحاول المسلمون أن يدعوا أرقائهم إلى الإسلام لأن الاحتفاظ بالرقيق المسلم لا يرضى عنه الله.

يعلق السيد المراجع فى هذا المقام بالآتى قائلاً :

هناك عدة أسس إسلامية يجدر الإشارة إليها :

عموم الدعوة الإسلامية وحض الله المسلمين على دعوة الناس جميعاً إلى الإسلام لا فرق بين سيد ومسود (يدل على هذا قول الله تعالى : **﴿قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾** وقوله تعالى : **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾**.

وعندما اشتد إقبال الناس على الإسلام فى عهد عمر ابن عبد العزيز .. وقلت الجزية ذكر الولاه هذا للخليفة فكان رده لقد بعث الله محمداً هادياً ولم يبعثه جابيا .. إن الإسلام لم يعزل غير المسلمين عن المجمع الإسلامى بدليل قوله تعالى : **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** .. هناك فرق بين نصوص الإسلام نفسها وبين تطبيق المسلمين لها .. فأعمال المسلمين ليست حجة على الإسلام وإنما الإسلام هو الحجة عليها .. والقول بوجود الخصيان فى الحريم أو الحرم لا تجد له أساساً إسلامياً فالإسلام ينهى عن تغيير خلق الله وعن التشويه .. ولم يحدث شىء من هذا فى صور الإسلام الأولى ولا قال به مذهب معتمد.

وللأسف خلط المؤلف بين تصرفات بعض المسلمين فى بعض العصور وبين نصوص الإسلام .. كما استند إلى أراء ليس لها بالإسلام صلة ويمكن أن نجد هذا الاتجاه واضحاً عند المؤلف ـ رغم أن مقدمة الكتاب كتبها السيد / ظفر الله خان ـ فى حديثه عن اليهود فى فلسطين .. فلم يشر أى إشارة إلى ما فعله اليهود بالعرب أصحاب الحق الأول فى فلسطين رغم إشاراته المتعددة إلى ما فعلته النازية باليهود.

ويرى ولتر ولبانك Walter Wallbank إن كثير من اليهود دخلوا الإسلام هرباً من الجزية التى فيها تمييز وتفرقة لغير المسلمين.

هذه الأمثلة تدل على أن التمييز كان موجوداً بكل مكان قبل القرن السادس عشر عندما كان التركيب الأرى الدرافيدى لازال مثالياً .. ولم تبلغ الإسلام والنصرانية ما بلغاه وقتنا هذا من النظرة العالمية[١].

## الحاميـة :

كانت الفقرة السابقة من هذا الفصل متعلقة بشعوب وقبائل ذات لون واحد .. وقد وضع أساس حاجز اللون فى العالم الصغير داخل سفينة نوح وكانت خطيئة حام ضد تقاليد الجنس السائد فى القبيلة حينئذ بأن نظر إلى أبيه وهو عارى الجسم[٢] وبهذا صحت عليه اللعنة وقدر عليه أن يكون خادماً لأخوته وقد سار الجد الأكبر للشعوب الملونة (وفى الديانة الهندوكية فئة السودرا Sudra المنبوزين خلقهم الخالق ليكونوا عبيداً للبراهما).

ولسنا على يقين من أن حام ونسله القريبين قد وصموا كما كانت العادة المتبعة مع المذنبين (قارن ما وصم به قابيل) ومن المسلم به أن السلالة من أبناء حام كانوا أشد ـ سواداً ممن بقوا على قيد الحياة بعد الطوفان وأصبح من اليسير أن نفهم السبب الذى من أجله خلطت الأديان المتأخرة بين الشعوب الملونة والزنوج .. وفى كثير من البلاد يعد غير البيض إما مهجنين أو زنوجاً وفى بعض الأحيان يعد كل أهل الملايو والأندونيسيين والزنوج جميعاً من السود .. وهكذا يتضح سبب الخلط بين الأفريقيين من شرق القارة والأفريقيين من غربها .. ولكن محاولة تبرير البيض حكم السود ورقهم باستنادهم إلى أسطورة حام السابقة مصطنعة وغير مقبولة .. وعلى كل فليس من الأمانة المطلقة أن نعد السامية

---

(١) النظرة العالمية فى الإسلام واضحة فيه من أول الأمر ويكفى أن ننظر فيها إلى قوله تعالى مخاطباً رسوله : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وكثيراً ما نجد خطاب الله تعالى فى القرآن موجهاً إلى الناس لا إلى شعب أو عنصر أو جنس مثل قوله تعالى : ﴿قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض﴾ ـ سورة الأعراف وما يذهب المؤلف إليه من أن كلاً من الإسلام والمسيحية أصبح لهما وضع متحرر لا نجد له أساساً فى أصول هذه الأديان الكبرى .. بل الأساس هو النظرة العالمية والمساواة بين الناس جميعاً.

(٢) رؤية عورة أبيه هذه العبارة يجب أن تفهم بمعناها الحرفى بسبب الاعتقاد فى (الحسد) .. ولكن هناك من يذهب إلى أن أسطورة حام يأتى فى عهد داوود .. وقد فسرت الحرب التى قهر اليهود فيها الكنعانيين على أنها انتقام إلهى من الشعب الذى اشتهر بالعرى والاختلاط.

مبرراً للتفرقة العنصرية وبخاصة لأن الحاميين من الوجه التاريخية لم يكونوا يوماً ما خدماً لأخوتهم .. العكس كان هؤلاء الأخوة أبناء سام هم خدمة الحاميين فى مصر.

وفى العهد الجديد لا يقر هذا الكتاب المقدس تمييز الأقليات فى السامرى الطيب .. فى إنجيل متى إصحاح ١٠ نقرأ : (إلى طريق لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا) ولكن .. أنه السامرى وموقف اليهود الذى ينطوى على التمييز لا يكاد ينسب إلى الحالة الفعلية لأن السامريين كانوا يحسنون معاملة اليهود بل قد عرضوا بناء المعبد .. الواقع أن سبب تمييز السامريين أنهم حنقوا عليهم لا يخلصوا لدينهم ولفقوا بينه وبين غيره من الديانات (الدين الصحيح) ـ الدين الذى هو خير من جميع الأديان ـ لم يؤمنوا به الذى كان بين اليهود والسامريين إذن كان مسألة تمييز عنصرى وكان مطلقاً الكتاب المقدس الذى جاء فيه أن الله (خلق كل الخلق من نفس ليعمروا سطح الأرض كلها .. ومع هذا الكلام فيه (إلى أجل وفى مقام محدود).

## المسيحيـــة :

إذا أردنا تفسير تطور المسألة العنصرية بين المسيحيين يمكن عدد من الدوائر تمثل الأولى المسيحية فى بلاد البحر الأبيض .. والدائرة الثانية حتى تشمل باقى أفريقيا .. والثالثة إلى الشرق الأدنى والأوسط .. والرابعة الشرق الأقصى[1] .. والخامسة إلى الأمريكتين .. والسادسة تشمل أفريقا.

## الدائرة الأولى :

كان المسيحيون فى القرن الأول الميلادى من القلة بحيث لم يكن من المتوقع أن يكون بينهم أى لون من التفرقة العنصرية .. ولم يكن لمعتنقى الدين ـ المسيحى أن يعادوا الساميين .. والعالم السامى مهد دينهم .. ومع هذا فقد كان الساميون فى منطقة البحر المتوسط من قديم الزمان قبل مولد المسيح مصدر تهديد لسواهم من الشعوب .. فالفينيقيون سكان المنطقة التى تعرف الآن بلبنان استعمروا شمال أفريقيا .. وأسسوا قرطاجة .. وكانوا يهددون سلامة روما ولم يقضى على خطرهم إلا بعد ثلاثة حروب

---

(١) إذا ذكر الشرق الأدنى والشرق الأقصى يقتضى اعتبار بريطانيا فى وسط العالم وفى العهد الحاضر لا يعجب الوطنيين فى بلاد الشرق أن يحدد موقع بلادهم جغرافياً بالنسبة إلى بلد (أم) وليس هؤلاء على حق نظراً إلى أن تحديد الأمكنة يقوم على أساس بعدها عن خط الصفر فى جرينتش.

وفيما كتب تاسيتوس وسنكا Tacities - Seneca يظهر لنا شعور الغرب ضدهم فى تلك الأيام وربما أثبت البرابرة ذوو البشرة السمراء وجودهم أيضاً فى تلك الفترة .. ومن المعروف أن لفظ البربر مشتق من كلمة يونانية استعملها هومر قبل مولد المسيح بخمسمائة عام لأن لغتهم التى لم يفهمها كانت أشبه بغثاء الغنم .. ولهذا كان من الأكثر احتمالاً أن البربر أول من أطلق عليهم هذا الاسم Barbarons وأن هذا الإطلاق ـ على هذا الأساس ـ أقدم من إطلاقه على المتبربرين Barbarons القادمين من الشمال ومن حسن حظ هومر أنه لم يعلم أنه ولد فى أرض تركية[1] غير يونانية وأنه لو ولد فى أيامنا هذه لرطن بغير اليونانية .. ومع هذا فأرسطوا الذى ولد بعده بخمسمائة عام كان يرجو أن يكون كل من ولدوا خارج حدود بلاد اليونان عبيداً لليونان الذين ادعوا أنهم وحدهم أصحاب الفكر.

## الدائرة الثانية :

تخلت المسيحية بعد انتشارها التدريجى فى أنحاء أوروبا عن عطفها على اليهود .. فهم فى رأيهم قد قتلوا المسيح وعرف عنهم أنهم يقدمون أبناءهم قرابين توصلهم إلى الجنة .. وفى القرن العاشر كان لليهود حق خاص فى القسطنطينية وكان محرماً عليهم فى كثير من البلاد أن يتزوجوا بالمسيحيات أو يؤدوا الشهادة ضدهم .. وكثير منهم حرق فى برلين فى القرن الخامس عشر .. وأما فيينا فقد طهرت من اليهود جميعاً وكانوا متهمين بتثبيط غيرة الصليبيين ولهذا منعوا من الاتصال بهم .. وفى سنة ١٥٥٥ أنشأ البابا بولس الرابع لهم معسكرات تغلق أبوابها ليلاً .. وكان غير المسيحى خارجاً على القانون .. كتب لاندمان Landmann أن الفلاحين الإيطاليين لازالوا يضربون حميرهم ويصيحون Noné Cristiana (يا غير المسيحى).

## الدائرة الثالثة :

عندما استتب الأمر الدائرة الثانية فى أوروبا حاول المسيحيون أن يحملوا الإنجيل معهم إلى الشرق ومن رأى بانيكار Panikkar أن ذلك لم يكن إلا وسيلة لإخفاء غرضهم الحقيقى وهو البحث عن مجال حيوى Le bensraum خارج أوروبا .. وبدأت الحروب الصليبية والحروب الدينية .. ولم تنتهى تلك الحروب التى لا طائل تحتها ضد من لم يؤمنوا بالديانة

(١) لعل أكثر البلاد احتمالاً لمولد هوميروس بلده أزمير.

الجديدة من الشعوب الأخرى إلا عندما وقع الخلاف بين المسيحيين أنفسهم إبان الإصلاح الدينى فعادوا إلى جبهة الحرب الدينية فى بلادهم.

## الدائرة الرابعة :

فى تلك الأثناء هيأت الاستكشافات ميداناً للدائرة الرابعة فى الشرق الأقصى ومع شدة الأهوال التى كانت تصحب الحروب الصليبية لم يكن هناك شعور قوى ضد التبشير حتى أن كثير من الناس أمكن اعتناقهم للنصرانية رغماً من قوة الديانات الأخرى التى كان المبشرون يعملون ضدها.

ورغماً من مرور عدة قرون على أعمال التبشير واعتناق كثير من الناس النصرانية فقد كان هناك ما خيب الآمال .. إذ لم يجد كثير من البوزيين والهنود تعاليم النصرانية أكثر إغراء من دياناتهم .. ولم تزدهر بذور النصرانية وبخاصة عندما كان يسبقها المبعوثون البيض بالآراء الغربية .. وفوق ذلك كان الآسيويون يرون فى المبشرون عملاء لنشر العدوان الثقافى الغربى .. وقد حملوا معهم ثمار المدنيات الأجنبية إلى أوروبا كأنها غنائم حرب .. وفضلاً عما لقيته النصرانية من مقاومة الديانات المختلفة فى الشرق الأقصى وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام الإسلام الذى كان يكسب المواقع أمام النصرانية التى كانت مشوبة بمدنية الرجل الأبيض .. وقد أجاز البابا نوقولا الخامس للبرتغاليين تنصير الملحدين حتى من سبق إسلامهم وكان الملحدين أنفسهم يخشون الدخول فى النصرانية على أساس أنها أداء استعمار .. ولقد ظل خوفهم هذا مستتراً مدة ثلاثة قرون وأحياناً كانت لهم الرغبة فى أن ينتصروا خشية الانتساب إلى الطبقة الاجتماعية الدنيا حتى أخذت قوة الغرب تضعف فى آسيا فارتد كثير من الآسيويين عن دياناتهم المسيحية[1] .. وفى الصين خاصة لم تلقى الديانة المسيحية أى قبول لا هى ولا المدنية الغربية الممقوتة.

وعندما قارب عهد الاستعمار على الانتهاء دعت (الخرافة) المسيحية القائلة بأن آسيا وأفريقيا يمكن تنصيرهما إلى تأسيس الكنيسة الفتية Young Charch حيث كان الآسيويين والأفريقيون أنفسهم يبشرون بتعاليم الإنجيل وكان لديهم ميل قوى لتمثيل الرب فى صورة أهل البلاد الوطنيين .. وفى كتاب أرنوليمان Arno Lehman مائة وسبعون صورة ذات ملامح آسيوية وأفريقية للمسيح والسيدة العذراء والواقع أن الرجل الأسود لم يكن يهتم

(١) كان من أسباب انتشار الإسلام بين الشعوب غير الإسلامية اختلاط المسلمين بأهالى البلاد وإقامتهم الدائمة بالبلاد الجديدة.

بالصور الدينية ولكن همه كان منصرفاً للحظوة بما يحظى به الرجل الأبيض من مكانه .. وهذه كانت أيضاً الحال فى أفريقيا ولهذا سأستعير بعض الأمثلة من الدائرة السادسة .. ولقد قال أحد أهالى الكونجو أن الأفريقى ليفضل الرجل الأبيض ذا القلب الأبيض على التماثيل السوداء التى يصلى فى حضرتها .. وأصبح وضع الكنيسة فى المستعمرات السابقة أكثر مرونة كما علمت من حديثى مع أحد المبشرين.

ومن حديثه أن كثيراً من الملونين أصبحوا شديدى الحساسية لكل ما يريد الرجل الأبيض أن يخبرهم به .. وحتى وهو على منبر الكنيسة كان على القسيس أن يستبدل بقوله (أخبركم) قوله (أهبكم) وقد حلت كلمة ابراشيه محل كلمة ارساليه.

وفى مدى بضع سنوات تحولت القيادة فى عهد الاستعمار إلى مشاركة فى الطاعة .. ولأول مرة أصبح الأبيض وغير الأبيض جارين بكل ما يحمل لفظ الجوار من معنى .. وهكذا بعد ألفى عام من قيام المسيحية وبعد أربعمائة عام من الفرص الضائعة فى المستعمرات يمكن أن يقال أن الهدف أمكن الوصول إليه فى الساعة الأخيرة وسنرى فى نهاية هذا الفصل إذا كان هذا صحيحاً أو غير صحيح.

## الصور المقدسة والوصية الأولى :

عندما توطدت الكنيسة الفتية أخذت تنتج عدداً من الصور تمثل القديسين كأفراد من الشعوب المختلفة والصعوبة التى نتجت من عمل هذه الصور أنها قربت المسافة التى تفصل بين الإنسان وربه إلى مثل المسافة التى بينه وبين أحد جيرانه وكان هذا التطور متوقعاً حيث يعد الإله الأبيض قادراً على اجتذاب الرجل الأسود .. وزيادة على ذلك لم يقم أى اعتراض على هذا التبديل العنصرى فى تمثيل الإله الذى اختاره الرجل الأسود وأن الرجل الأبيض مثل الإله على صورته ولكن الذى يؤسف له أن هذا الاتجاه لم يحدث إلا متأخراً .. ولما كان الأهالى عرفوا الإله - أول ما عرفوه - إلهاً أبيضاً فلا لوم عليهم إذا نظروا إلى الإله الجديد فى شئ من الريبة وقد أخفى شكله وقدمه لهم الرجل الأبيض فى المستعمرات السابقة .. وإذا أريد أن ترفع هذه الريبة وكانت المسيحية قد غيرت فعلاً بشرتها البيضاء وطبيعة الأشياء تقتضى أن يتبع وجود القديسين السود وجود بابا أسود[1] وإذا كان هذا

(١) فى السنوات العشرين الأخيرة عين كثير من الأفريقيين والآسيويين كهنة فى الكنائس وبلغ عدد الكهنة الوطنيين ٦٠٠٠ فى آسيا و ٢٠٠٠ فى أفريقيا ووصل أحد الأفريقيين لأول مرة إلى وظيفة كاردينال عام ١٩٦٠.

التطور صحيحاً ومنطقياً فهذا يحتم تخلى الإله عن صفة الذكورة التى ترتبط به .. وقد تم هذا فعلاً بتقديس السيدة العذراء .. إن مشكلة العنصر ولون البشرة وجنس الإله وكلها بعض مسائل الكنيسة يمكن القضاء عليها بالفراغ المقدس الذى نجده فى مسجد المسلمين.. فهناك يهرع آلاف من الناس إلى الله المنزه عن الجنس واللون حقاً .. (لا تصنع له تمثال منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض) ـ سفر الخروج الإصحاح ٢٠ - ٤.

## الدائرة الخامسة :

امتدت الدائرة الخامسة للمسيحية إلى الدنيا الجديدة وكانت المقاومة فيها أقل منها فى الدائرة الأولى واختفى إلهه قبائل الأزتك والمايا والانكا Aztus - Mayas - Incas على أثر عرض الديانة الجديدة وعمد آلاف من الهنود فى وقت معاً .. وجاء الصليب للأهالى بالخلاص إذا لم يخلصهم السيف .. وأحياناً كان الصليب والسيف يعملان معاً جنباً إلى جنب.

وأصبح (حام) مصدر كل الشرور عند الرقيق الزنجى وكان عليه أن يخضع لعملية التعميد ولم يكن له فى ذلك أقل اختيار .. وكان الخلاص قريباً ممن ورثوا لعنة حام إذا سلموا أنفسهم لرق العبودية .. وحتى بعد إلغاء الرق لم تقم الكنيسة بأى حل لمسألة الزنوج بل زادتها تعقيداً بما كان فيها من انقسام .. وكان معظم الزنوج فى أمريكا الشمالية يعتنقون البروستانتينية .. وتبع الكنيسة الكاثوليكية معظم زنوج أمريكا الجنوبية .. وفضلاً عن ذلك فإن المسيحية بين زنوج أمريكا الشمالية كانت شيعتها تبلغ المئات[1] وكان فى شيكاجو حوالى ٥٠٠ مذهب .. ويمكن أن يعزى هذا الانقسام إلى أن كل فريق يرى نفسه هو المختار وأنه يضمن له الاتباع ببناء كنيسة خاصة .. وفى بعض الأحيان عندما يملأ القلق الروحى قلوب بعض الناس يبحثون عن الخلاص فى نواحى متعددة .. وهذا يدعو إلى كثرة المذاهب الدينية وحاول الباحثان سيمبسون وجينجر Jinger & Simpson البحث عن تفسير لهذا الوضع فى الحاجة الطبيعية عند الزنوج إلى الدين وهما يقسمان الفرق الدينية إلى أربعة أقسام :

(١) لم يكن التعداد الكبير فى الكنائس مقصوراً على أمريكا ولا خاصاً بالزنوج وحدهم فحتى قبل حركة الإصلاح الدينى كان فى أوروبا عدد غير قليل من المذاهب المسيحية.

كنسيـة Ecstatic نصف توجيهية Semidimonstrative

سمعية Deliberatvil علاجيـــــــــة Litargical

على أسـاس من طبـيـعـة الاتبـاع مـثـال ذلك أن مـعظم الطبـقـات الدنيـا من الـزنوج من البابوين والطبقة المتوسطة من النوديست والبرسبتيران Nethodist - Prisbyterian.

أمـا من حـيث أن الزنجى مـيـال إلى شـدة التـدين وهـو مـا جـعله سـهل الانقـيـاد إلى المسـيـحـيـة.. ومن حـيث أنه واقع دائمـاً كـمـا يقـول هيـرزكـوفـتس Herskovitz تحت تأثيـر الغـيـبـيـات يجب أن نـذكـر أن هذا لـيس مـقـصـوراً على الأفـريقـيين. ومن المحـقق أن الآلام الشديدة التى يقاسيها الناس وبخاصة تعذيب أجسادهم مما يدعو إلى اعتناق كل ضروب العقائد ومن هنا يمكن أن نفهم سر قبول الزنوج لفكرة صلب المسيح بوصفه المخلص لهم ورفعه من قبره[1].

ولايزال فاصل اللون موجوداً فى كثير من الكنائس الأمريكية .. يقول لوتشر Loescher أن البروتستانت يبـدأون عادة بمنع قـبول الزنوج ولكن بمجـرد دخولهم تباع الكنيسة إلى أصحاب المذاهب الزنجية .. وفى الكنيسة البرسبتريان Presbyterian مجلس خاص لكنائس الزنوج فى الولايات الجنوبية وكنيسة الميتودست Methodest ويضم معظم الاتباع لها مجلس قضائى خاص يعمل على أساس التفرقة العنصرية .. وفى الأيام الأخيرة أخذت الكنيسة الروسية الكاثوليكية تهتم بزنوج أمريكا الشمالية ووقفت موقفاً حازماً ضد كل تفرقة أو تمييز عنصرى .. وأنشأت فى كل ولاية مجالس مختلطة تضم جميع الأجناس .. ومما كتبه توينبى أن الكنيسة الرومية الكاثوليكية تخلصت من التفرقة العنصرية فى جميع أشكالها ولم يمضى زمن طويل أذنت الكنيسـة الرومـيـة الكاثوليكيـة بالزواج المختلط .. ولكن أتباع كالفين Calvin لايزالون متمسكين بالتفرقة العنصرية .. ومن رأيه أن البروتستانت هم آخر من أوقف تجارة الرقيق وأن التفرقة العنصرية أقوى ما تكون فى البلاد البرتوستاتينية.

وليست التفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة مقصورة على خلاف اللون إذ يقال أن الشعور المستتر ضد السامية Anti Semitism يلحظ فى الفنادق المحجوزة وهناك صور أخرى من التفرقة يمكن إبرازها فى الفنادق التى تعلن : مرحباً بضيوفنا المسيحيين أو الكنائس القريبة منا.

---

(١) كثيراً ما يعتنق الزنوج النصرانية لإخفاء وثنيتهم ويكون قديسيهم فى الواقع ليسوا سوى أصنام تحمل أسماء القديسين المسيحيين .. ومن جهة أخرى تسمح الكنيسة الكاثوليكية البعيدة النظر ـ فى بلاد المنطقة المدارية التى تسير فيها المسيحية سيراً بطيئاً ـ ببعض الطقوس والآراء المخالفة للمسيحية أن تبقى بجانب الطقوس والآراء المسيحية هانتينجتون Huntington.

## الدائرة السادسة :

تشمل الدائرة السادسة المسيحية قارة أفريقيا وتنقسم إلى المنطقة الإسلامية فى الشمال والكاثولوكية فى الوسط والغرب والبروتستانتية الشديدة المعارضة فى الجنوب .. وبين هذه الديانات الثلاث التى تتنافس على هداية نفس الزنجى وقد كتب فسرهوفت Visser Hooft يقول (عندما اتصلت أمم غرب أوروبا بالشعوب الأفريقية وحكموا بلادهم كان بعض رجال الدين فى كل من أفريقيا وأوروبا يعلن أن هذا له ما يبرره .. قال ومما يريح نفوسنا أن نقرر أن هذا الخطأ لم يستمر بلا معارضة .. وأن من الصعب أن يوجد الآن رجل واحد من رجال الدين المخلصين يحاول أن يدافع عن مثل هذه النظريات الخاطئة) ولكن مالان Malan وهو عالم دينى ورائد كنسى قال (إن عقيدة الأفريكانى وهم من البوير البيض فى جمهورية جنوب أفريقيا التى لا تتزعزع أنه إذا أراد أن يكون عمله متفقاً مع رسالته الحقة فى الحياة .. وهى أيضاً الإنجيل أو الوثنية يجب أن يحتفظ بشخصيته العنصرية) ومع هذا فلو أراد الإنسان أن يرى فاصلاً رسمياً للون فى كنيسة جنوب أفريقية فلن يجده .. ومن سوء الحظ أن ذلك ليس راجعاً إلى أنه غير موجود بل لأن الإعلانات الدالة على التفرقة مثل (الافريقيين ممنوعة) لا حاجة إليها .. والتشريعات العنصرية فيها نص كنسى يبيح للوزراء المسؤلين من الشئون الكنسية فى ظروف خاصة عدم السماح بدخول غير البيض كنائسهم.

ومع هذا هناك تغيير طفيف أخذ يحدث تدريجياً : كتب هدلستون Huddlestone فى رأس سنة ١٩٥٦م (سيجيء اليوم الذى يسأل فيه الأفريقيون فى تحد هل المسيحية كلها لا تعدوا أن تكون آلة فى أيدى السادة البيض .. ؟ .. وهل لا تكون هناك مسيحية زنجية ..؟.. وألا يوجد دين غير الماركسية يستحق البقاء .. ؟ .. وفى نفس الأثناء قامت منافسة تسترعى الانتباه بين المسيحية والإسلام فى وسط أفريقيا ومن رأى تيرفول Threfall أن الروح الحربية لدى المسلمين تشوق الأفريقيين أكثر من طبيعة المسيحية الهادئة المحبة للسلام[1] .. والتى ينظر إليها على أنها خدعة كاذبة من أساليب التدخل .. والإسلام كدين أيسر من الديانات الأخرى وأكثر تماسكاً ويسمح بتعدد الزوجات .. وفضلاً عن ذلك فهو لا

(١) ليس فى الإسلام روح حربية كما يدعى المؤلف أو ينقل دون تعليق إذا كان يقصد بهذا عدواناً ونصوص القرآن واضحة فى عدم الإكراه كقوله تعالى ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ وقوله ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ أما المحافظة على الحق ونشره فأساس لصلاح المجتمع والإنسانية دون عدوان .. بل لرد العدوان وتأمين السلام وفى هذا يقول الله تعالى ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾.

يقضى بتغيير عادات من يدعون إلى دخول الإسلام أو تقاليدهم أو قوانينهم الأخلاقية .. وللإسلام ميزة أخرى أنه دين أفريقى أسيوى ليس مجلوباً من خارج هذه البلاد بينما المسيحية والكاثولوكية بخاصة لها رؤساؤهم البيض فى أوروبا .. وفى تصرفات الكهنة البيض ما يدل على أنهم خلفاء الحكام للبيض السابقين .. وأخيراً والإسلام ومقره فى بلاد غير البيض يعد الدين الممثل لغير البيض .. والإسلام لا يقيم ما يفصل بين رجال الدين والرجل العلمانى (المدنى) وتعاليمه ليست معقدة .. والمسلمون كما سبق القول لا يعيشون فى معزل عن بقية الوطنيين بل يخالطونهم .. وعدد المسلمين فى أفريقيا الآن يقرب مائة مليون .. وهناك أصول كبيرة للإسلام من صدق بها كان من المسلمين .. هذه الأصول هى الإيمان بالله واليوم الآخر وبمحمد خاتم الأنبياء .. وفى العالم الآن يقف القرآن أمام الإنجيل بنسبة من الاتباع تعادل ٣ : ١ .

وهناك صور حديثة يمثلها انتشار الأحمدية ونشاطها التبشيرى(١) وإذا أريد للمسيحية أن تنتشر وألا تفوقها الديانات الأخرى فى العدد فعليها أن توجد ديانة مبسطة وأن تبدأ فى نشرها.

## التفرقة الدينية فى أوروبا :

ظلت الكنيسة مدة طويلة تعتقد أن دينها هو الدين الحق وأن عليها أن تنشره بين من لا يدينون به .. إلى الشعوب التى لا دين لها أو التى تتذبذب بين دين وآخر كانت تعد فى منزلة دون منزلة المسيحيين .. وهكذا نبتت بذرة التفرقة الدينية فى أوروبا ضد من لا يدين بدين المسيحية .. ولايزال هناك ميل فى كثير من المدارس الأوروبية إلى عدم تعليم أبناء غير المسيحيين .. ومع أن الأساطير القديمة لها مكان فى مناهج التعليم فإن الشباب الأوروبى - حتى فى البلاد التى بها رعايا غير مسيحيين - محكوم عليه بأن يجهل جهلاً

---

(١) الأحمدية هم أتباع مرزا غلام أحمد القاديانى وهم فى الواقع ليسوا صورة جديدة للإسلام كما يقول المؤلف فمصادر التشريع الإسلامى معروفة وواضحة وهى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ والمصادر الأخرى التى قال بها علماء الأصول كالقياس والاجماع تدور فى فلك الكتاب والسنة ولا تخرج عنهما وبهذا القياس يمكن أن توزن جميع المذاهب ويتبين مدى استقامتها أو انحرافها.

والأحمدية أتباع مرزا غلام أحمد فريقان : فريق يقول أنه رسول الله يوحى إليه وأنه المسيح الموعود دون تأويل وأن من يشك فى صحة نبوته ورسالته وأنه المسيح المنتظر فهو كافر .. وفريق آخر يقول أنه كان مجدداً أو مصلحاً ولم يكن نبياً بالمعنى الاصطلاحى لكنه مجدد ملهم وأنه كان يتبع دين الإسلام وتعاليمه هؤلاء هم الأحمدية اللاهورية (راجع).

كتاب حاضر العالم الإسلامى: الهند وهو مجموعة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ محمد حبيب أحمد بكلية أصول الدين مطبعة الأزهر ١٣٦٤ - ١٩٤٥ - فى الصفحات ١٤، ١٥ وقد عرض سيادته للمذاهب الإسلامية فى الهند.

تاماً كل ما يتصل بالإسلام والبوزية والهندوكية وعلوم النفس لدى الشعوب البدائية وحكمة الشرق .. والقرآن ليس محرماً باعتباره أحد هذه الممنوعات فحسب بل يحرم بنص صريح فى القانون الرومى الكاثوليكى .. ولقد عاش آلاف من الأوروبيين فى البلاد المدارية أعواماً دون أن يتتبعوا منها إلا قسطاً بسيطاً من الجغرافيا المحلية الأولية .. وقد ظل كتاب (ألف ليلة) مدة هو المرجع الوحيد لما هو (غير أوروبى) وكان سكان المستعمرات يلقنون دروساً فى مدنية البلاد التى تتبعها المستعمرات وفى جغرافيتها .. ولكن أبناء الأوروبيين المقيمين بهذه المستعمرات كانوا يجهلون جهلاً تاماً الديانات العظمى التى يدين بها غير المسيحيين.

ولأن هذه التفرقة العنصرية لم تصل إلى هذا المدى البعيد فلربما عرف الأبيض شيئاً عن جاره .. وعرف أى إنسان ذلك الجار ولربما عندما فقد كل المستعمرات التى حصل عليها لم يكن ليفقد معها كريم الشعور.

ومن رأى بيرن Pirenne وتوينبى Toynbee أن الاعتقاد بأن المسيحية هى الديانة الصحيحة الوحيدة هو الذى يمكنها من الاحتفاظ بمكانتها بين عدد عديد من الديانات الأخرى .. لكن من العسير أن نقرر إلى أى مدى كان عليها أن تنافس غيرها من الديانات فى أوروبا منذ القرن الخامس عشر إلى الوقت الحاضر.

وإذا نظرنا من الجانب الآخر نجد أن سوء فهم الرجل الملون للرجل الأبيض هو أثر لنظره إلى البيض جميعاً نظرة واحدة .. ودمغهم جميعاً بوصفة واحدة .. وهذا ناجم من الاعتقاد بأن الرجل الأبيض وقد جرب التعاليم المسيحية منذ الصغر هو لا ريب مسيحى صحيح الإيمان .. وهو شبيه بالاعتقاد بأن كل من ليس أبيض البشرة هو وثنى أو من أكلة لحوم البشر .. وإننا لنؤكد ـ ولا غلو مطلقاً فى هذا التأكيد ـ أنه لا يوجد أى أساس لاعتبار أية حركة غربية هامة فهى فى الوقت نفسه حركة مسيحية حتى باعتبارها تطبيقاً عملياً لتعاليم المسيحية حتى يحين الوقت الذى تكون فيه العقيدة المسيحية أساساً لكل قول وكل فعل صادر من الرجل الأبيض .. وعلى هذا (ليس من الحق أن نلوم المسيحية أو الإسلام على ما يصدر عن الحكام من أعمال سياسية خاطئة أو سخافات أو مظالم .. كما يقول وندرو سويت مان Windrow Sweetman أن النظرة العالمية اليوم لا يمكن أن تقارن بما كانت عليه منذ خمسين سنة.

### التحريــــر :

لقد تساءلنا من قبل ـ هل بلغت المسيحية هدفها (فى الساعة الأخيرة) بعد ألف سنة من بدأ الرسالة المسيحية وبعد أربعمائة سنة من التبشير فى آسيا وأفريقيا .. وهل نحن

فعلاً فى الساعة الأخيرة .. ؟ .. أما من حيث الكفاح ضد الإسلام فلا شك أن الجواب بنعم .. وأما من حيث التحرير أو بعبارة أصح (فك عقده) البلاد المحكومة فالجواب مختلط[1].

والرأى السائد اليوم فى المستعمرات السابقة أن المستعمرين أخروا عامدين تقدم الشعوب المحكومة .. وإذا كان ذلك كذلك فأى دافع أيقظ الوطنيين ونبههم إلى هذه الحقيقة حتى يحدثوا شيئاً من التغيير .. ولمن أو لأى شىء تنسب هذه البلاد المتأخرة فضل تحريرها من تلك المعوقات الوثنية العديدة التى كانت تمنع أكثر مما تسمح .. والتى كانت سبباً فى حالة الخمول الثقافى التى كانت عليها البلاد قبل قدوم المستعمرين بوقت طويل .. الحقيقة أن المسيحية والإسلام الذين ينسب إلى دعاتهما تعطيل التقدم الوطنى كانا هما العاملين الفعالين فى القضاء على هذه المحرمات .. ولو أن ذلك تم بغير الأسلوب الذى أرادوه .. وما تكاد قلة من آسيا ومن أفريقيا أن تهتدى إلى الدين القويم أو تعرف المدنية الغربية إلا وتقود شعوبها إلى التحرر الذى يسمى بالاستقلال السياسى .. لقد عاد المسيح ثانية ولكنه لم يعد بالصورة التى كانت منتظرة .. ولمن ظل مترقباً عودته كانت أربعمائة عام فترة طويلة .. لكنها بالقياس إلى فترات التاريخ لا تزيد على حياة الدولة الرومانية .. وهكذا حصلت البلاد الوثنية كثيراً من الخير من الإسلام والمسيحية رغم ما أصابها من شرور[2].

---

(١) فقد تطور الوضع فى العالم كله بعد عام ١٩٦٠ واستقلت معظم دول أفريقيا وكانت أوسع مواطن الاستعمار .. وزاد عدد دولها المستقلة على الثلاثين فى الوقت الحاضر.

(٢) يحاول المؤلف هنا أن يضع الإسلام والمسيحية فى نسق واحد من حيث علاقتهما بما يسميه الدول الوثنية .. والأمر يحتاج إلى توضيح .. فلقد كانت المسيحية فى أفريقيا قبل دخول الإسلام .. وعايشها الإسلام منذ دخوله.. ومن هنا ينبغى أن نفرق ـ من الناحية السياسية ـ بين المسيحية الأصلية التى كانت فى القارة ومركزها الإسكندرية.. وبين المذاهب المسيحية التى جاءت من الاستعمار الأوروبى : البرتغالى والأسبانى ثم الهولندى والفرنسى والإنجليزى.

هذه المذاهب الوافدة .. حاربت الإسلام والمسيحية الأصلية فى القارة وأوضح الأمثلة من ذلك ما حدث فى أثيوبيا من محاولة الأوروبيين تحويلها عن الأرثوذكسية .. وقيام الحرب هناك بين الأثيوبيين والقوى الاستعمارية محافظة على الحرية الدينية.

ومن ناحية أخرى اضطر سكان القارة القدامى رغم أديانهم ـ إسلامية أو مسيحية أو وثنية ـ أن يحافظوا بصورة أو بأخرى على أوضاع فيها انطواء جزئى عن الاستعمار فضلاً عن أن الاستعمار من ناحية كان يفضل تحويل الوثنيين عن أديانهم واصطفا قلة منهم للقيام بأعمال محدودة ذات طابع ثقافى .. ومن هذا استطاعت هذه الشعوب رغم تعدد ثقافتها ودياناتها ومواقفها من الاستعمار ومواقف الاستعمار منها أن تتخذ موقفاً تحررياً كانت ثمرته استقلال مساحات ضخمة من القارة .. هذا التحرر ليس نتيجة قصدها الاستعمار ولكنه فعل يمتاز بالمقاومة ثم الاستقلال ثم التعاون العالمى على أساس من المساواة.

# الفصل الثامن
# متاعب الجماعة الوسطى

## حاجز الظل .. وحاجز الشعر :

إن الحالة الاجتماعية للشعوب الملونة أو المختلطة لا تقل مشكلتها عن مشاكل حاجز اللون فى الشعوب غير المختلطة التى حافظت على سلامة عنصرها .. بل مشاكلها أشد تعقيداً .. إن صعوبة العثور على اسم لهذه الجماعات المتوسطة هو فى ذاته أحد الجوانب الكثيرة لهذه المشكلة .. وزاد المشكلة تعقيداً أن كثيراً من الملونين يعدون أنفسهم بعض أفراد الشعب الذى ينتمى إليه آباؤهم أو أجدادهم .. حدث فى البرازيل فى أحد الإحصاءات أنه كان من المستحيل إجراؤه بدقة بسبب تسجيل غير البيض على أنهم من الجنس الأبيض[1] وقال جارفى Garvey الذى أسس أحد الكنائس الأرثوذكسية الأفريقية فى الولايات المتحدة .. كنت مكروهاً ولم يحسن معاملتى الملونون الذين أرادوا أن يعتبروا من البيض لا من السود .. وكانوا يكرهوننى كالسم .. وفى أثناء الاحتلال اليابانى جزائر الهند الشرقية السابقة .. وبعد هذا الاحتلال كان كثير من الأوروآسيويين يعدون أنفسهم هولنديين أو أندونيسيين .. بل قد تنقل بعضهم من إحدى الجنسين إلى الأخرى .. أيهما كانت أنسب .. فى فترات متقاربة .. وهذه الانتهازية يمكن تفسيرها بسهولة حيث أن هذه الجماعات المتوسطة التى ليس لها حق صريح فى الانتماء إلى جماعة بعينها تحاول أن يعترف بها بين الجماعة التى منها أحد الآباء أو الأجداد .. هذه الانتهازية أو ما يشبهها غير خافية فى مناطق الحدود المتنازع عليها فى عالمنا الأبيض.

---

(١) كلمة غير البيض Non - White لا تدل ولا تنطبق على ذوى العنصر المختلط الملونين أو السود وإنما ببساطة ما يشير إليه اللفظ .. أى غير البيض .. ولفظ الملونين لفظ مكروه فى كثير من البلاد ويعنى لفظ بيانكو Bianco فى البرازيل كل شخص جلده غير قاتم حتى السود إذا كانوا ذوى مكانة ما يسمون أنفسهم بيانكو ولفظ بريتو Preto يطلق على الرجل الأسود الفقير فى هذا المجال يدل اللفظ علي تمييز فى الطبقة أكثر منه تميزاً فى العنصر وعندهم الأسود الغنى فى منزلة الأبيض .. والأبيض الفقير ما هو إلا فى منزلة العبد الأسود (دونالد بيرسون).

وكانت المسألة فى الهند فى غاية التعقيد فبناء على قانون المجلس الهندى سنة ١٨٧٠ كان أصحاب النسب المختلط والبيض متى ولدوا وعاشوا فى الهند يسمون (مواطن هندى) لكن فى سنة ١٩٢٠ كان كل شخص من أب أوروبى أو غير آسيوى وأم تجمع بين الأوروبيين والهندية .. يسمى هندياً إنجليزياً .. وعندما أرادت الحكومة سنة ١٩٢٥ الحصول على عدد أكبر من أصحاب الأصوات الانتخابية عمل تنظيم جديد يقضى بأن كل من كان أبوه أوروبياً سمى أوروبياً ومن كان أبوه ذا نسب مختلط سمى هندياً إنجليزياً .. وبعبارة أخرى من كان جداه أوروبيين فهو أوروبى كذلك وإذا كان أحد أجداده من جهة الأب أوروبياً فالإبن والحفيد هندى إنجليزى(١) والمعروف عادة أن مركز الجماعة المختلطة النسب هو شبيه بالأقليات .. وجماعة الأقلية يجب مع ذلك ألا تحمل معنى الضعف المترتب على العدد .. لكنها تقدر بمبلغ نفوذها قوة وضعفا .. وفى بعض البلاد مثل جمهورية أمريكا الجنوبية حيث الأهالى المختلطى النسب التفوق فى العدد والقوة والنفوذ تختلف مشكلة الجماعة المتوسطة عنها فى البلاد التى فيها هذه الطبقة المتوسطة أقلية تفصل بين الجماعتين التى ينتمى إليهما كل من الأبوين .. عند ذلك ينشأ حاجز لون بين الجماعات المتوسطة أساسه الاختلاف المتدرج فى السواد وتدرج تجعد الشعر. ولما كانت حالة الجماعة المتوسطة فى غاية التعقيد وأن الخبرة فى تعيين موقفها يترتب على عوامل ثقافية وعنصرية .. فإن هذا الموقف يحتاج إلى شىء من التوضيح.

إن حالة أعضاء الجماعة المتوسطة تختلف الاختلاف الآتى :

**أولاً :** فى بلد الأب أو بلد الأسود من الأبوين.

**ثانياً :** فى بلد الأم أى بلد الأبيض من أبوين.

**ثالثاً :** فى نفس بلده حيث جماعته هى الأكثرية.

ومثل الحالة الأولى حالة الأوروبى الآسيوى فى جزائر الهند الشرقية الهولندية السابقة.. ومثال الحالة الثانية حالة الأوروبى الآسيوى نفسه بالنسبة لهولندة. والموقف فى أمريكا الجنوبية يمثل الحالة الثالثة.

الأم فى الجماعة الأولى عادة من الجنس ذى البشرة السوداء وقد لقيت الأب الأبيض المهاجر إلى بلدها .. ومشاكل الجماعة المتوسطة متشابهة فى الحالة الأولى والثالثة .. وهنا وهناك فرق بين هاتين الحالتين والحالة الثانية .. ولهذا السبب سنتناوب بحث الحالتين الأولى والثالثة أولاً والثانية فى البلد الأم بعد ذلك.

---

(١) يلاحظ أن التميز يرجع إلى العنصر وإلى الأنوثة جميعاً.

## ١ – حالة الجماعة المتوسطة فى بلد الأسود من الأبوين :

فى هذه الحالة يغلب أحد المواقف الآتية :

فالموقف الأول يكون للبيض السلطات الكاملة .. وفى الثانى لجماعات السود معظم السلطان مع الصراع الدائم بين جماعة أحد الوالدين السود وبين البيض . وفى هذه المواقف جميعاً يفضل مختلطوا النسب أن يعدوا أنفسهم منتمين إلى العنصر صاحب السلطان .. ومع هذا فمن العسير على الرجل الملون أن ينتمى إلى إحدى الجماعتين إذا كان لون بشرته أشد سواداً من أحدهما أو أقل سواداً من الأخرى .. فإذا كان أحد الأطفال فى إحدى المستعمرات أقل سواداً من أمه التى ربى بين جماعتها فإنه يرى نفسه عادة أسمى منزلة من أسرته وأصدقائه .. لكنه سيكون (خارجاً) فى أسرة أبيه الأبيض .. وحتى فى جماعة أمه قد يعد مهيناً بما شرب من آراء البيض منذ ولادته وعندئذ يصبح فريسة شعور عدائى ظاهر أو مستتر حتى فى حالة ما إذا كان الوفاق سائداً بين البيض والسود.

وإذا كانت الأجناس تعيش معاً فى تنافر شديد كما فى الموقف الثالث فإن حياة الملون قد تكون فى خطر .. وفى الثورة الأندونيسية قتل الكثير من الأوروآسيويين لأنهم كانوا معدودين من البيض فى نظر الأندونيسيين .. ومع هذا فالبيض الذين يعيشون فى بلد الأب الذى يعيش فيه السود قد يعاملون كل ملون معاملة أساسها التمييز العنصرى .. وقد يشتد سوء المعاملة بخاصة إذا كان الملون نتيجة علاقة غير شرعية.

وفى الهند وفى بلاد أخرى كثيرة ظلت الأحوال حقبة طويلة فى وضع يجعل من المستحيل انتماء أحد أفراد الجماعة المتوسطة إلى جماعة أى الوالدين وقد كتب ستونكوست Stonequist أن الأوروبيين كانوا يعدونه مختلطاً متى كانت عشيرته تعتبره لا جنس له .. أما الهنود فكانوا يرونه منبوذاً له مساوىء والديه جميعاً وليس له فضائل أى واحد منهما[1].

والظاهرة التى يسميها أولبرت Allport (حماية الذات) Ego Defence تتولد من مثل هذه الظروف ولا يمكن تفسيرها وهى تتضمن أن الإنسان الواقع تحت تأثيرها يرتاب فى كل شىء ويرى الحياة سلسلة طويلة من التنازع مع كل إنسان .. وهذه الريبة التى كثيراً ما يتهم

(١) مما قاله بنديت نهرو (أن البريطانيين أوجدوا فى الهند طبقة جديدة ـ طبقة متعلمى الإنجليزية الذين يعيشون فى عالمهم الخاص ولا علاقة له بسائر الأهالى).

بها عضو الجماعة المتوسطة .. تصبح وكأنها حاسة سادسة له ويسميها المغنى هارى بلافونتى Harry Belafonti الأذن الثالثة وهو شديد الارتياب والحساسية لما يربطه بالأقلية.. أو عند محاولة غير ملائمة للاتصال به والتقرب إليه بأن يخاطبه فرد بلغة جماعة انحدر منها وهو ينكرها .. وهو أيضاً شديد الارتياب إذا ما خوطب بشيء من التواضع المبنى على الصداقة .. ومركب النقص هذا وغيره من الظواهر التى تنتج عن هذه الظروف قد بحثت من قبل .. وكثيراً ما يرد من يعامل معاملة تنطوى على التمييز بأنه يعامل هو غيره نفس المعاملة مما يدعو إلى أن تسىء كل أقلية غيرها من الأقليات .. وكل جماعة يؤلمها التمييز وتتنابذ مع كل إنسان من غير هذه الجماعة مع محاولتها جمع مؤيدين لها فى حركة المقاطعة التى تقوم بها ويرى سيمبسون وينجر Simpson Wyinnger أن هذا عدوان فى غير موضعه وإن كراهية الإنسان لغيره هى إحدى الوسائل التى تنجيه من كراهية نفسه.

وخطر هذه الريبة التى ذكرناها فيما سلف لا يزول ومن مضار الأذن الثالثة أنها قد تحس بالتمييز حيث لا يوجد هذا التمييز .. وهكذا تخطىء الأذن الثالثة حيث يضللها ما تسمعه وتنقل بالريبة الحقيقية التى نفهمها إلى ريبة وهمية وحاجز لونى وهمى .. وسواء أكانت هذه الريبة لها ما يبررها أو لا .. فإن عضو الجماعة المتوسطة يكون فى موكز ضعيف جداً نظراً إلى أن التمييز فى اللون هو فى الوقت نفسه تمييز فى الحالة الاجتماعية .. وفوق ذلك تبقية جماعة أحد الوالدين المتفوقة فى نفس طبقته وأن الارتباط الدائم بين فاصل اللون وفاصل الطبقة فى غاية الوضوح نظراً إلى أن معظم أعضاء الجماعة المتوسطة ينشئون من الاتحاد بين أم من أهل البلاد ورجل أبيض من طبقة منخفضة قدم إلى هذه البلاد إبان عزوبته.

بقيت كلمة تتعلق بالتزاوج الأجنبى عنصرياً واجتماعياً وهو ما يسميه فرزيير Frazier (الهجين الثقافى) وهو فى رأى روبرت بارك Robert Park (الرجل الهامشى) Marginal Man الذى حكم عليه القدر أن يعيش فى مجتمعين وبين ثقافتين ليستا مختلفتين فحسب بل ثقافتين متعارضتين(١).

وهناك اعتقاد بأن هؤلاء المختلطى النسب بحكم عزلتهم عن مجتمع البيض لديهم الاستعداد لأن يصبحوا وطنيين بسبب عدم اندماجهم فى جماعة البيض.

(١) ليس هذا مقصوراً على غير البيض فإن هذه ظاهرة ترى فى أى مكان يرتفع فيه أحد أفراد الطبقة الفقيرة فى السلم الاجتماعى إلى أن يصير عضواً فى طبقة مغايرة تغييراً كاملاً عن طبقته الأصلية.

ولربما كان كرههم الأعمى لجماعة البيض سبباً فى أن يصبحوا متفرقين .. وهو ما ليس فى صالح البلاد التى يدينون لها بالولاء[1].

ثم لنا كلمة فى المرأة الهامشية .. والتى لم يكتب عنها أحد فيما نعلم فهن أشبه بالرجل الهجين ليس لها موقف محدد .. بل موقفها أكثر دقة إذا كانت تخازن الرجل الأبيض فهى لنفس الأسباب التى تتعلق بالرجل تفضل الزواج برجل أبيض ولكن فى طريقها لسوء الحظ حجر عثره فهو قد قدم من وراء البحار فى خدمة الجيش أو فى خدمة إحدى الشركات وقد يحب إحدى الملونات لعدم وجود إحدى بنات جنسه .. وهو فى الغالب لا يتزوجها بل هو محرم عليه الزواج فى سنوات عمله الأولى .. وهكذا ينشأ بين الاثنين علاقة طويلة المدى لا مفر منها أن تنتهى بمأساة عندما يذهب إلى بلده فى إحدى الإجازات ويعود معه زوجة من بنات جنسه .. وستكون الزوجة التى قدمت حديثاً من أول الأمر على غير وئام مع منافساتها التى يفقنها عدداً وينجم عن هذا عدم احتمال الزوجة البيضاء لمثل تلك المرأة وستكون معاملتها لها منطوية على قدر كبير من التمييز العنصرى .. ونظراً لما حدث اليوم من تطور اجتماعى تغير موقف المرأة الهجين أخيراً وخفت صيحتها القديمة التى ذكرها الشاعر كبلنج (عدالى مندلاى).

وفى بعض البلاد كأندونيسيا يمسك بزمام الحكم العنصر القاتم البشرة فى غير وئام مع السكان البيض .. وهذا الموقف الثالث الذى ذكرناه فيما سبق .. وفى مثل هذه البلاد تنقلب حالة أصحاب الأنساب المختلطة التى كانت مرضية من قبل إلى حالة غير راضية .. ويصير مركز الجماعات المتوسطة أصعب كثيراً مما لو كانت العلاقة بين جماعات الأب طيبة.

وفى هذه الحالة لا سبيل للملونين إلا أن يتحدوا مع أكثر الجماعات شبهاً بهم وعلى كل حال أن عضو الجماعة المتوسطة هو الذى يتلقى الضربات وهو الذى يقف حائلاً بين الجماعتين المتنازعتين (فى هذا الموقف بخاصة) .. والأوروآسيويين مثلاً يشعرون أنهم فى

---

(١) مما تجب ملاحظته أنه من النادر إن كان أحد أفراد الطبقة المتوسطة يوماً ما محرراً لبلاده .. وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن هؤلاء الرجال الهامشيين الذين يتنقلون إلى طبقة أعلى يلتحقون بالبيض .. وينتهى بهم الأمر إلى عدم الخروج عليهم .. وعندما يكون أحد أفراد الطبقة المتوسطة قاتم اللون فقد يفضل الانضمام إلى جماعة الأب القاتمة ولكن هذه من جانبها تفضل أن يكون محركها نقى الدم.

ويجب هنا أن نتذكر استثنائين أولهما بوليفار Bolivar الذى لم تكن له أبوة أشد منه سمرة ذات أهمية .. والثانى جوزى ريزال Josi Rizal محرر الفلبين.

موقف حرج أوجدهم فيه جماعة آباءهم البيض ومع هذا فجماعة السود لا يقبلونهم .. يدل على هذا حوادث الطرد الكثيرة من بلاد أندونيسيا.

ومن الجائز أن ينتهز الفرصة عدد كبير من الجماعات المتوسطة فيتخذون قراراً إجماعياً بالانتماء إلى أحد الفريقين .. وأفضل مثل لذلك السياسة التى أتبعتها الجماعة الهندية الأوروبية فى جزائر الهند الشرقية بعد خروج الهولنديين منها[1] وفى سنة ١٩٥١ عندما كان على كل هندى أوروبى أن يقرر انتمائه إلى أحد الجانبين فيقرر إن كان رعية هولندية أو مواطناً أندونيسياً .. غيرت الجماعة سياستها تغييراً كاملاً بعد أن كانت من قبل تؤيد الهولندية.

ومن اليسير أحياناً أن تقف الجماعة المتوسطة موقف الحائل بين فريقى الأبوين بأسلوب آخر .. ففى البلاد التى يكون زمام الحكم فى أيدى البيض يكون من نصيب الملونين الذين امتصتهم الجماعة بعض الوظائف الحكومية .. وهؤلاء فى هذه الحالة يؤدون عمل وسيط السلام بين الفريقين .. وفى نفس الوقت هناك مزية كبرى لوجود هذا الحائل فإنه يفيد الحاكمين البيض من ناحيتين.

الأولى أنه يعطى الوطنيين قسطاً من الاستقلال الذاتى يبين مدى أهليتهم للإدارة والثانية .. أن هذا الفريق يصبح مسؤلاً عن كل ما قد يوجه من اللوم إلى الحكام البيض.

## ٢ - الجماعة المتوسطة فى بلادها :

إلى هنا كان كلامنا منصباً على الأهالى الملونين من الجماعات المتوسطة وهم أقلية فى محل الميلاد .. وهذه الفقرة سنتناول وصفاً وفقهاً فى البلاد التى لها فيها المقام الأول من جميع الوجوه .. بينما تتراجع منزلة جماعة الأب إلى مكانة ثانوية .. وأكثر الأمثلة وضوحاً لذلك نجده فى أمريكا اللاتينية.

وقد كان المتوقع أن يكون هذا الوضع هو نهاية لمشكلة الجماعة المتوسطة ونهاية كذلك لجميع حالات التمييز .. لكن الأمر ليس كذلك لسوء الحظ .. وحيث لم يصبح لحاجز اللون أى أثر فى وحدة الناس أو التفرقة بينهم ظهرت مسائل أخرى إحداها تدرج اللون وهذا لا

---

(١) ملحوظة : الهند وأوروبيين Indo Europians أو الهند وألمانيون Indo Germans كانوا هم الأريين Aryans الذين نزحوا من آسيا إلى أوروبا بينما الهندو أوروبيين فى جزائر الهند الشرقية التى كانت تابعة لهولندا هم أوروآسيويين Eurasiane.

يشطر الناس إلى سود أو بيض أو بين بيض وغير بيض .. أنه يفصل بين أشد الناس سمرة وأخفهم سمرة فى المجموعة الواحدة أو فى الأسرة الواحدة .. وفى اللغة الأسبانية كثير من الألفاظ الدالة على التدرج اللونى .. فلفظ يدل على قليل السمرة وآخر على متوسط السمرة مع نعومة الشعر وثالث للون الأسمر مع تجعد الشعر وآخر للون الأسمر وآخر للون الأسود مع تقاطيع الرجل الأبيض وآخر للون الأسود.

وفى المستعمرات الفرنسية ألفاظ دالة على مثل هذا الاختلاف .. إن هذا التدرج المنتظم فى اللون يذكر الإنسان بالهندوكية التى فيها السودرا Sudra ذوى لون أسود والفشيا Veishyas ذوى لون أصفر داكن والكاتريا Katrihyas ذوى لون أحمر داكن والبراهما (رجال الدين) بيض والقديسون أكثر بياضاً .. ولو أن الأمثلة الأولى تتعلق بجماعات الأجناس إلا أن الأمثلة المستقاه من النظام الهندى معتمدة من مجموعة من السكان من جنس واحد.

ولقد أصبح واضحاً أن حاجز السمرة من المحتمل أن يؤدى إلى حاجز طبقى فيه أشد الناس سواداً هم السودرا (المنبوذين) أو الباريا وهم دون السودرا ولفظ كاستوس Castus معناه (نقى) وهو لفظ مناسب جداً لأن هذا المجتمع الذى يقر نظام الطبقات يخشى أن يكون الأبيض فيه شىء من التلوين .. ولذوى اللون القاتم طريقة لأن يصبح أولادهم أقل سمرة وذلك بالزواج المختلط .. وهذا يعنى من جانب واحد على الأقل أن الدخول فى إحدى الطبقات أسهل من الطريق الذى سلكه الهندى .. لأن سبيله الوحيد هو الموت وهو أفضل سبيل لبقاء العنصر نقياً.

وفى الظروف التى ليس لفاصل التدرج اللونى أى أثر توجد أسس أخرى يعتمد عليها أكثرها انتشاراً فاصل الشعر الذى يفرق بين الشعر المجعد والشعر المستقيم .. وقد يستعمل بدلاً من ذلك الشعر (الجيد) والشعر (الردىء)[1].

والذين ليس شعرهم مجعداً يستطيعون الانتساب إلى الدم الهندى أو اللاتينى أكثر من ذوى الشعر المجعد وقد يستأثرون بهذا النسب دون غيرهم من الشعوب .. ومن المحال مع

(١) يدعو الأندونيسيين ذوى الشعر المستقيم سكان غانا الجديدة (الرؤوس المتفضنة) أو البابوان Papuans ولدى أهل المغرب ليس لفاصل الشعر ولا لفاصل اللون الأهمية التى لها عند غيرهم .. لكن الواقع أنهم كانوا أميل إلى الاختلاط بالآسيويين منهم إلى الأفريقيين ويبدوا أن فاصل الشعر كان معروفاً فى اليابان وكذا ذوى الشعر الكثيف يدعون الأينو Ainu ويربطونهم بالقرود العليا .. والهنود يفرقون بين نمازج الشعر المختلفة كيزا Kisa وذلك فوق ما لديهم من التفرقة بسبب اللون Varna.

ذلك التنبؤ بأن شخص بعينه من الجماعة الأفريقية المتوسطة سيولد بشعر مجعد أو بشعر مستقيم بل من الخطورة حتى مجرد التخمين .. ففى هذه المجموعة أسر بعض أبناءها ذوو بشرة قاتمة وشعر مستقيم والبعض الآخر ذوو لون أقل سواداً مع شعر مجعد .. والحالة الأولى مفضلة .. وقد يحدث الرجل الملون صاحب الشعر المستقيم يستطيع الادعاء بأنه من سلالة الهنود النقية أو سلالة الهنود الحمر .. وعلى هذا يتجنب الوجود في مجتمع عام مع أخيه ذو الشعر المجعد .. وكثيراً من الناس يولون أهمية خاصة لفاصل الشعر حتى أنهم يعملون على تحويله إلى شعر مستقيم .. وبعد أن أمكن ذلك انقلب الأمر من تفضيل اللون الأسمر مع نعومة الشعر على اللون الأقل سمرة مع الشعر المجعد إلى تفضيل الثانى على الأول.

## ٣ - الجماعة المتوسطة فى بلد الأم :

خلافاً لبلاد جماعة الملونين لا تكاد توجد مشكلة للجماعة المتوسطة فى البلد الأم .. أى فى البلاد التى ينتمى إليها الأبيض من الوالدين لأنها أقرب إلى جماعة الأبيض من الوالدين .. ولكن الجماعة المتوسطة لاتزال تمثل جماعة منفصلة (ولهذا فهى ثانوية) وفى الأحوال التى يكون أحد أفراد الجماعة المتوسطة قاتم اللون يدعى أحياناً أنه مولود فى أحد أقطار جنوب أوروبا أو ينتسب إلى بلاد لم تكن مستعمرة من قبل وبينما لا يرضى أحد الأوروآسيويين من أندونيسيا أن ينسب إلى أندونيسيا فأهالى الانتيل وسورينام يرضيهم كل الرضا أن ينسبوا إلى البلاد التى ولدوا فيها والتى تحمى كل أفرادها دون تمييز أو تفرقة بين جماعة كل من الوالدين.

## بعض الملاحظات العامة :

زيادة على ما ذكرنا عن مركز الجماعة المتوسطة فى بلاد عديدة هناك جوانب عامة جديرة بالذكر .. إن ما قيل عن فاصل اللون والشعر يدل على أن الوحدة ليست قوية فيها .. أن وحدة الجماعة ضرورية فى كل مجتمع وهى موجودة فيه دائماً على وجه من الوجوه .. نجد الدليل على هذا فى كل مجتمع فى كل جماعة دينية وفى كل نادى من أندية الشباب.. إن الأسرة أصغر الجماعات وأقواها وهناك حكمة صادقة تنص على أن الطيور على أشكالها تقع .. بل أن البجع يذهب فى هذا المعنى إلى مدى أبعد حيث يجتمع حسب لون ريش كل جماعة منه .. ومن سوء الحظ يقل التماسك الجماعى فى الجماعات المتوسطة

وهذا نلحظه سواء فى بلد الأب الأسود أو فى بلد الرجل الملون نفسه حيث الملونين الأقل دكنة يتجنبوا أحياناً لقاء مواطنيهم الأشد منهم دكنة والعكس كما يحدث فى أندونيسيا .. ودرجة اللون ـ كما ذكرنا من قبل ـ كثيراً ما تحدد حالة الفرد الاجتماعية .. وأنها لنزعة طبيعية ـ ولو أنها تدعو مع الأسف ـ أن يحاول الفرد إذا كانت حالته أسمى أن يتجنب العار الذى يلحقه بمخالطة من هم (دونه) وقريب من هذا ما يحدث فى بلاد كل أهلها من البيض ولكنه يجرى فى شىء من الخفاء لأن لون البشرة واحد لدى الجميع .. وفى الأحوال التى تدل ملامح الفرد الكثيرة دلالة واضحة على الجماعة التى يفضل عدم الانتساب إليها تحدث ظاهرة (كره النفس) وكره النفس هو تعبير عما يشعر به أحد الأفراد أى جماعة من كره كل ما يذكره بأصله العنصرى فى الوسط الذى يعيش فيه .. فإذا ما ظهرت أى دلالة على عنصره فى ملامحه فهى عادة إلى مولده فى بلد من جنوب أوروبا أو إلى بلد آخر غير مستعمر حتى يدخل الفرد فى زمرة البيض على قدر ما يستطيع من الإقناع .. حتى إذا نجح فى محاولته فإنه ينقلب بعنف ضد جماعة أضعف الوالدين .. ذكر بلانديه Balandieth فى دراسته للسود فى برازافيل فى الكونجو أن الرجل الملون يحتقر ويبرأ من أمه الأفريقية إذا ما وصل إلى مركز كبير .. ولسنا فى حاجة إلى دليل آخر على أن هذا كله ليس مرده إلى اللون وحده الذى لا يعدوا أن يكون (شيئاً غريباً تحت الجلد) .. ولكنه يرد إلى خواص عنصرية أخرى.

وهناك ظاهرة أخرى يمكن اعتبارها إحدى صور كره النفس فمن الجائز أن ينشط أحد الأفراد نشاطاً عظيماً ضد هذا الموضوع أو ذاك ليكون من ذلك النشاط ستار يخفى عنصره أو وطنه.

عموماً فمن يستطيع أن يتهم أحد المتحمسين ضد الزنوج بأن الدم الزنجى يجرى فى عروقه.

ويكفى ما ذكرناه خاصة بنقص التماسك الجماعى فى الجماعة المتوسطة والصراع السيكلوجى بين ضمير الجماعة وتماسك الجماعة .. ويجدر بنا بحث شعور الوحدة لدى جماعة أحد الوالدين من البيض فى الإقليم المدارى .. فالبيض علي خلاف الجماعات المتوسطة .. ينزعون دائماً إلى الوحدة .. وهذا بدوره قد يؤدى إلى كثير من المضاعفات.

وفى المستعمرات يكون البيض عادة دولة داخل الدولة[1] وهذا يضمن حماية مكانة

(١) ولهذا السبب يرى ولز Wells أن عدم التعاون بين غير البيض والبيض نشأ من المقابلة بين الأبيض وغير الأبيض.

الرجل الأبيض وهو ما يجعله غير ميال لقبول الأجنبى فى الجيش ومن هذا يتضح أن الهدف الأساسى لهذا التماسك هو دائماً المحافظة على المكان الذى يتعرض لهجوم والتنازع بمجرد زوال السيادة ومن الطبيعى أن الذكريات القديمة لما حدث فى البلاد التى قدموا منها تدعوا إلى تجمع المهاجرين .. ولكن ذلك بدوره يدعوا إلى عدم اندماجهم التدريجى فى الوسط الجديد .. وإذا ما كان التضامن الجماعى بين مواطنيه يحول دون اندماجه حتى بين الجماعة التى ينتمى إليها لاختلاف الطبقة أو للتعليم أو حتى للسن فهو يرجع إلى تأثير المناخ المدارى وينتهى إلى كره هذا الجزء من العالم الذى لم يقبله .. ويتميز فى التضامن الجماعى جانبان :

**أولاً** : يقوى التضامن إذا وجدت جماعة كبيرة أو جملة جماعات صغيرة .. إن الضرورة تقضى بتكوين جبهة قوية للوقوف أمام عدو مشترك كالرجل الأبيض .. وهذا ينطبق على مجموعة العناصر غير البيضاء بشرط وجود عدو مشترك .. ولولاه لما عمر الاتحاد بين هذه المجموعة طويلاً .. وفى أندونيسيا انفض كل اتحاد بين الملونين بعد انتهاء الحكم الهولندى بمدة وجيزة .. ولقد حاول الرئيس سوكارنو أن يوقف هذا التفكك بدعايته الخاصة بغينيا الجديدة حيث كان الغرض منها الإيهام بأن هولندا لاتزال العدو الواجب قهره .. ولكن المتعلمين فى سومطرة وبورنيو لم يقتنعوا بالصيحات المسمومة من جاوه لأن الأندونسيين لم يكونوا ضد البيض ولكنهم يعضدون الحركة الوطنية الأندنوسية ..

**ثانياً** : أن هناك احتمالاً محتملاً بأن التماسك بين الجماعة الأب ذوو اللون الأدكن قد يلاقى نفس الصعوبات الناجمة من التفكك كما فى حالة الجماعة المتوسطة.

وعلى أى حال .. وهذا ما كتبه الان برنز Allan Barns.

ولعل أخطر عيب للزنجى المتعلم ـ من وجهة النظر إلى تقدم قومه ـ هو افتقاره إلى الرغبة فى التعاون وعجزه عن الانقياد طويلاً إلى رئيس من أبناء جنسه وتكبره الذى يثير فيه الغيرة ويدفعه إلى نقد زميله الزنجى ومحاولة تعويقه إذا ما رآه يرتفع بضع درجات أعلى منه فى سلم الثقافة والتقدم .. ومن هذا فهل عدم التماسك هذا من خواص الملونين.. ؟ .. ما على المرء إلا أن ينظر إلى الفرقة فى أوروبا.

## الجانب الثقافى من الصراع العنصرى :

كثيراً ما يحدث صراع ثقافى كما يحدث صراع عنصرى .. وسببه أن الرجل الملون سواء كان فى بلده أو فى الوطن الأم عندما يلقن أساليب المدنية الغربية قد يجد مشقة فى

تمثلها جميعاً مما قد يدعوا إلى الكفاح والرجل الهجين المثقف سواء أكان إفريقياً قحاً أم أسيوياً قحاً وهو ما يسميه ستونكويست Stonequist (الهجين المثقف غير المندمج) قد صار كذلك لطول اتصاله بالمبشرين فأضفوا عليه صيغة متباينة القوة من المدنية الغربية ومثل هذا الرجل يسمى بالرجل صنع المبشرين Missionary Mape وفى كلامه تكلف وله ولع بأن يعد نفسه من المبشرين .. وتجد صنوا له الرجل (صنع الجيش) الذى يعتمد صبغة مشابهة من المهنة العسكرية وبينما تكون عبارات الأول منتقاة الألفاظ يتكلم الرجل المصنوع فى الجيش بخشونة ويستخدم الألفاظ النابية التى تعودها وقبلها .. وهذا قريب مما يسميه اولبورت Allport (ادعاء الوضع الاجتماعى) وهى محاولة الفرد بلوغ حالة اجتماعية من طريق حديثه أو لباسه أو من طريق التصرفات العجيبة.

وكثيراً ما يظن ـ وهو خطأ محض ـ أن الهجين المثقف إذا وضع أحد قدميه فى أحد المعسكرين والثانية فى المعسكر الآخر فقد نجح بطريقة ما فى أن يجمع كلتا الحضارتين.. والحقيقة المجردة أن أمله فى الجمع بينهما لم يكن إلا حلماً كاذباً .. وفى أثناء الصراع الذى يكون بين جنس الفرد ستبعده الحضارتان معاً فعلاً من ثقافتها ومن بيئته بل ومن طبيعته .. وهكذا يسير المولود الذى جاء من (تزاوج حضارتين) غريباً غير متزن الثقافة .. ويجب التفرقة بين هذه الحالة وبين اكتساب جوانب من ثقافة أخرى مع احتفاظه بثقافته الأساسية .. وإذا ما امتزجت الديانات أصبحت خداعاً .. ففى أسبانيا مثلاً عاد اليهود والمغاربة إلى دياناتهم بعد عدة قرون من اعتناق المسيحية .. وبعد الحرب العالمية الثانية ارتد كثير من الآسيويين عن ديانة الرجل الأبيض بمجرد ذهاب سلطانه.

وقد تسوء الأحوال عندما يحاول شعب مختلط النسب أن يختار بين ثقافتين .. فإذ ما اختار أحد الجماعات المتوسطة مثلاً ديانة جماعة الأبيض من الوالدين بينما هو يعيش بين الجماعة الأخرى فإن متاعبه العنصرية ستزيد من متاعبه الثقافية .. بل سيكون عبئه أثقل إذا كانت الثقافة الغربية مقرونة بسلطان الحكم الغربى[1] غير المستساغ.

المشكلة الأكثر تعقيداً فى البلاد التى فيها أكثر من عنصرين أو جماعتين ينتج عنها الكثير من الجماعات المتوسطة.

---

(١) قارن أيضاً كشمير حيث تقف بين الهند وباكستان حساً ومعنى .. وشعبها المسلمون رغم سنوات طويلة من الحكم الهندى والسيادة المسيحية .. ويلاحظ كذلك أن موقف إسرائيل شبيه بها فهى جيب غربى غير مسيحى فى المحيط الإسلامى .. وهذه الجماعات المتوسطة فى هذه الساحات الشاسعة صغيرة نسبياً نظراً لقوة الديانات الكبرى التى تقاومها وليس لها مكانة كوسيط فى المنطقة .. وفوق ذلك من السهل أن تنسب إلى جماعة أحد الوالدين نظراً لأن البشرة تختلف قليلاً أو لا تختلف كلياً فى هذه المناطق.

توجد بلاد كأمريكا الجنوبية مثلاً يعيش فيها فى بوتقة واحدة هنود وأفريقيون وأوروبيون وآسيويون .. وجماعات من المهجنين نتجت عن تزاوج الآسيويين .. وفى جنوب أفريقيا عدد كبير من الآسيويين والبريطانيين والأفريكان[1] والأفريقيين .. وكما فى المنطقة الكاريبية يكون الآسيويين أقلية ومع هذا فهم غير مرغوب فيهم حتى الجماعات المتوسطة والهنود فى كينيا الآن أقلية سائدة .. ويخشى أن يحلو محل الأوروبيين .. ولأمر ما يفضل الأفريقيين الأوروبيين .. فكثيراً ما يقع النزاع بين الهنود والأفريقيين .. وفى أندونيسيا للصينيين أهمية خاصة .. فإن الجماعة المتوسطة فى أندونيسيا تشمل غير الأوروآسيويين ـ الهنود الصينيون[2] والصينيين الأوروبيين كما تشمل فى ـ الجيل الثانى ـ الصينيون الهنود الأوروبيين وغيرهم من الجماعات المتعددة العناصر .. وفى جنوب شرق آسيا مشكلات الجماعات المتوسطة معقدة كذلك .. ويجب أن تعالج كل جماعة على حدة.. ووضع الجماعة المتوسطة لا يتعرض إلا لأقل الضغط فى أقطار كهاواى حيث هناك قدر كبير من التسامح العنصرى.

## ترقية الجنس وتحسينه :

إن إحدى الآثار الهامة لفاصل اللون وفاصل تدرج اللون وفاصل الشعر محاولة الناس تحسين خواصهم الدائمة .. وهذا يمكن تنفيذه بطريقة مصطنعة أو بالزواج مع البيض .. وهكذا الأسلوب الذى يقتضى (التبيض) مناقض على خط مستقيم لمحاولة رفع حالة الجنس فى حدوده الطبيعية .. والفرق الأساسى بين المنهجين أن الأول يحاول إخفاء الأصل العنصرى إما بأسلوب مصطنع أو بخلق عنصر مختلط .. بينما يزهو الثانى بنسبه ويستمسك به مع بذل أعظم الجهود فى الوقت نفسه للحصول على ما للرجل الأبيض من وضع اجتماعى .. وغنى عن القول أن النظريتين قد تلتبسان بمنتهى السهولة .. فإذا ما تطلع الرجل الملون فرأى المستقبل فى جانب الجنس الغريب فقد يهمل جنسه هو إهمالاً تاماً بل قد يعده حجره عثرة فى سبيله .. ومن الممكن أن يسبب هذا كرهه لنفسه وهو ما وصفناه فى فصل سابق .. وكثيراً ما يكون الزنجى ـ الذى ينحو النحو الآخر ـ فخوراً بعنصره وينجح فى الوصول إلى الوضع الاجتماعى الذى يهدف إلى بلوغه .. يمثل هذا

---

(١) اسم الهولنديين المستعمرين كان يطلق عليهم البوير أى الزراع.

(٢) الهندى الصينى فى أندونيسيا هو سلالة الصينى مع الأندونيسى أو الملايو أو الأبيض أو هو السلالة الثانية للبيض مع الأندونيسيين والصينيين .. والصينيون لهم مواقف فمن اندمج منهم بحكم الزمن فهو أفضل بكثير من الصينيون السنك Sinkih Chinese الذين يعانون نفس المشكلات التى يعانيها البيض.

الشعور تلك المجلة الدورية الشهيرة الزنجية فى الولايات المتحدة التى تسمى (إبنوس Ebony) وربما أشكل الأمر إذا دخله عامل الدين. فإذا وافق أحد الملونين مثلاً أن تعمده الكنيسة ليسير بذلك أحد أفراد الجماعة البيض .. فهذه المحاولة لتحسين العنصر قد تنقلب إلى نكرانية فلا يكون تحوله إلى الدين الجديد إلا خطوة ضرورية يصبح بها أحد أفراد الجنس الذى يرى أنه أسمى من عنصره .. وقد يعتنق الزنجى النصرانية لاعتقاده أنه فى حاجة إلى دين خير من الوثنية .. إن الدافع له إلى رفعة عنصره هو الرغبة فى المساواه بجاره الأبيض لا دعواه بأنه أحد أفراد الجنس الأبيض.

وليس للتقدم العنصرى أهمية كبيرة مادام الباعث عليه فردياً فإذا صار حركة عامة فلابد من التصادم بالجماعة التى لا تسهم فى التقدم وخاصة لأن كل من يقف فى طريق الحركة لابد أن ينحى جانباً بلا رحمة .. وهذا لا شك سبب لاعتبار الحركة حركة مدمرة.. وقد سبق القول أن هذه الحركة تجد أعواناً من البيض الذين يرجون النفع السياسى من ورائها وتكون النتيجة حصول السود فى جهادهم على معونة مبذولة فى غير إخلاص.

ومحاولة تبيض الجنس أو أسيويته تهدفان إلى تحسين الجنس أو تغييره ويمكن أن تقسمها إلى قسمين :

**الأول** : من طريق النسل وذلك بالزواج المختلط.

**الثانى** : بإخفاء الجنس بالطرق المصطنعة حيث يعالج الجلد والشعر خاصة معالجة صناعية تجعل الفرد يبدو أكثر بياضاً أو تجعله فى بعض الأحيان أشبه بالآسيويين.

وعيب الطريقة الأولى أن الأبناء لا يخفى انتماؤهم إلى عنصرين مختلفين وعلى ذلك لا ينتمون انتماء كاملاً إلى أحد أصليهما.

وهذا يدعوا إلى ظهور جماعة خارجة لها موقفها المتميز بما يصحبه من توتر .. والواقع أن هذه الطريقة تنجح إذا توالى السير على منوالها عدة أجيال متتابعة.

وبين الهنود الأفريقيين فى كينيا نلاحظ ظاهرة غريبة جديرة بالذكر أن استعداد جسم الإنسان الطبيعى أن يتكيف حسب البيئة المحيطة به ليدعو إلى أعجب تطور عنصرى .. وهكذا نرى فى بعض أنحاء كينيا مثل كيسوموا عدداً كبيراً من الهنود وهم لا يتزاوجون من الأجناس الأخرى غالباً كما يفعل أخوانهم فى تنجانيقا .. ومع هذا ففيها عدد من الأبناء ذوى العنصر المختلط .. وهم عادة من أبناء هنود وأمهات أفريقيات وهؤلاء الأبناء فيهم

شبه ملحوظ بأمهاتهم حتى يبلغوا الثانية عشرة حتى إذا بلغوا سن الرشد أدركوا أن عنصر آبائهم أهم من عنصر أمهاتهم فيأخذون تدريجياً فى محاكاة آبائهم فى مظهرهم ومن هنا يتضح أن ظاهرة معرفة العنصر تلعب دوراً هاماً فى المسألة العنصرية.

وهناك ظاهرة مشابهة فى حالات التزاوج الكثيرة الانتشار بين الأفريقيين والعرب .. ولكن لا ترى هذه الظاهرة بتاتاً عند زواج الهنود بالعرب .. ومن أسباب هذا أن شعر العنصرين مستقيم غير مجعد.

وفى أمريكا الجنوبية يحاول كثير من ذوى الأنساب المختلطة Mullatto أن يظهروا بمظهر الأسبانيين أو المستيزو Mestizos وهذه الحركة تدخل فى إحدى صور التبييض .. وفى الوقت نفسه تبذل أكبر الجهود لإخفاء أسلافهم الأفريقيين .. وكثير من سكان جواد يلوب مثلاً يدعون أنهم قادمون من مارتنيك لأن أهالى هذه الجزيرة فيهم نسبة أكبر من دم البيض .. وهذا الأمر من الصعب أن تميزه من الناحية العنصرية أو من ناحية البنية حين يدعى أحد أفراد المنطقة أنه قادم من منطقة أخرى أكثر ثراء[1] .. ومن أغرب الأمور أن يخجل الزنجى فى أمريكا إذا أصيب بأحد الأمراض المتوطنة فى البلاد على أساس أنه مرض يصيب الفقراء[2] وهذا بطبيعة الحال لا علاقة له بالجهة التى تتعلق بتجنب ذكر أسماء بعض الأمراض.

ومحاولة جعل الشعر مستقيماً قد يعد فى كثير من الأحيان محاكاة للشعر الآسيوى بشرط أن يكون الباعث الأساسى له أتباع (المودة) فى تصفيفه اقتداء بالغرب لا مجرد الابتعاد عن الموجه السائدة عند الغربيات .. وفى هذا تستعمل الأمشاط الساخنة أو المحاليل المختلفة التى تذهب بتجعيد الشعر وأحياناً تستعمل الوسيلتان معاً وقد تستعمل الدهون .. وعند ذلك يصير الشعر مستقيماً دائماً .. وفى أثناء هذه الإجراءات لا يكون الشعر تام الاستقامة ولكن يجب أن يوهم أنه كان مستقيماً ثم تموج من أثر الماء.

ومن العجيب أن الهنود يودون أحياناً أن يكون شعرهم مموجاً بينما يطلب الزنوج أن يكون شعرهم مستقيماً إلا موجه أو اثنين حتى يبدو الشعر على النمط الهندى.

---

(١) هناك ظاهرة شبيهة بهذه ترى فى الجماعات الشديدة الديمقراطية .. عندما يحاول أفراد الطبقة الدنيا فى حديثهم عن أفراد الطبقة العليا أن يذكروا أسمائهم الأصلية دون تكلف يوهمون السامع بوجود الصداقة والمساواة بين الطبقتين.

(٢) قارن مرض البيض الفقراء بالحكة أو انتشار القمل فى أجسامهم مما ستنتج منه قذارة أجسامهم مع الخوف من ذكر أحد الأمراض كالسرطان مثلاً .. أو تجريم ذكره إطلاقاً.

ومن أعجب محاولات تغيير العناصر المصطنعة ما رأه مؤلف هذا الكتاب بين أفراد الحرس الكورى فى جنوب المحيط الهادى فقد طلبوا من الأطباء الذين كانوا ضمن المسجونين (دواء أبيض) يجعل بشرتهم أكثر بياضاً .. ولذا رأو أن كثير من المسجونين البيض عملت لهم عملية الختان طلبوا عمل هذه العملية لهم .. لقد عدوا هذا دلالة على المكانة بل على (اللون) يهبهم الإحساس بأنهم أقرب إلى الغرب من زملائهم من الحراس أو إخوانهم المواطنين.

وفى أمريكا كثيراً ما يطلب الزنوج من المصورين إظهار صورهم أكثر بياضاً ما أمكنهم ذلك وفى الصحف إعلانات منتظمة عن دهون تضمن مظهراً أفتح واتجاهاً سريعاً نحو البياض[١].

وفى غرب أفريقيا سمعت أن من مرضى الملاريا يفضلون الاتيرين أو المباكرين على النيفاكين Atibrine - Mepacrine niveqaine لأن العلاجين الأولين يصبغان الجلد باللون الأصفر مع تحويله إلى لون أفتح تدريجياً لكن بينما أنا أكتب هذا القول فإن الزمن يغير صحته .. ومما كتبه سيزولى Sithole أن الوطنى كان فى العهد الأول يرى التشبه بمن قهره (ويطلب رحمة الآلهه) .. وكان مما يخجل أن اسمه ليس من الأسماء الأوروبية ولكن الأحداث أخذت تقوض أسطورة الرجل الأبيض فإن المؤهلات والكفاية جعلت اللون المزية الأخيرة وكان لها المكانة الأولى.

وفوق ذلك فإن (حالة تغيير اللون) Latas Chamelionism هى لا مراء غير مقصورة على الملونين فما علينا إلا أن نذكر رغبة البيض فى أن تسمر جلودهم إظهاراً لما هم فيه من شرف مكنهم من قضاء وقت الراحة على شواطىء البحار وملاعب الرياضة .. والواقع أن السوائل الحديثة المستعملة لصبغ الجلد لا علاقة لها مطلقاً بالصحة وهى لا تستعمل فى أغراض التجميل - ومع كل - فلا فرق فى المبدأ بين من هم على أحد جانبى فاصل اللون وبين من هم على الجانب الآخر.

---

(١) تفرق قبائل الايبو وكثير من القبائل التى فى غرب أفريقيا بين السود من الهوسا Haussas وقبائل اليوريا Jarubas ذوى اللون الأقل سمرة والايبو المائلين للصفرة .. ويرى الايبو أن هناك نسبة عكسية بين التقدم الثقافى ومستوى الذكاء وبين ما فى الجلد من صبغة ومما يجدر ملاحظته أن للشعوب المختلفة نظرة خاصة للألوان. فعند الاشانتى يدعى اللون الأبيض أصفر والأسود أزرق .. وفى هولندا يقول الهولنديون أن الأندونيسيين ذوو لون أزرق.. وتسمى قبائل الهوسا البيض حمراً ويسمى الملونون ذوى الشعر الأحمر فى شرق أفريقيا وغربها (الأفريقيين البيض).

## الوشم والختان والحجاب :

لما كانت إحدى محاولات التبييض شبيهة بسائر المحاولات الأخرى التى تبذل للدلالة على أن الشخص هو أحد أعضاء جماعة بعينها باستعمال شارات خارجية لا مندوحة من يضع كلمات فى هذا الموضوع.

وكثير من صور الوشم هى الرموز القبلية لدى كثير من قبائل الزنوج .. بعضها يدل على حالة الرجل وبعضها يدل على عدد من أنجبت المرأة من أولاد أو قتل الرجل أعدائه .. والوشم أشبه شيء بالملابس أو شارات الرتب العسكرية ويدخل فى هذا ما يناله طالب الجامعة من علامات أو ما يضع الجندى أو البحار على زراعة من علامات تدل على رتبته.. وهذه العلامات إذا دلت علي طبقة أدنى فقد تصبح غير مقبولة متى مر عهد الشباب وتطلع الرجل إلى طبقة أسمى[1] أن الأشكال الكثيرة والصور المتعددة لشوارب قوات الطيران فى أثناء الحرب أقل ضرراً إلى أبعد الحدود.

ثم لدينا الشارات المدرسية وأربطة الرقبة وأشهر العلامات القبلية وأكثرها انتشاراً الختان والحجاب.

وعند المصريين القدماء كان الختان من الحقوق التى تمنح لخواص فرعون .. إذ كان شارة النخبة المختارة .. ولعل إبراهيم قد أخذ هذه العبادة إلى أهله عندما نفى من مصر (سفر التكوين إصحاح ١٢) حيث أن الشعب المختار لم يكونوا بالنسبة إليه إلا الصفوة فقد أمر أن يختن جميع اليهود .. وهكذا أصبح ما كان معتبراً دليلاً على الطبقة لدى المصريين رمزاً قبلياً بين الإسرائيليين .. وفوق ذلك فإن وشم الختان حال دون اتصال أفراد القبيلة بالقبائل الأخرى .. وكان لابد أن ينسب هذا الإجراء إلى سلطة إلهيه حتى يصير إجراء عام ويدلنا على هذا أن إبراهيم استعمل الختان برهاناً على عهده مع الله كما جاء فى سفر التكوين ١٧ : ٨ وأعطى لك ولنسيك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم).

ولما اتضح بعد ثلاثين قرناً أن الختان إجراء ذو مزايا صحية قيل فى موجة من الفكر الحر إن هذا كان من القوانين الصحية فى صحف موسى وعم استعماله إلى ما وراء حدود المسيحية والإسلام.

---

(١) مما حققه المؤلف بين عدد كبير من الجنود أن الوشم الأول الذى يعمله الشاب فى جسمه يكون قبل بلوغه الحادية والعشرين ومعظم من وشم من الشباب ندموا على ما فعلوا بعد ذلك.

والحجاب كان سمة هامة للطبقة والجنس والقبيلة .. وقد أمر القرآن أن تستر النساء أجسامهن ولا يبدين إلا وجوههن وأيديهن .. وفى المدن كانت النساء يحجبن وجوههن وأصبغ عليهن من القداسة ما دعا إلى تسميتهن بالحريم .. وكانت نساء الريف يتركن وجوههن سافرة إلا إذا خشين الشمس والأتربة .. وعلى هذا فالحجاب كان للمدنيات فى البلاد الإسلامية ولما كان من يزور البلاد العربية يقصد المدن غالباً دون الريف فقد أذاعوا الاعتقاد أن .. كل العربيات والمسلمات محجبات وهكذا اعتبر الأوروبيين أن ما كان من سمات النساء المدنيات وله اتصال وثيق إلى حد ما بالطبقة الراقية هو سمة شرقية عامة.. ولهذا قاوم أتاتورك استعمال هذا الفاصل بشدة فى تركيا وبهذا قضى على ما كان يعد سراً وحرمه فى بلاده.

لقد بحثنا فيما سبق فاصل اللون بين فئات من بنى الإنسان وعلاقات الجماعات المتوسطة بأصولها .. وعلاقات الجماعات المتوسطة بعضها ببعض ورأينا أن الدافع لترقية النفس .. وهو شعور أساسى عند كل إنسان كان يعترضه ولايزال إلى حد ما ظاهرة قيام الطبقات التى كان أساسها لون البشرة .. ولهذا لم يكن خلاف اللون هو السبب .. بل كان هو الوسيلة التى دعت إليها حاجة الناس إلى إقامة الحواجز ـ حواجز بين الأجناس وبين البلاد وبين الشعوب وبين القبائل وبين الأسر .. والحاجز بين الأبيض وغير الأبيض ما هو فى الحقيقة إلا حاجز بين أنفسنا وغيرنا كما قال لوقا (اللهم إنى أشكرك أنى لست مثل باقى الناس) لوقا ١٨ : ١١ .. ويلاحظ أن هذه الكلمات قالها الفريسى.

إذا كان لون البشرة غير كاف للتفرقة بين القبائل فى أفريقيا فهناك علامات توضع فى الوجه للتمييز.

# الفصل التاسع
# أعظم بوتقة لصهر البشر

ليس فى العالم بوتقة أشد قوة ينصهر فيها البشر مثل بوتقة جزائر هاواى وموانىء الشرق والمحيط الهادى إلا هذه الأرض الواقعة فى الغرب من المحيط الأطلسى حيث عاشت سلالات المهاجرين من أربع قارات مختلفة وعاشت عدة قرون .. وهذه البلاد التى تتوسطها جزائر البحر الكاريبى[1] تمتد تقريباً من نهر الميسيسيبى فى أمريكا الشمالية إلى ريو دى جانيرو فى أمريكا الجنوبية وهى تنطبق على ما سماه راموس Ramos (نطاق الزنوج) بالأمريكتين .. ولم يدخل فى هذه المنطقة المكسيك ولا جواتيمالا حيث لم يقم فيها فى الأصل من الزنوج إلا عدد قليل .. ولو أنه فى عشرات السنين الأخيرة حدث اندماج ثقافى بين هاتين المملكتين وسكان نطاق الزنوج.

ومن القارات الأربع أمريكا وآسيا وأوروبا وأفريقيا ـ التى أسهمت بالمهاجرين منها ـ فى مزج العناصر البشرية فى الدنيا الجديدة .. تقف آسيا وحدها فى موقف فريد .. وهذا راجع إلى حد ما إلى ما افترض من أن أول سكان أمريكا جاءوا من آسيا وهذا الفرض هو سبب السحنة المغولية التى لبعض القبائل الهندية .. وكثيراً ما يشاهد فى وجوههم ما يسمى بالطية المغولية فى الجفن .. كما يشاهد فيهم الصبغة المغولية التى ترى مع ذلك لدى بعض الشعوب الأخرى .. والاعتقاد بأن السكان الأصليين بالأمريكتين قدموا من آسيا مثار للجدل .. لأنه من الجائز أن تتفق وجوه السكان الأصليين فى أماكن متعددة فى العالم وغيرها ممن يقيمون فى خطوط عرض مماثلة .. على أن الحقيقة المؤكدة أن المهاجرين من الصين والهند وأندونيسيا قد قاموا بما أسماه جوزيه فاسكونسيلوس Josi Vasconcilos الجنس العالمى Cosomic race فى هذه المنطقة من الدنيا الجديدة.

وسكان المنطقة الكاريبية وأمريكا الوسطى الأصليون يشملون بصفة أساسية المايا

---

(١) لفظ كاريبى له صور مختلفة فى اللغة الأجنبية فهو كاريبش Caribisch فى الألمانية ويطلقون هم على أنفسهم كالينا Kalina وكارينا Karina.

Mayas والأزتك Aztecs[1] ومـدنيـة هؤلاء جـديرة بما تلقى من إعـجـاب .. ولكنهـا ظلت مجهولة حقبة طويلة من الزمان وقد استعمل المايا حروف كتابة مصورة .. ونحن إلى الآن نستـعملهـا شارات تجارية وإشـارات لغيـر ذلك من الأمـور .. وكانـت لهم قـدم راسـخـة فى الرياضيات وعلم الفلك .. وكانت لهم مجموعة قوانين وكان لهم تقويم خاص بهم .. ومدنية الازتك بلغت مبلغ مدنية المايا من التقدم ويمكن أن نذكر هنا جانباً أو اثنين من تلك المدنية .. كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة فى عالم به ثلاثة عشرة جنة وعدد منازل الجحيم فيه عشرة .. وكان إلههم الأكبـر هـو كتـز الكوتل Quetzal Coatl الذى خلق النـاس ويشـبـه اسكولابيوس Aes Colapius الهندى وهو يمقت الموت وبخـاصـة مـوت القـرابين البـشـرية رغـمـاً من أنه ضحى بنفسه ليرتفع إلى السماء المقدسة ليظهر فى صورة نجمة الصباح ونجمة المساء .. وكان له تاج كتاج اكسولابيوس على هيئة ثعبـان له أجنحـة كأجنحـة هيرمـز Hermis وكانت القرابين البشرية تمثل الذروة فى احتفالاتهم الكثيرة .. ومـعارض الجمـال عندهم على نحو مـا كان متبعاً فى كثيـر من المدنيات الأخرى وكان لآلهـة الانتحـار منزلة رفيعـة عندهم .. والواقع أن عدداً كبيراً من الناس بينهم كثيـر من الأطفال يقدمون كقرابين فى أيام الأعياد الكبرى فى احتفالات تختلف الشعـائر فيها حتى لا تبعث على الملل وأشهر احتفال القرابين جميعهـا مـا أقيم على هرم هـوتزيل بوكتل Hoitizel Pochtli وهو الوضع الذى أسـست فيـه كاتيـدرائية المكسيك قبل كشف أمـريكا بوقت قـصيـر .. وفى هذه المناسـبـة أقيمت طقـوس انتزعت فيها قلوب حوالى عشـرين ألف نسـمـة .. وكـان الغـرض من هـذه القـرابين تجـديد الشبـاب لكل من شـرب قـدراً من الدم كمـا استـهـدفت هـذه القـرابين إظهـار الولاء للآلهـة .. والقـرابين البشـرية من التقـاليـد المعروفـة لدى هنود أمـريكا ولو أن بعض القبـائل كانت تقـوم بهذه العملية على نطاق محدود.

ووأد الأطفـال وقـد كـان يعـزى فى بعض الأزمنة إلى رغبـة الآباء فى حمـاية أولادهم من حياة الرق تحت حكم الأسبـانيين .. كان فى الواقع مـعـروفاً قبل الفتح الأسبـانى .. وأشيـر إليه فى مخطوطات تقاويم الازتك.

وعلى خـلاف مـا جاء فى الأسـاطير اليـونانية خـاصة بتـنتـالس Tantalus الذى كان جزائه العـذاب المقيم فى جـهنم لأنه تقـرب للآلهـه بلحم ولده المشـوى .. كان اعـتـقـاد الازتك أن التضحية بالأبناء لتضمن لهم السعادة فى السماء.

(١) كان الانكا Incas يقيمون فيما يلى هؤلاء فى الظهير القارى من أمريكا الجنوبية.

ومن عاداتهم تكريم الميت بدفن أحد الأحياء معه .. وكان يسقى أولاً بخمير الذرة أو (الشيشة) وبينما كانت الذرة شعار الحياة كانت حبوب الشيشة شعار الموت.

والكاريبيون هو أحد قبائل الهنود الأمريكيون الذين يقيمون فى المنطقة المسماه باسمهم الآن فى أمريكا الوسطى .. وكانوا من الرحالة الذين لم يؤسسوا ملكاً كبيراً .. ولكنهم يعتمدون فى كسب قوتهم على القرصنة وأكل لحوم البشر.

واللفظ الدال على أكل لحوم البشر فى اللغة الإنجليزية مشتق من اسم هذه القبائل Cannibalism - Cannebal والقرابين عندهم لم تكن تقدم لآلهتهم ولكنها كانت تقدم لأنفسهم .. وكانوا يبحثون عن الغذاء اللازم لهم بين القبائل المعادية لهم ومن قبيلتهم نفسها وكانوا يختطفون النساء[1] الارواك والتياتو من جزر الانتيل Tiano ويأكلون أزواجهم وبقوا سادة على المنطقة الكاريبية حتى جاء دورهم ومحاهم الأسبانيين من الوجود .. وفى جزيرة هايتى مثلاً لم يبقى منهم الآن أحد على قيد الحياة.

وما أن كشف كولومبس أمريكا حتى قضى على امبراطورية الازتك والمايا وقد لبث كولومبس مدة لا تقل عن عشر سنوات يغرى حكومات البرتغال وأسبانيا وانجلترا وفرنسا بالاهتمام بما يعتزم القيام به من الحملات وكان من المصادفات المحضة أن وهبته ايزابلا ملكة أسبانيا المال اللازم تمهيداً لانتصارها على المغرب .. وهكذا كان أول من قدم إلى الامبراطورية الهندية من الغرب هم الأسبان وأمكن بالخداع والوعود الكاذبة وغيرها مما يعبر عنه ـ بالاستراتيجية ـ أمكن للأسبانيين الذين احتفل بقائدهم هرناند وكورتس Harnando Cortes وكأنه تجسد جديد لآلهم كوتز الكوتل Coatsal Coatl ومعه خمسمائة من رجاله وستة عشر جواداً أن يقضوا على الامبراطورية الهندية .. وحيث عجزت حرابهم ومدافعهم أن تمهد لهم طريق الفتح كان الانتحار على مدى كبير والمجاعة والأوبئة هى الوسائل الناجحة للقضاء على الهنود الأمريكيين .. ومن نجا من الموت منهم قضى فى الرق أيامه الباقية.

وكانت الكنيسة عاجزة عن القيام فى الوقت المناسب لمنع هذه الأعمال وكما يقول شورز Scharz لم يكن كتاب مثل (كوخ العم توم) يلفت نظر العالم إلى ما كان يحدث علي جانب المحيط الأطلسى البعيد .. ولم يكن هناك وقتئذ برق ولا صحافة تكشف الستار خارج

---

(١) وبعض قبائل الارواك أمكنهم الهرب من القارة .. وبعض هؤلاء وبعض الكاريبيين يعيشون الآن فى جيانا فى أمريكا الجنوبية.

العالم الغربى عن شرور تحدث فيه أكثر من مجرد العزل الاجتماعى .. وكل من نطق بأى احتجاج لا يلتفت إليه .. بل كان يمحى احتجاجه وأهم من احتج كان لاس كانساس الراهب الذى احتج على الرقيق من الهنود .. وإن كان قد شجع الرق بين الزنوج الذين هم أقوى بنية من الآخرين .. وانتهى أمره بأن أطلق على احتجاجاته وكتبه فى أسبانيا (الأسطورة السوداء).

ولما استقر الأمر فى الدنيا الجديدة .. أحيط بزرارى سكانها الأصليين فى معازل فى الشمال وتعرضوا للفقر والتشتيت فى الجنوب ولم تقم قائمة الهنود من جديد إلا بعد عدة قرون عند تأسيس بعض الممالك الحديثة مثل المكسيك وجواتيمالا.

وجاء المستكشفون ما جلبوه من الموت والخراب بلغاتهم وعاداتهم ودمائهم[1] وأسس كهنتهم المدارس الدينية التى أصبحت جامعات فيما بعد .. وضحى جنودهم بنقاء دمائهم على الرغم من معارضة الكنيسة .. وأوجدوا جنساً حديثاً هم (مستيزو أمريكا الجنوبية) Mestizo.

وسنصرف النظر الآن عن الدور الذى لعبته أوروبا فى خلق الدنيا الجديدة .. فنجعل لأفريقيا المكان الأول لأنها أمدت المنطقة التى نتحدث عنها بمعظم سكانها.

أفريقيا لم تكن ممثلة على مسرح المنطقة الكاريبية تمثيلاً قوياً إلا بعد ٢٠ سنة من كشف أمريكا عندما جاءت أول سفينة مشحونة بالرقيق .. وقد جاءوا أساساً من المنطقة التى تحيط بخليج غانا .. وما يعرف الآن بالكونجو وهى وطن السودانيين والبانتو ويشمل سودان أفريقيا الغربية القديم ساحل العاج وغانا وداهومى ونيجيريا[2].

---

(١) ولقد أبان التاريخ أن هذه المستعمرات دون غيرها هى التى أقام فيها المستعمرون واستعمروها استعماراً تاماً هى التى بقيت بعد استقلالها موالية للبلاد التى كانت تابعة لها.

(٢) يمتاز السودانيون الأفريقيون بمتانة تكوينهم وكبر أنوفهم المفلطحة وشفاههم السميكة وليس للبانتو هذه المميزات واستطاع كل منهما أن يحتفظ بنقائه العنصرى كما أن الصحراء عزلتهم عن أفريقيا الشمالية وحالت الأمراض المدارية دون انتشار البيض بينهم كما حالت زيابة التسى تسى دون وصول أى إنسان أو أى حيوان إليهم من الشرق.. ويعتبر البعض سكان أفريقيا الشمالية إما حاميين (ذوى شعر مستقيم وقد يظن أنهم من الجنس القوقازى) وإما ساميين .. ذوى شعر مستقيم من المجموعة العربية) وللإسلام واليهودية بعض الأثر فى قبائل شمال السودان .. وهذه الحقيقة جاءت فعلاً ببعض آثار الإسلام إلى البرازيل فى صورة حضارة المالى Malse وهؤلاء الزنوج يؤمنون بالله ويمارسون عملية الختان متى بلغوا العاشرة .. والزنوج الفولا فولو فى شمال البرازيل هم أيضاً من سلالة زنوج ذوى شعر مستقيم يمكن أن يكونوا من الحاميين أو من خليط من الحاميين والسودانيين (كلزى) Kelsey.

ومن ساحل الذهب كان الرقيق ينقلون إلى المستعمرات البريطانية فى المنطقة الكاريبية ومن داهوى كانوا ينقلون إلى الانتيل الفرنسية والهولندية ومن الجزء الجنوبى لأفريقيا الغربية المستعمرات الأسبانية والبرتغالية وبخاصة كوبا وجاميكا[1].

ومن هذه المراكز كان الرقيق يباعون إلى أمريكا الشمالية[2].

وكان نقل الرقيق أول الأمر مقصوراً على أصحاب امتياز النقل وعلى أساسه منح الأسبانيون كما منح البرتغاليون احتكار تجارة الرقيق لبعض أصحاب السفن .. ويجب ألا نغفل فى هذا المقام أن الرقيق أنفسهم هم الذين سهلوا إلى حد كبير تجارة الرقيق وجعلوها ميسرة .. فهم لم يعرفوا معنى الاتحاد وطالما استرق بعضهم البعض .. وباع بعضهم البعض قبل كشف أمريكا .. باعوا أنفسهم للبيض وللعرب جميعاً .. ولولا هذا الانقسام بينهم لما وصلت تجارة الرقيق إلى ما وصلت إليه من الاتساع .. وكان فى البعوض وزبابة التسى تسى ما يكفى لحمايتهم .. فإن أحداً من البيض لم يكن ليستطيع التغلغل فى (قبر الرجل الأبيض) فى غرب أفريقيا.

هذا ومن المعروف من جهة أخرى أن الرقيق فضلوا مستقبلاً مجهولاً على ما هم فيه من الرق تحت سلطان ملكهم الأفريقى .. ولاسيما إذا كانوا يعتقدون أن الرق سيلازمهم فى حياتهم الأخرى .. ويجهلون المخبأ لهم فيها.

ومهما يكن سبب تجارة الرقيق فإن ملايين من الأفريقيين كانوا ينقلوا إلى الدنيا الجديدة .. وهناك شاركوا السادة البيض[3] فى مضمار السبق الجديد .. وهكذا بعد ظهور المستيزو Mestizos جاء الملاتو .. ولنعد إلى الأسبانيين ومن وصلوا بعدهم.

لقد توغل الأسبانيون فى داخل القارة بحثاً عن الذهب الذى زعموا أنهم جادون فى طلبه فى أغراض طبية .. ومن السهل أن نتصور أن الهنود أقنعوهم بأن الذهب يوجد كلما توغلوا داخل القارة .. وفى الوقت نفسه كان الإنجليز والهولنديون يتطلعون بالعمل الذى

---

(١) لايزال يرى فى كوبا أثر لثقافة اليوربا Ioruba سكان غرب أفريقيا وديانة الفودو Vodu فى هايتى أصلها من مستعمرات فرنسا السابقة فى غرب أفريقيا واللغة الكرومانتية فى جامايكا ترجع فى أصلها إلى منطقة الكرمنتى Cromanti فى غرب أفريقيا.

(٢) يهاجر حتى الوقت الحاضر من المنطقة الكاريبية كثير من الزنوج وبخاصة من بورتريكو إلى الولايات المتحدة .. ويبدو أن زنوج أمريكا الأصليين لا يرتاحون إلى رحلة هؤلاء القادمين الأفريقيين.

(٣) أن أصحاب الرقيق بذلوا الجهد فى زيادة الإرقاء وكانوا يسمون عملهم (تربية الرقيق).

كان مجاله المناطق الساحلية وقد بدأ هؤلاء تجارة الرقيق الخاصة بهم ونقلوا الرقيق إلى المزارع المختلفة لزراعة القصب والبن والكاكاو والموز والقطن(١).

الواقع أن حق نقل الرقيق كان مقصوراً على الهولنديين الذين كانوا فى جنوب الأراضى المنخفضة (بلجيكا الآن) لأن الأسبانيين رفضوا أن يشترك أعدائهم البرتستانت فى تجارة الرقيق .. وهؤلاء حاربوا الأسبانيين حتى فى المستعمرات وأمكن قائدهم بيت عين Piet Hein أن يستولى على أسطول الفضة الأسبانى وهو لاشك اسم مناسب جداً لأنه اتضح أن (الالدورادو) فيه من الفضة أكثر مما فيه من الذهب(٢).

وفى القرن السابع عشر أسس الهولنديون مستعمراتهم فى شمال البرازيل ولما أخرجوا منها انتقلوا إلى جيانا ولاتزال جيانا الهولندية إلى الآن هى جيب بروتستانتى فى أمريكا الجنوبية الكاثوليكية .. وقد استعرت الحرب بين الإنجليز والأسبانيين كذلك .. وكانوا متحالفين مع الهولنديين فى أول الأمر ولكن الحليفين دبت المنافسة بينهما واستولت كل منهما على مستعمرة الأخرى .. ونيويورك التى أسسها الهولنديون فى أثناء هذه الحرب استبدل الإنجليز باسمها سورينام المستعمرة الإنجليزية(٣).

لم يكن للإنجليز ولا للهولنديين نصيب كبير فى الجنس العالمى Raza Cosmica فى الدنيا الجديدة ولكن نشاطهم كان فى تجارة الرقيق .. ولم تتجاوز فتوحهما بضع جزائر ومساحة صغيرة من القارة(٤) ولم يكن الفرنسيين مهتمين أول الأمر كذلك .. وقد جاء بعضهم طهاه فى السفن أو طلباً للبغبغوات والأصباغ أو ريش الطيور وبعضهم جاء مدعياً أنه من الأسبانيين .. لأن أسبانيا لم تكن راعية على البروتستانت فيها ولا فى المستعمرات الأسبانية ولهذا كانت المستعمرات الفرنسية محدودة المساحة كالمستعمرات البريطانية مقصورة على بعض جزر مثل هايتى ومارتنيك وكاين فى القارة الأمريكية وهى التى صارت فيما بعد مقراً للمحكوم عليهم.

أما البرتغاليون وقد كانوا أكثر اهتماماً بالهند التى وجدوا طريقاً إليها ماراً برأس الرجاء الصالح لم يظهروا على مسرح أمريكا الجنوبية إلا بعد الإنجليز والهولنديين .. ولو

(١) بدأ الزنوج فى القرن التاسع عشر بجدول أعمال لهم فى مصانع استخراج الزيت وفى المناجم.

(٢) وهذا واضح من لفظ أرجنتينيا وريو دى يلابلاتا Riodila - Plata وهما اسمان فيهما إشارة إلى الفضة.

(٣) لم يحصل الإنجليز على حق جلب الزنوج الأفريقيين إلى المستعمرات الأسبانية إلا فى عام ١٧١٣.

(٤) دمرارا وسورينام Damirara - Surinam.

أن عدداً منهم جنحوا إلى شاطىء البرازيل سنة ١٥٠٠ وضموا إلى ملكهم ثالث أقطار الدنيا اتساعاً ولكن الحق أن البرتغاليين لم يكن لهم كبير الاهتمام بهذه المنطقة إلا بعد عام ١٨٠٠ بوقت وجيز عندما فر الملك جو الرابع Gose أمام جيوش نابليون المنتصرة ونقل حاضره الامبراطورية البرتغالية إلى البرازيل .. وكان البوليستا Paulistas أو المستيزو من الهنود والبرتغال فى المنطقة المحيطة بسان باولو.

ثم عظم شأن البرتغاليين بعد ذلك حتى صارت اللغة البرتغالية هى لغة البرازيل ومما يلفت النظر إلى الجنس العالمى Raza Cosmica الذى يقطن أمريكا الجنوبية ليس فيه ما يمثل الإيطاليين بتاتاً[1] وبخاصة إذا ذكر أن كولومبوس الذى كشف الدنيا الجديدة من جنوه وأن أميركو فيسبتشى الذى خلع اسمه على القارة من فلورنسا ولم يهاجر كثير من الإيطاليين إلى أمريكا الجنوبية إلا من وقت قريب .. والإيطالية لغة بعض المناطق فى الأرجنتين.

أما نصيب ألمانيا فى العالم الجديد وفى العنصر الجديد فأقل من ذلك بكثير .. واقتصر عمل الألمان على مد حملات الأمم الأخرى بالمال .. ونظراً إلى أن ألمانيا لم تكن دولة بحرية لم يكن لهم فضل فى نشأة الدنيا الجديدة .. ولقد أسسوا مع هذا مراكيبو فى فنزويلا وكان أحد مؤسسى سنتياجو فى شيلى المعروف باسم بارثلوسيوس فلوريس Bartholomins Floris كان اسمه الهريلومنتال .. وأغلب الظن أنه لم يكن ألمانياً حقاً .. وعلى هذا يمكن الجزم بأنه باستثناء من التيوتونين البرازيليين بقيت أمريكا اللاتينية خالصة من الدم الألمانى.

وكان أثر الاسكندناويين مقصوراً فى ثلاث من أصغر جزر الانتيل ولقد حظيت جزيرة سانت توماس[2] الدنماركية بمزايا الحياد فى أثناء الحروب الكثيرة التى قامت بين الدول الاستعمارية وكان بعض سكانها من الدنماركيين وسائر سكانها من الفرنسيين والهولنديين .. ولم يظهر فى هذا الميدان أثر لأوروبا الشرقية إلا مرة واحدة فى أثناء العهد الاستعمارى الأول .. وذلك عندما وصل إلى هايتى الجنود الهولنديين التابعون لنابليون .. ولم يبقى لهؤلاء أى أثر اليوم إلا ما قد يرى مصادفة من سكان هايتى من ذوى العيون الزرقاء ولا أثر لهم غير ذلك .. والبوتقة لا تكون كاملة ما لم يكن بها شىء من الشرق .. ففى حوالى ١٨٩٠

(١) ولهذا يفضل اسم أمريكا الأيبيرية على أمريكا اللاتينية.

(٢) بيعت للولايات المتحدة عام ١٩١٧.

هاجر نحو ٦٠ ألف تركى وشامى إلى البرازيل .. وسبق أن وصل بعض اليهود المستعمرين إلى أمريكا الجنوبية .. وهؤلاء جاءوا من أسبانيا والبرتغال .. أخرجتهم محاكم التفتيش لأنهم رفضوا قبول الديانة المسيحية وكان عدد من سمح لهم بالإقامة من اليهود فى المستعمرات الأسبانية والبرتغالية قليلاً .. ومعظم هؤلاء السفرديم هاجروا إلى المستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية .. وجاء السفرديم أيضاً إلى أمريكا الجنوبية من ألمانيا[1].

## العصر الذى أعقب الرق :

بعد إقصاء فترة الاستعمار الأولى التى كان الرق أبرز ما اتصفت به .. جاء عهد ثانى اختلطت فيه الأجناس البشرية الجديدة استمر طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومن الغريب أنه بعد زوال السيادة الأسبانية والبرتغالية فى أمريكا الجنوبية ظل الاستعمار باقياً فى المساحات الصغيرة التى كانت تحت الاحتلال البريطانى والهولندى والفرنسى وهى التى تتفق تقريباً وما يسمى (منطقة الزنوج).

ولقد ألغى الرق[2] .. أما الرقيق المحررون الذين حلوا محل الهنود قبلاً فقد تخلوا عندئذ عن العمل فى المزارع وقام بعملهم غيرهم من العمال[3].

(والزحف الكبير) إلى المدن الذى يفسر إلى حد ما اتساع المدن الخاصة بالزنوج جعل توفير اليد العاملة بالنسبة إلى المزارع العلمية مسألة حياة أو موت .. وكانت التجربة الأولى جمع عدد من العمال الصينيين ولكن اتضح عدم كفايتهم للزراعة كما اتضحت مهارتهم فى إدارة الأعمال أكثر من العمل فى المنطقة الحارة .. ثم أخذت الحكومتان البريطانية والهولندية تشجعان الهجرة من الهند البريطانية .. وتبع ذلك هجرة الأندونيسيين إلى جيانا الهولندية .. ولم تحدث أية هجرة غير ذلك إلى المنطقة الكاريبية.

---

(١) واليهود الذين قدموا من أسبانيا كانوا يسمون بالمارانو Marrano مثل المارون Marrons أو الزنوج الهاربين والاسم الأول يعنى خنازير .. وكان يسمى به اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ولفظ مارار Marrar يعنى سقط أو هجر أو هرب وأغلب الظن أن لفظ مارون مشتق مارار .. والفرق بين مارانو ومارون واضح نظراً إلى أن الرقيق الذين لم يهربوا لم يسموا مارون .. ولعل الأسبانيين لم يقصروا تسمية الخنازير على اليهود وحدهم بل سموا بها الهولنديين الذين نزحوا من الأراضى المنخفضة.

(٢) ألغت بريطانيا الرق عام ١٨٣٤ والدنمارك ١٨٤٨ وهولندا ١٨٦٣ والولايات المتحدة ١٨٦٥ والبرتغال (البرازيل) ١٨٨٨.

(٣) ولتعويض النقص فى عدد العمال كان يقبض على الزنوج ـ لأقل مخالفة وينقلون إلى الأعمال الزراعية .. وهذا النظام كان متبعاً بكثرة فى الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة.

ويجدر بنا أن نقول كلمة عن هجرة الرقيق المحررين وأبنائهم إلى المدن .. وهذه الهجرة غير (هجرة الفقراء الهاربين من الفقر) - ماركس - من مناطق الريف الأوروبى حيث أن مستوى معيشة الرقيق كانت أعلى فى الريف منها فى المدن .. وكان السبب الأول لهجرتهم أنهم أشبه شىء بالرقيق فى المزارع .. ومن سوء الحظ أنهم لم يجدوا الوسيلة للانتقال من الزراعة إلى الصناعة فى المدن .. فهم لم يهربوا من الفقر بل هاجروا إلى الفقر .. إذ لم يكن يوجد لهم أى عمل فى المستعمرات .. ولم تتحسن حال الزنوج إلا عندما ذهبوا إلى المراكز الصناعية كمناطق استخراج البوكسيت والبترول.

## الخطوة التالية فى الاندماج العنصرى :

يكفى ما سبق فى بحث العوامل التى أثرت فى بوتقة الشعوب التى حاربت وتزاوجت فى المنطقة الكاريبية وفى أمريكا الجنوبية كلها.

لقد نبت عنصر جديد فى الدنيا الجديدة وظهر نوع جديد من الإنسان العاقل وهو يمثل من الناحية الانثروبولوجية كثيراً من الأجناس وذلك حسب مجموعات الكروموزومات التى فى دمه - مع ملاحظة أن البيض والسود متساوون فى عددها - أما بشرته فهى إما فاتحة أو قاتمة .. وأما شعره فمستقيم أو مجعد.

والبوتقة لاتزال تغلى فقبيل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠ كان سكان جيانا الهولندية من البيض والملونين ولم يكونوا بينهم هندوستانى واحد (هندى أسيوى) فى المجلس النيابى بسورينام .. ولكن فى الفترة بين ١٩٤٥ - ١٩٥٦ لم يقل عدد الهندوستانيين عن أحد عشر عضواً من مجموع أعضاء المجلس البالغ عددهم خمسة وخمسين عضواً[١].

وفى محاربتنا الشديدة ضد التفرقة العنصرية نود لو أن نتجنب استعمال لفظ (عنصر) عند الإشارة إلى بوتقة المنطقة الكاريبية .. ونستبدل به (الجماعة العنصرية) ولكن الذين يعرفون المنطقة الكاريبية لا يرضيهم هذا فهم يعلمون أنه لم تتطور هنا جماعة عنصرية فحسب بل تطور نوع جديد من السلالة الإنسانية له خواصه العنصرية .. وفى شعاب المنطقة الكاريبية المختلطة تزوج الزنجى الضاحك المرح بالهندية الصامتة المنطوية أو

---

(١) لم يزيد الهندوستانيين فى عددهم فحسب بل زادوا كذلك فى قوتهم الاقتصادية وهم قوم لا حاجة لهم إلى البذخ وقد مكنهم اقتصادهم من أن يكونوا قوة عاملة رخيصة ولعلهم الشعب الوحيد فى جنوب أمريكا الذين لم يطلق عليهم لفظ (كولى) Colie ويخشى فورتيفال Farnivall أن تسود نظرية (بقاء الأرخص) فى مجال المنافسة الاقتصادية.

الأوروبية البيضاء المستعمرة .. والرجل الأبيض بما فى نفسه من جشع فى امتلاك الأرض تزوج الهندية التى تريد أن تكثر عنصرها المنقرض .. واقترن المغولى المرح بالآسيوية العاطفية وهكذا أصبح اللون الأبيض أميل إلى السمرة .. واللون الأسمر أميل إلى البياض[1] وعلى هذا لم تنتج بيضة كولومبس طائراً بل خرج منها عنصر جديد.

ولو لم يكن فى هذه البوتقة عنصر اللون لكان الموقف غاية فى البساطة .. وعندما تتحد الأجناس فى اللون يسهل اختلاطهم ويحدث الاندماج بينهم دون أى نظر إلى اختلاف العنصر .. قال كبلنج من النورمان والانجلوساكسون صب الإنجليز عنصراً واحداً فى ثلاثة قرون .. مثل هذا لا يحدث ببطىء عند اختلاف اللون كما فى حالة اندماج الاربين والدرافيد وفى عنصر أمريكا الجنوبية الحديث.

وهذا يثير سؤالين لا مفر من الإجابة عنهما .. بوتقة صهر أو خلط.

١ - هل الأجناس المختلفة أو الجماعات العنصرية قد امتزجت فعلاً بعضها ببعض أم هى لم تزيد على الاختلاط .. ؟ ..

٢ - هل مدنية المستيزو والملاتو فى الكاريبى صهر أو خلط .. ؟ ..

لو أن العناصر قد صهرت معاً فأخرجت عنصراً جديداً لحاولنا القول أن شعباً جديداً قد أبدع .. أما إذا كانت قد اختلطت فإنه من الممكن أن تفرق بين مكونتها.

والسؤال الأول سبق توجيهه من قبل .. ومن رأى همفرى Humphrey عن ستودار Stodard أن بوتقة الصهر لا تعطينا فى ألف عام الصهر الذى يؤمله المتحمسون .. ستعطينا فى مدى أجيال كثيرة متعاقبة عدداً من الأجيال المتباينة .. ونظراً إلى أن الخلف يرجعون إلى أسلافهم فى خصائصهم سيزيد التنوع فى الأسلاف من شكهم فى ورثاتهم .. سوف لا يرثون خلقاً كاملاً متناسقاً ثابتاً لأن مثل هذا الخلق لا يوجد .. سيرثون خليط من الخصائص المتنوعة أسهمت فيها شعوب متنوعة كذلك .. وسيكون لهم من وراء ذلك ميراث بعض الخصائص التى تنطبق كل الانطباق على خصائص السلف .. ويحرمون حرماناً تاماً من بعض الخصائص الأخرى .. وهذا الذى سيحرمون منه يستره سلوك الجماعة الذى يلهم أعداد كبيرة من الناس أمالهم ومطامعهم.

ولنحاول الإجابة على السؤال الثانى .. ذلك لأنه من السهل أن نضع أيدينا على

(١) هذه من مميزات بعض الشعوب ولكن إلى حد بسيط جداً فمثلاً يلتزم الهنود الصمت لأنهم يخشون أن تسمع الأرواح الشريرة كلامهم فتعرف مقر فرائسهم القادمة.

العناصر الأصلية لمدنية الستيزو والمولاتو .. ومع هذا فالإنسان لا يستطيع التنبؤ بأى العادات سيكون لها الغلبة فى أثناء عملية الصهر.

وفى المنطقة الكاريبية يمكن تمييز المدنيات المختلفة بوضوح وفى كثير من الأحوال كان امتزاجها قليلاً.

ومهما كان الامتزاج عظيماً ففى وسعنا أن نميز الديانات المختلفة والطقوس الدينية المتنوعة .. وعلى الجملة ليس الخلاف كبيراً بين مختلف المدنيات فليس هناك إلا حالة ثقافية تقترب كل مدنية فيها من الأخرى أو تطغى عليها.

وإذا أردنا أن نفتش عن مدنية عامة فى المنطقة الكاريبية لا نجد إلا روحها وعاداتها .. وإلى هذه الروح يرجع شعور الحرية وانعدام كل القيود .. إن وجود القبعة اليعقوبية علي كثير من الرؤوس فى أمريكا الجنوبية يدل على أن هذه الشعوب هم أصدقاء جديدون للحرية والمساواة .. وعلى النقيض من الحرية الروحية التى يستشعر بها البوزى فى الآخرة فإن سكان أمريكا الجنوبية حريصون على حريتهم فى هذه الحياة .. الله حر ويشعر بالحرية ولا يخشى أحداً .. لا تقيده العادات ولا أداب اللياقة ونظرته إلى الحياة (استمتع بيومك) Carpedien وليس معنى هذه أنه ميال للكسل ولكن فلسفته فى الحياة تقتضى أن يسرع ولكن برفق Festina Lente وهذه الفلسفة تسود فى الأجواء الحارة على خلاف السرعة التى من خصائص سكان البلاد الباردة.

ونعود إلى السؤال الأول الذى يبحث إن كانت الأجناس المختلفة والجماعات العنصرية المختلفة قد امتزجت حتى صارت عنصراً جديداً واحداً مخالفاً لها .. أم هل اختلطت المدنيات ليس غير .. وهل من الصواب أن نتحدث عن بوتقة صهر امتزجت فيها العناصر المختلفة الأصلية أم عن مخلوط يمكن تمييز كل العناصر التى يتركب منها .. وقانون مندل يؤيد تأييداً كاملاً الاحتمال الثانى .. فإذا قيل أنه عنصر مختلط .. فهذا تعبير صادق لأن الجينات التى تجعل جميع الخصائص الموروثة لا يمكن أن تمتزج كل منها بالأخرى .. وفان لير Van Lier يستخدم اصطلاح التمييز Segmemtaris ليعبر به عن رأيه بأنه ليس هناك فقط جماعات عنصرية بل أفراد أيضاً .. وهؤلاء جميعاً لا يمكن أن يكون امتصاصهم كاملاً .. ونظرية همفرى التى أشرنا إليها فيما سلف تستبعد (بدعة بوتقة الصهر) كلية .. والملونين أنفسهم يعتبرون هذه الظاهرة خلطاً لا اندماجاً .. أن بطن المرأة الملونة لا يلد إلا ما يشبه الثوب المتعدد الألوان.

إن خير الأسماء الذى يطلق على اختلاط الأجناس هو (فسيفساء الجينات) Mossie of genes وفى كل فرد يختلف موضوع الجينات .. والمستقبل وحده هو الذى يحدد المدى الذى تتم فيه الوحدة المثالية بعد التنوع .. ومما كتبه فيزا كلسى Vesa Kelsy أنه كان لابد من مرور عدة قرون حتى يمكن القول (أنا برازيلى من البرازيل).

يتضح مما تقدم أنه ليس من الصواب أن يقال أن هناك عملية صهر وامتصاص للأجناس .. إن الجنس العالمى Raza Cosmica بما فى هذا التعبير من قوة قد أخلى مكانه لشعار جديد هو (أمريكا اللاتينية إلى الأبد).

# الفصل العاشر
# الاختلاف المرئى والاختلاف الخفى

## أولاً : الاختلاف المرئى :

يتضمن الفروق العرقية التى شدت انتباه أسلافنا ولاتزال تقلق الكثيرين اليوم (لون الجلد - شكل العين - نمط الشعر .. إلخ ..) باختصار الصفات التى تسمح للأغلبية بتحديد أصل الفرد .. بنظرة واحدة .. فإذا أهملنا المولدين فمن السهل طبعاً أن نميز الأوروبى عن الأفريقى عن الأسيوى .. إذا تحدثنا فقط عن الأنماط المألوفة لدينا والكثير من هذه الخصائص - والتى تكاد تكون متشابهة فى كل قارة على حدة - يعطينا الانطباع بوجود سلالات نقية .. وبأن الفروق بينها فروق صريحة وواضحة.

وهذه الصفات تحددها الوراثة جزئياً على الأقل .. وأقل الصفات تأثراً بالوراثة هى لون الجلد وحجم الجسم لأنهم يتأثران أيضاً بالتعرض للشمس وبالغذاء .لكن دائماً يكون هناك مكوناً وراثياً قد يكون غاية فى الأهمية.

تؤثر فينا هذه الخصائص كثيراً .. لأننا ندركها بسهولة .. ما سببها .. ؟ .. يكاد يكون من المؤكد أنها قد تطورت فى آخر مراحل تطور الإنسان عندما تزايدت أعداد الإنسان الحديث.

الإنسان المبكر الذى يصعب عملياً تمييزه عنا والذى ظهر أصلاً فى أفريقيا .. وبدأ ينتشر فى القارات الأخرى.

أما ما يعنينا هنا فهو انتشار الأفارقة إلى مختلف أنحاء العالم قد عرضهم إلى تنويعة هائلة من البيئات .. من بيئات حارة رطبة - حارة جافة (وكانوا متأقلمين عليها) إلى بيئات معتدلة وباردة .. بما فى ذلك أبرد بيئات العالم كما فى سيبيريا.

ويمكننا أن نذكر الآتى :

## ١ - التعرض إلى بيئة جديدة :

من المؤكد أن التعرض إلى بيئة جديدة سيتسبب فى التأقلم .. ومنذ بدأ الشتات الأفريقى من ٥٠ - ١٠٠ ألف سنة مضت أتيحت الفرصة المناسبة لتأقلم جوهرى (ثقافى وبيلوجى) يمكننا أن نشهد آثار التأقلم البيلوجى فى لون الجلد وفى حجم وشكل الأنف والعينين والرأس والجسم.

نستطيع أن نقول أن كل مجموعة اثنية قد هندست وراثياً تحت تأثير البيئة التى استقرت بها .. فالجلد الأسود يحمى من يحيا قرب خط الاستواء من الاحتراق بأشعة الشمس فوق البنفسجية التى قد تؤدى أيضاً إلى سرطانات فى الجلد مميتة.

أما غذاء الفلاحين الأوروبين الذى كان يخلو أو يكاد من اللبن ومنتجاته والذى كان يتكون كله تقريباً من الحبوب الفقيرة فى فيتامين (د) الجاهز .. هذا الغذاء كان ليتركهم عرضة للكساح (اللبن لايزال يحتاج إلى إضافة هذا الفيتامين) .. لكنهم تمكنوا من البقاء على خطوط العرض العالية التى هاجروا إليها من الشرق الأوسط لأن الجسم يمكنه أن ينتج هذا الفيتامين الأساسى من جزيئات سليفة موجودة بالحبوب وذلك بمساعدة ضوء الشمس .. لهذا السبب طور الأوروبيين الجلد الأبيض الذى يمكن لأشعة الشمس فوق البنفسجية أن تخترقه فتحول الجزيئات السليفة إلى فيتامين (د).

لم يكن إذن بلا سبب أن يزداد لون جلد الأوروبى بياضاً كلما اتجهنا شمالاً.

تكيف حجم الجسم لدرجة الحرارة والرطوبة ففى المناخ الحار الرطب (المميز للغابات الاستوائية) من المفيد أن يكون الإنسان قصيراً لأن مساحة السطح الخارجى للجلد المفرز للعرق سيكون أكبر بالنسبة لحجم الجسم كما أن الجسم الصغير يستهلك طاقة أقل وينتج حرارة أقل .. والشعر المجعد يسمح للعرق بالبقاء على فروة الرأس وقتاً أطول مما يؤدى إلى تبريد أكبر.

بهذه التحويرات .. يقل خطر ارتفاع الحرارة فى المناخ الاستوائى .. تكون العشائر التى تحيا بالغابات الاستوائية قصيرة القامة على وجه العموم والأقزام الأفارقة هم المثال المتطرف.

من ناحية أخرى سنجد أن أوجه المغول وأجسامهم قد تكيف للبرد القارس فى سيبيريا فالجسم لاسيما الرأس .. يميل إلى الاستدارة مما يزيد حجمه ومن ثم يقل السطح الخارجى للجلد بالنسبة لحجم الجسم فيقل ما يفقده من حرارة .. وسنجد فيهم أن الأنف

صغير ليقل احتمال تجمده .. وفتحات الأنف ضيقة لتدفئة الهواء قبل أن يصل إلى الرئتين.. ثم إن الأعين محمية من هواء سيبيريا البارد بثنيات سميكة من الجلد .. كثيراً ما تعتبر أعينهم جميلة بل لقد تساءل (داروين) عما إذا كان اختلاف الناس فى تذوق الجمال سبباً من أسباب الفروق العرقية حتى لقد أطلق على فكرة اختيار القرين أو القرينة بناء على صفة الجمال اسم (الانتخاب الجنسى) .. ومن المحتمل أن يكون الانتخاب الجنسى قد عمل على بعض الصفات (لون العين وشكلها .. إلخ ..) .. لكن العيون الأسيوية لا تقدر فى آسيا فقط .. إنما هى تعشق فى كل مكان آخر .. فلماذا لا نجدها فى مناطق أخرى من العالم .. ؟ إننا نعرف بالطبع أنها من بين خصائص البشمان فى جنوب أفريقيا .. وهناك أفارقة آخرين يحملون هذه الأعين المائلة .. ربما انتشرت هذه الصفة بالانتخاب الجنسى من شمال شرق آسيا إلى جنوب أفريقيا حيث المناخ ليس بارداً على الإطلاق .. ومن المحتمل أيضاً أن تكون الصفة قد نشأت فى أكثر من مكان أثناء تطور الإنسان .. فإذا ظهر أولاً أن العوامل المناخية كانت هى الأهم فى خلق الفروق العرقية فلا يجب أن نهمل الانتخاب الجنسى كتفسير جانبى محتمل .. غير أن الأساس الوراثى لهذه التكيفات ليس معروفاً للأسف .. فهذه الصفات جميعاً معقدة جداً .. ثم إن الاختلاف الضخم فى الأذواق يزيد من تعقيد الأمر.

## ٢ - الاستجابة التكيفية للمناخ :

سنجد فى المنطقة التى تحيا بها أى عشيرة معينة أن الاختلاف فى المناخ ضئيل .. لكن هناك اختلافات كبيرة على سطح كوكب الأرض .. وعلى هذا فإن الاستجابة التكيفية للمناخ لابد أن تولد جماعات متجانسة وراثياً فى المنطقة المتجانسة مناخياً .. وجماعات مختلفة جداً فى المناطق مختلفة المناخ.

ولقد نسأل إن كان قد مضى من الوقت (منذ الاستقرار بالقارات) ما يكفى لإنتاج هذه التكيفات البيلوجية .. لقد كان عمق الانتخاب قوياً جداً لذا فالأغلب أن تكون الإجابة نعم.. ربما لاحظنا بهذا الخصوص أن اليهود الاشكينازى الذين عاشوا فى أواسط أوروبا وشرقها ألفى عام على الأقل لهم جلد أفتح لوناً بكثير من اليهود السفارديم الذين عاشوا نفس هذه المدة على الأقل على حدود البحر المتوسط (قد يؤخذ هذا مثالاً للانتخاب الطبيعى) لكنه قد يكون أيضاً نتيجة التبادل الوراثى مع العشائر المجاورة.

تفضل بعض المعلومات الوراثية المتاحة للتفسير الأخير .. لكن الأمر يتطلب بيانات وراثية أفضل قبل أن نستعيد تأثير الانتخاب الطبيعي.

## ٣ - تأثير تكيفات المناخ :

تحدث تكيفات المناخ أساساً في الصفات السطحية (يلعب السطح البيئي الموجود بين ما هو داخل الجسم وما هو خارجه) يلعب الدور الأكبر في التبادل الحراري بين داخل الجسم وخارجه والعكس.

مثال .. إذا أردت أن تقلل تكاليف تدفئة بيتك في الشتاء أو تبريده في الصيف .. فلابد أن تزيد من تحصين بيتك بالمواد العازلة بحيث يصبح تسرب الحرارة بين الداخل والخارج أقل ما يمكن.

كذا تحور سطح الجسم كثيراً لكي يكيف الشعوب المختلفة مع البيئات المختلفة.

## ٤ - دلالات سطح الجسم :

يمكننا أن نلحظ أن سطح الجسم وحده وقد تأثر بالمناخ هو الذي يميز عشيرة متجانسة نسبياً عن غيرها من العشائر .. وعلى هذا نخدع لنظن أن السلالات نقية (نعني متجانسة) ومختلفة تماماً عن بعضها البعض.

يصعب أن نجد سبب آخر لتفسير حماس فلاسفة القرن ١٩ وعلمائه السياسيين مثل جوبينو وأتباعه لاعتناقهم فكرة (النقاء العرقي) اقتنع هؤلاء أن نجاح البيض إنما يرجع إلى تفوقهم العرقي .. ولما كانت الصفات المرئية هي وحدها التي يمكن دراستها آنئذ .. فلم يكن من الضروري أن يتصوروا وجود سلالات نقية .. لكننا نعرف اليوم أنه لا توجد سلالات نقية.

ثمة دراسات وراثية دقيقة أكثر حداثة أجريت على الاختلاف الخفي غير المرتبط بالمناخ .. وأثبتت أنه لا وجود لسلالات متجانسة .. فليس من الصحيح فقط ألا يوجد في الطبيعة النقاء العرقي .. بل إن هذا الأمر يستحيل بلوغه ولن يكون مرغوباً.

يمكن للاستنساخ أن يولد (سلالات نقية) والتوائم المتطابقة أمثلة لنماذج بشرية حية .. لكن التخليق الصافي للسلالات البشرية عن طريق الاستنساخ ستكون له نتائج غاية في الخطورة بيلوجياً واجتماعياً.

فلكى نحقق حتى نقاء جزئياً (لا نعنى تجانساً وراثياً أبداً لم يحدث تلقائياً فى عشائر الحيوانات العليا) فإن الأمر يتطلب عشرين جيلاً على الأقل من التربية الداخلية (مثلاً بتكرار زواج الأخ بأخته أو أحد الأبوين بنسله) مثل هذه التربية الداخلية تؤدى إلى نتائج وخيمة بالنسبة لصحة الأطفال وخصوبتهم .. ولنا أن نتأكد أن أحداً فى التاريخ لم يجرؤ على محاولة التربية الداخلية .. باستثناءات قليلة تافهة وجزئية.

## ثانياً : الاختلاف الخفى (البلوميفيرات الوراثية) :

كانت مجموعات الدم ABO هى أول مثال لصفات وراثية تماماً وخفية .. اكتشفت هذه المجموعة فى أوائل القرن العشرين .. وكانت مجال بحوث عديدة .. لأن توافق أنماط الدم أمر ضرورى لنجاح عمليات نقل الدم.

هناك من الجين ٣ صور رئيسية تسمى (الاليلات) هى O,B,A ويكون نمط الفرد واحد من أربعة أنماط ممكنة O أو A أو B أو AB ليس من الضرورى حقاً أن تفهم مايلى (فهو يهم المختصين) لكن يصعب أن نقاوم فرصة أن نذكر قانون أساسى من قوانين الوراثة.

كل منا يتلقى اليلان من كل أبويه (واحد من الأب وواحد من الأم) نعنى أنك تكون من المجموعة AB إذا تلقيت الجين A من أحد الأبوين والجين B من الآخر وتكون لك مجموعة الدم O إذا حصلت على الاليلين O من كل من الوالدين وتكون لك المجموعة A إذا حصلت من كلا الأبوين على الجين A أو على الجين O (أى أن يكون التركيب الوراثى لأى منهم أما AO أو AA ينطبق نفس القول على ذوى النمط B).

يمكن توضيح وجود البلومفيرية الوراثية (نعنى الوضع الذى يكون فيه للجين صورتان مختلفتان على الأقل أى اليلان) بتفاعل الأنماط المختلفة من الدم مع كواشف معينة.

نحتاج لتحديد نمط الدم إلى كاشفين (المضاد A المضاد B) يتفاعلان مع كرات الدم الحمراء (هذه خلايا دم تحمل الأكسجين لا يمكن رؤيتها بالعين) يتم هذا التفاعل بإضافة قطرتين صغيرتين من دم المريض إلى شريحة زجاجية .. يحدث التفاعل الإيجابى إذا تكتلت خلايا الدم عند إضافة الكاشف .. يتخذ الدم لونه من لون خلايا الدم الحمراء فإذا ما تكتلت أصبح الباقى من الدم رائقاً بغير لون .. وإذا كان التفاعل سلبياً بقيت نقطة الدم الحمراء كما هى.

يتفاعل دم أصحاب المجموعة A إيجابياً مع المضاد A فقط.

يتفاعل دم أصحاب المجموعة B إيجابياً مع المضاد B فقط.

يتفاعل دم أصحاب المجموعة AB مع كلا المضادين.

لا يتفاعل دم أصحاب المجموعة O مع أياً من المضادين.

ولتبسيط الإحصاء فأنا لا نحصى عدد الأفراد أو التراكيب الوراثية .. إنما نحصى فقط عدد الاليلات اثنين لكل فرد .. لكن ليس ثمة وسيلة لتمييز الأفراد المجموعة البلومفرية فقد تكون لأى منهم التركيب AA أو AO ومثلها أيضاً المجموعة B.

ولحسن الحظ أن لدينا تقنية رياضية تمكناً من تقدير عدد حاملى التركيب AA وعدد حاملى التركيب AO وكذا BB و BO.

فى أثناء الحرب العالمية الأولى فحص لودفيج وهامكا هيرشفيلد ـ وهما من علماء المناعة البولنديين .. بضع مجاميع اثنية مختلفة من جنود جيوش الاحتلال الإنجليزية والفرنسية وفى سجناء الحرب العالمية الأولى ومنهم فيتناميين وسنغاليون وهنود .. واكتشف أن نسب الأفراد من مجاميع الدم المختلفة تختلف فى كل عشيرة ونحن نعرف الآن أن هذه ظاهرة عالمية كما نعرف أن عدد البلوميفرات كبير للغاية وأن كل عشيرة بشرية تختلف فى معظم البلوميفرات الأخرى أيضاً .. نشأ علم الوراثة الانثروبولجى عن هذا البحث المبكر عن مجاميع الدم.

يفتح لنا علم الوراثة (علم دراسة الفروق الموروثة) نافذة يمكن من خلالها أن نفتش فى الماضى.

نحن نعرف باستثناءات قليلة أن الكثير من الصفات (الطول ـ لون الجلد ـ الشعر ـ العينين .. تحددها الوراثة .. لكننا لا نعرف بالضبط كيف .. ؟ ..).

كما نعرف أن البعض منها يتأثر أيضاً بعوامل غير وراثية .. كالتغذية مثلاً بالنسبة للطول وكالتعرض للشمس بالنسبة لدرجة لون الجلد.

هل من الممكن أن نعيد بناء تاريخ تطور الإنسان .. فقط بدراسة العشائر الموجودة حالياً .. ؟ ..

يمكننا أن نبسط هذه العملية بأن نركز معظم دراستنا على العشائر المحلية .. إذا ما أمكن التعرف عليها وأن نميزها من المهاجرين الجدد إلى المنطقة .. لكنا نتعلم الكثير عن أصول الإنسان وعن التطور بدراسة جين واحد مثل A B O.

## تعريف الجين :

هو مقطع الدنا ذو وظيفة بيلوجية معينة (الوظيفة كثيراً ما تكون إنتاج بروتين نوعى).

وعلى ذلك فالجين جزء من كروموزوم (جسم عضوى الشكل يوجد داخل نواه الخلية ويحتوى على خيط متحلزن من الدنا غاية فى الطول معبأ بطريقة معقدة (تحتوى الخلية على العديد من الكروموزومات).

وهذه توزع على الخلايا البنيوية عند الانقسام بحيث تتلقى الخلية البنت نسخة كاملة من كروموزومات الأم.

وقد نتجاهل ما يفعله الجين (لأنا لا نعرف) لكن يبقى الجين مفيداً لدراسات التطور وغيرها.

ما السلالة البشرية إذن (بناء على التباين الخفى) .. ؟ ..

السلالة هى مجموعة من الأفراد يمكن أن تميزها عن غيرها باختلافات بيلوجية .. ولكى يكون التميز علمياً .. لابد أن تكون الفروق بين العشيرة التى نود أن نعتبرها سلالة وبين العشائر المجاورة فروقاً معنوية إحصائية بالنسبة لمعايير محددة بالنسبة للاختلاف الخفى (البلوميفيرات الوراثية).

أوضحت تجاربنا أنه حتى فى العشائر المتجاورة (بالقرى والمدن) كثيراً ما تكون مختلفة جوهرياً بين بعضها البعض .. هناك حد لعدد الأفراد الذى يمكن اختباره من أى عشيرة .. لكن العدد الأقصى للجينات التى يمكن فحصها كبير جداً حتى ليمكننا من ناحية المبدأ أن تكشف وأن نثبت المعنوية الإحصائية لأى فرد بين أى عشيرة مهما كان قربهما الجغرافى أو الوراثى.

تصنيف العشيرة البشرية بالعالم إلى بضع مئات الآلاف أو إلى مليون سلالة .. سيكون بالطبع غير عملى على الإطلاق .. لكن أى مستوى من الاختلاف الوراثى بطريقة متواصلة..؟.. لذا يبدو من الواضح أن أى حد نضعه أو تعريف لابد أن يكون اعتباطياً (أى يخضع للتقدير الشخصى).

# الفصل الحادى عشر
# دوامة من الأفكار والتاريخ

## لماذا نصنف الأشياء .. ؟ ..

١ – الواجب أن نفرض نظاماً ما يحكم الفوضى المحتملة.

٢ – يسمح لنا بوصف مجموعة معقدة من الأشياء بكلمات أو مفاهيم بسيطة حتى لو أدى ذلك إلى التبسيط المخل.

٣ – محاولة للحصول على فائدة من الشىء وله.

٤ – لو لم يكن للاختلاف أهميته وتعقيده لما كان من الضرورى أن نصنف أبداً .. يكفى أن يميز الإنسان فقط مستوى الفروق التى تهمه.

٥ – ليس الإنسان وحده هو من ينذع إلى التصنيف ولكن الشمبانزى مثلاً (ربما معظم الحيوانات الأخرى) يميز بضع مئات من الأوراق والثمار إلى فئات تصلح للأكل وأخرى لا تصلح.

٦ – على عكس الحيوانات يستخدم الإنسان اللغة فى التمييز بين الأشياء .. نحن نمنح اسم لكل شىء نريد تمييزه.

يميز الأقزام الأفارقة مئات الأنواع من الأشجار وبضع مئات من الحيوانات.

٧ – يصبح التصنيف وما يصحبه من تبسيط أمراً ضرورياً إذا ما كان الاختلاف واسعاً جداً.

## فيم يفيد البشر التصنيف إلى السلالات .. ؟ ..

معظم التصنيفات العملية مفرطة فى التبسط .. على سبيل المثال الإحصاء الأمريكى يميز بين (البيض ـ السود (الأمريكان الأفارقة) ـ الأمريكان الأصليون ـ الأسيويين ـ

الهسبانيين) .. وهذه الفئة الأخيرة تكاد تفتقر إلى أى معنى بيلوجى فهى تشير عملياً إلى المكسيكيين .. لكن ينسب إليها على وجه العموم عدد كبير ممن يتحدثون الأسبانية.

وهو تصنيف غاية فى البساطة لأن البيض يختلف إلى درجات فى البياض وأيضاً فى لون الشعر والعيون وكذلك الطول .. وكذلك كل التقسيمات الأخرى (السود ـ الأمريكيين الأصليين ـ الأسيويين ـ الهسبانيين).

## معلومات عن علم الأجناس :

١ - ترجع عناية اليونسكو بالمشكلة العنصرية إلى عام ١٩٤٥ عندما صدر دستور الهيئة .. وعنى بالربط بين قيام الحرب وإنكار حق الإنسان فى الديمقراطية والكرامة وأرجع ذلك إلى الحقد والجهل وانتشار الدعوة إلى الاختلاف بين الناس والأجناس.

٢ - نص دستور الهيئة فى عام إنشاءها على وجوب العدل من أجل السلام والأمن بإشاعة ،احترام العدل وحقوق الإنسان والحريات الأساسية دون تمييز بين الناس على أساس من الجنس أو اللغة أو الدين.

بناء على ما سبق قامت الهيئة بجهود علمية من أبرزها ما يلى :

١ - إصدار سلسلة من الكتيبات تحت عنوان (المشكلة العنصرية فى ضوء العلم الحديث) وتعنى هذه السلسلة بدراسة العنصرية من حيث علاقتها بالثقافة وعلم النفس والتاريخ والخرافات الشائعة عن الأجناس.

٢ - إصدار سلسلة عن المشكلة العنصرية فى الفكر الحديث وتعنى كتيباتها بأن تعرض وجهات نظر (فلسفات وديانات الشعوب فى المشكلة العنصرية) وقد صدر منها كتيب عن البوذية واليهودية والمسيحية (لا أعتقد أن هناك كتاب بخصوص الإسلام).

٣ - فى عام ١٩٥١ أصدر اليونسكو وثيقة على درجة كبيرة من الأهمية وقع عليها صفوة علماء العالم بعد دراسات عميقة.

فأكدوا فى الوثيقة المساواة بين الناس على أساس من نتائج العلم فى أنه ليس هناك بينهم تفاضل طبيعى وأن الفروق بين الشعوب ترجع إلى أسباب حضارية بحيث لو تغيرت الظروف لاستطاعت الشعوب أن ترتقى دون عائق طبيعى يرجع إلى الجنس أو السلالة.

## ماذا يقول الإسلام بخصوص الأجناس .. ؟ ...

### فى مقدمة كتاب كنيث ليتل (السلالة والمجتمع) :

إن الشعوب الإسلامية بحكم تقاليدها .. لا تعير لون البشرة أدنى اهتمام ويحتم الإسلام المساواة بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم .. على هذا ينص القرآن وساوى بين أهل البلاد المفتوحة الذين يعتنقون الإسلام وبين الفاتحين.

والرد هو كما يلى :

١ – المساواة بين البشر جميعاً قائمة وفى هذا يقول الله تعالى **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾** النساء: ١.

ويؤكد ربنا هذا بقوله **﴿وهو الذى خلق من الماء بشر فجعله نسباً وصهرا وكان ربك قديرا﴾** الفرقان : ٥٤.

٢ – أما اختلاف اللون واللغة فمن مظاهر آيات الله وقدرته **﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾** (الروم: ٢٢).

٣ – وجاءت أحاديث الرسول ﷺ مؤكدة هذا الأساس العريض الذى تقوم عليه الحياة الإنسانية **«أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد .. كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى»** هذه وصيته فى حجة الوداع.

٤ – أية تطبيقات حدثت فى تاريخ الإسلام ينبغى تقويمها إلى أصوله بحيث يكون الإسلام حجة عليها .. ولا تكون هى حجة على الإسلام.

٥ – لو أن منظمة اليونسكو أصدرت كتاب (المشكلة العنصرية فى ضوء الإسلام) يقدم الكثير من المعونة فى هذا المجال (لأنى أعترف بالتخصص).

### فى عالم الأجناس أفكار متباعدة :

١ – التطور الطبيعى التاريخى لا الجنس هو العامل الرئيسى الذى يسبب اختلاف الثقافات وتباين محتوياتها بين سكان العالم.

٢ – إذا كان الاستعلاء الجنسى مجرد خرافة تفتقد إلى السند الصحيح .. فلماذا إذن يقوم الجنس بذلك الدور الهام فى شئون الحياة الحديثة.

٣ – وجود الانسجام بين أفراد من أجناس مختلفة لا يعتمد أساساً على أن هؤلاء الأفراد يدركون ما توصل إليه أخيراً علم الإنسان الحديث .. وإلا لتطلب الأمر وجود تفسير آخر لظاهرة التسامح التى توجد فى بعض البلاد (وانعدامها فى بلاد أخرى كثيرة).

٤ – البيض فى الجزء الجنوبى من الولايات المتحدة الأمريكية وفى جمهورية جنوب أفريقيا .. مازالوا يجادلون فى أن الزنجى ـ من وجهة النظر البيلوجية ـ يعد أقل فى الدرجة من الرجل الأبيض .. فهل يعقل فى مثل هذه الجهات كلها أن حكوماتها وشعوبها تجهل أن أسس التمييز العنصرى ما هى إلا مغالطات تفتقر إلى السند الصحيح.

٥ – ليس من شك أن كثيرين تمتلىء نفوسهم بنفور عميق ـ ليس له ما يبرره ـ ممن يختلفون عنهم فى اللون .. ولا يستطيعون بذلك احتمال أى نوع من الاتصال الطبيعى مع هؤلاء الملونين ويرجع أنها تكونت فى اللاشعور فى أثناء الطفولة المبكرة.

٦ – الشعور بالاشمئزاز شعور مكتسب .. مظاهر التمييز العنصرى تنتشر فى بعض الجهات وبخاصة فى جنوب أفريقيا وجنوب الولايات المتحدة الأمريكية وفى نفس الوقت تكون منعدمة فى بلاد أخرى.

٧ – الزواج الذى يتم بين أفراد من أجناس مختلفة ويتكرر بصورة ملموسة حتى فى ظل القوانين التى تمنعه وتقضى على عقوبات صارمة على المخالفين .. وحقيقة الأمر أن الكثير من هذه الزيجات تبقى وتستمر دون أن يعير أحد الزوجين الآخر بصفاته المميزة التى قد تتعدى اللون إلى التفاوت الواضح فى شكل وحجم الأنوف والرؤوس وغيرها.

٨ – يرجع ظهور المشكلة العنصرية إلى طريقة التفكير السائدة فى المجتمعات ذاتها.

٩ – تعتمد العلاقات المبنية على أساس عنصرى على ما تعارف عليه أفراد المجتمع وما صاروا عليه من تعامل مبنى على وجود مجموعات بيلوجية أو افتراض وجودها.

١٠ – اختلاف المشاعر ووجهات النظر الخاص بالأجناس .. لا يمكن أن تعيش من فراغ .. ولما كان الأساس البيلوجى ليس هو السبب فى وجهات النظر العنصرية .. فلابد لها من أساس اجتماعى (نتيجة لنوع الاتصال الذى مارسته الجماعات فيما بينها فى الماضى).

١١ - العامل الرئيسى للمشكلة هو الثقافة .. وأن الاحتكاك والنزاع سوف يبقى مادام هناك اختلاف فى اللغة والعادات.

١٢ - نظام الرق الذى ساد فى مزارع الولايات المتحدة هو الذى ساعد على نمو فكرة انحطاط الزنوج فى أذهان البيض هناك.

١٣ - قبل عصر الكشف والتوسع الأوروبى .. لا نجد فى الحضارات الأخرى سواء منها القديم أو الحديث .. ذلك النوع من الاعتبارات القانونية والمعرفة التى تحكم العلاقات بين العناصر الأوروبية والأجناس الأخرى.

١٤ - المجتمع الهندى القديم كان مقسماً إلى أربعة ألوان (ڤارنا) ويصفون ذلك بأنه نوع من التمييز العنصرى.

غير أن (الڤارنا) فى الحقيقة ظاهرة تتعلق بالعقيدة الهندوكية .. فإن كل المنبوذين والمحرومين يقبلون وضعهم راضين .. بل أنهم يلعبون دورهم فى تقوية العقيدة التى وضعتهم هذا الموضع.

١٥ - فى الحضارات الأخرى (كالحضارة الفرعونية واليونانية) اتخذت العلاقة بين الأجناس شكل علاقة بين الأسر والأسير أو بين السيد والعبد.

فعلى الرغم من أن المصريين القدماء كانوا ينظرون إلى سكان الجنوب نظرة استخفاف. ورغم أن الرسامين المصريين فى بعض نقوشهم قد أبرزوا الصفات الزنجية مثل الشفاه الغليظة والشعر المفلفل بصورة كاريكاتورية.. وقد عرف الإغريق أيضاً الزنوج كعبيد غير أن معظم الرقيق فى اليونان كانوا من جنس الأسياد.

وكان الوضع فى الدولة الرومانية يشبه الوضع عند الإغريق .. ونتيجة لذلك كان زواج أحد الجنود الرومان بامرأة من العناصر البربرية أمر غير مقبول ولم يبدأ منح حق المواطن لكل من يولد من أبوين من الأحرار فى الامبراطورية إلا منذ أوائل القرن الثالث الميلادى .. وهذا كنتيجة لتعاليم (الرواقيين[1]) ثم ظهر بصورة أوضح نتيجة انتشار المسيحية.

(١) الارتباط العضوى بين السعادة أو الشقاء فالإنسان الذى تتقاذفه الأيام بقسوة يكفيه شىء صغير للغاية لكى يشعر بالسعادة وعلى عكس من دالته المقادير.

هناك فيلسوف يونانى شهير يدعى (زينون الايلى) رأى أن شقاء الإنسان يأتى من عدم تحمله للآلام الجسمانية والمعنوية وقدم (النظرية الرواقية) والرواقى هو الإنسان الصلب الذى يتميز بقدرة كبيرة على التحمل ولا يبالى بآلام الجسد والروح.

فى أحد التجارب على الرواقى قاموا بثنى رجله فلم يصرخ ولكن قال (احذروا حتى لا تتكسر).

١٦ - بعد سقوط روما .. نجحت الكنيسة فى خلق وحدة روحية فى العالم المسيحى وأخذت تنتشر تعاليمها التى تقضى بأن المسيحيين جميعاً متساويين فى إنسانيتهم .. وبمرور الزمن اعتبرت الكنيسة نفسها أداه للتنظيم الدولى وأن إرادة الله السامية هى أن يخضع العالم كله إلى نفوذها .. وكان هذا هو الدافع للحروب الصليبية ضد العالم الإسلامى والوثنيين .. ونتيجة لذلك تعرض اليهود للاضطهاد ووقع المسلمون فى الأسر.

١٧ - كانت النظرة إلى اليهود والمسلمين والوثنيين على أنهم مختلفين عن المسيحيين الأوروبيين .. هى أول الصور الحديثة للاهتمام بالاختلاف بين الأجناس.

١٨ - الفترة التى أعقبت الحرب الصليبية الأولى واكتشاف كولومبوس لأمريكا قد تميزت بسيادة فكرة إقامة نظام عالمى على أساس دينى وظهر بذلك نوع من الاهتمام بالعالم غير المسيحى الأمر الذى استمر إلى اليوم ولكن بدون الدافع الدينى الذى كان له فى الماضى.

١٩ - فى سنة ١٥١٠ وصل أول فوج من الزنوج إلى العالم الجديد ولم يكونوا أول رقيق أفريقى فقد كانت التجارة في الرقيق الأفريقي موجود قبل منتصف القرن الخامس عشر ولكنها كانت مقتصرة على حوض البحر المتوسط.

٢٠ - البابا نيقولاس الخامس منح البرتغاليين حق مهاجمة المناطق التى تشمل كل ساحل غانا وكان الشرط الأساسي لذلك هو أن جميع الأسرى يجب أن يحولوا إلى المسيحية.

٢١ - اعتبر الأفريقيين المعروضين للبيع أسرى حرب وافترضوا أنهم متهمون فى جرائم أو أنهم باعوا أنفسهم كأرقاء .. بل كان عملاء تجارة الرقيق أنفسهم يأخذون الثمن باعتباره فدية لإنقاذ حياتهم من الموت.

٢٢ - عندما زاعت المعاملات الوحشية غير الإنسانية .. بحثوا عن مبرر لأعمالهم واتخذوا المصلحة الاقتصادية أول الأمر. ولما زاد الضغط من جانب الإنسانيين خرجوا بالنظرية التى تقول بأن الزنوج ليسوا إلا كائنات ناقصة وأنهم غير مؤهلين لتقبل المثل الأخلاقية ومن ثم لا تصبح هناك ضرورة لمعاملتهم بصفتهم كائنات بشرية عادية.

٢٣ - في أراضي أمريكا كان يتم أول الأمر استخدام بعض البيض وكان أصحاب المزارع يقبلون نفر من المذنبون في سجون لندن لتشغيلهم كعمال في مزارعهم فضلاً عما

شاع فى تلك الفترة من خطف الأطفال ونقلهم من اسكتلندا على سفن عبر المحيط إلى العالم الجديد.

٢٤ - الفارق كان كبيراً بين الخادم الأبيض والزنجى تلته النظرة التى حلت محل المبررات الدينية بعد أن ثبت عدم صلاحيتها .. وخاصة بعد أن أثير الجدل حول بقاء صفة العبودية بعد تحول الزنوج إلى المسيحية.

٢٥ - قال الدكتور أوليفر كروموبل كوكس إلى أن هذا التحول يمثل بداية تشكيل العلاقات بين الأجناس فى صورتها الحديثة فى قوله (لم يكن التنافر بين الجماعات شعوراً مجرداً طبيعياً قديماً .. ولكن غالباً ما كان استغلالاً عملياً تؤيده النظرة الاجتماعية المتخذة من بداية عهد التمييز العنصرى).

٢٦ - يقول الدكتور كوكس مستفيداً من أقوال الايرال جراى التى كتبها سنة ١٨٨٠ يصف حقيقة أغراض البريطانيين فى جنوب أفريقيا فيقول (فى كل أنحاء هذا الجزء من المستعمرة البريطانية ترى البيض ينظرون إلى الملونون على أنهم جنس منحط ويجب ألا يحسب حساب لمصالحهم الخاصة وخاصة إذا ما تضاربت مع مصالح البيض).

ولتحقيق هذه المصالح لابد من توافر أمرين :

- التسهيلات اللازمة للمستعمرين البيض لامتلاك الأراضى التى كانت تحتلها القبائل الوطنية فى ذلك الوقت.
- شعب الكافير يجب أن يعد لكى يصبح بقدر الإمكان .. أكبر وأرخص وأضمن مصدر للعمال.

وقد انتهى دكتور كوكس فى بحثه هذا إلى بيان أن الاستغلال العنصرى هو مظهر من مظاهر مشكلة تسخير العمال بصرف النظر عن لونهم .. ويثبت ذلك أن الصراع العنصرى لا يخرج عن كونه صراعاً سياسياً بين الطبقات حيث أن المستثمر الرأسمالى باعتباره شخصاً عملياً انتهازياً يتحين الفرصة للإبقاء على حرية استغلال العامل وغيره من مصادر الثروة .. فهو لذلك يستخدم ويستغل التمييز العنصرى كلما سنحت الفرصة لذلك.

٢٧ - يرجع السبب فى أن العلاقة بين الأجناس فى الأقطار التى استعمرتها الشعوب اللاتينية مثل الأسبان والبرتغال .. أخف حدة منها فى الأقطار التى استعمرتها

شعوب (غرب أوروبا وشمالها) .. لأنهم لم يبلغوا نفس المستوى فى ميدان التقدم الصناعى .. بالإضافة إلى التزامهم بالأهداف فى الأغراض العالمية للكنيسة.

٢٨ - ننتهى مما سبق إلى أن هناك علاقة مباشرة بين وجهات النظر المتعلقة بالجنس والمجتمع .. أى أن العلاقة بين الأجناس ليست إلا انعكاساً لنوع معين من النظم الاجتماعية والاقتصادية.

## الخلاصـــة

كل الناس أخوة (غاندى).

الإنسان ذئب الإنسان (بلوتس).

إن كل زيادة غير عادية فى المادة الملونة للبشرة هى دليل سوء الحظ .. لأنها إذا خرجت عن الضبط انعكست آثارها على البيض والسود وتتجلى هذه الآثار الخارجية فى يقظة الشعوب الملونة .. واختلاط الأنساب هو أمر طيب ما لم يحدث ما يدعو للإثارة والغضب.. واختلاط الأجناس إذا ما سار سيره الطبيعى فقد يكون مدعاه لحسن التفاهم والاحترام المتبادل .. والاستثناء الوحيد ذو الأهمية الكبرى سنعالجه فيما يلى :

إن كثيراً من الناس على اتفاق على أن لون البشرة قد اعتبر ظلماً أساساً لما نسميه المسألة العنصرية .. والواقع أن المسألة العنصرية كما نفهمها عادة ما هى إلا خرافة - خرافة خلقت لتكون ستاراً لمشكلة مخالفة كل المخالفة عنها - هذه المشكلة هى غريزة المنافسة بين الناس .. وفى هذه المنافسة ليس للون البشرة إلا ما يشبه اللون الذى يختاره أى نادى له أو (رباط رقبة) الجامعى الذى يميز مدرسة عن أخرى .. والتداول الذى يحدث فى الصفوة الذى نسميه (تطوراً) أو (ثورة) إذا حدث فى مجتمع من جنس واحد يعد (مشكلة عنصرية) إذا ما كان بين عنصرين.

والخلاصة أن المشكلة العنصرية ما هى إلا صورة جديدة لصراع الطبقات الذى تمثل كل طبقة فيه مجموعة اثنوجرافية معينة بين الناس.

ومفهوم (الطبقة) يمكن أن يكون لها معنيان الأول تكوين الطبقات حسب الحالة الاجتماعية أى أن هناك تراتباً فى التبعية الاجتماعية .. هذه التبعية تكون إما للكنيسة بما لها من سلطان دينى أو ثقافى .. أو تكون لأحد السادة الذين ورثوا السلطان الحربى والاقتصادى.

والمعنى الثانى أن (الطبقة لا تتضمن إلا جماعة متباينة من الناحية الاقتصادية) وهذا يصبغ المسألة العنصرية صبغتين طبقتين أهمهما الصبغة الاقتصادية.

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن لون البشرة وراثى لأن الانتقال إلى وضع آخر أو طبقة أخرى لا يمكن حدوثه تدريجياً أو مستتراً .. والطبقات تتكون على أساس نصوص دينية أو غير دينية تدعو المعذبين فى الأرض إلى أن يتحملوا قدرهم بالرضى والصبر أو تعدهم بالخلاص من طبقاتهم الدنيا بعد الممات .. ولا يمكن أن يقضى على المشكلة العنصرية إلا إذا بطل تمييز الجماعات العنصرية بلون بشرتها بمعنى أن اللون الأبيض يكون بمثابة البنيقة البيضاء واللون الأسود يكون بمثابة الدثار الأسود والاستثناءات لهذه القواعد العامة غير كافية لستر حقيقة الأمور.

ونحن نعرف من الناحية الطبيعية أن الطيور على أشكالها تقع والطيور التى يختلف ريشها لا يألف بعضها بعضا .. ولنذكر أن بعض البجع لديه خاصة اللون ويبدوا أن لدى الإنسان ما يشبه هذه الظاهرة التى توجد لدى الحيوان .. وهذه الظاهرة تصبح (مشكلة) كلما سادت إحدى الجماعات سائر الجماعات .. وعلى هذا فالقول المأثور بأن (جميع الناس ولدوا وهم سواسية فى الحقوق) لا وزن له إذا عجزوا عن أن يسيروا فى مضمار الحياة متمتعين بحقوق متساوية .. وهذا بطبيعة الحال لا يتعلق بتكوين الطبقات الذى يعتمد على الطموح الشخصى ولكنه يتعلق بتكوين الطبقات الذى يعتمد على المبادىء المصطنعة.

وكثيراً ما قيل أن الجماعة المتفوقة اليوم تحفر بأيديها قبورها بتعضيد فكرة المساواة بين كل الناس .. ومع هذا فالخطر الذى يأتى من كثرة تعداد الفريق الآخر يمحى إذا زال من نفوسهم الإحساس بالتوازن الايكولوجى الذى يوحد بين جميع الملونين فى موقفهم العدائى من البيض .. والامتصاص الحقيقى للجماعات المختلفة غير ممكن فى وقت قصير .. وربما يحدث فى مدى عدة أجيال بين الجماعات الكبيرة بين الناس .. والذى يحدث عادة هو امتصاص جزئى ومحاولة التعجل فيه ربما أدت إلى عكس المراد.

هذا وبعض التعبيرات مثل (التسامح العنصرى) و (الأخوة) قد يشم منها رائحة التفرقة وقد تؤدى إلى علاقة الأخ الأكبر Big Brother أو تتضمن أن العناصر متحدة لغرض مشترك ليس صالحاً بطبيعته لتثبيت العلاقة الطيبة بين الناس .. ومن جهة أخرى هناك خطر يهدد العلاقات الإنسانية إذا أسيىء فهم التكوين البيلوجى الطبيعى لبعض الجماعات المنفصلة فاعتبر أنه تمييز عنصرى.

نخرج من هذا بأن أفضل الحلول هو الصداقة على أساس من المساواة ولكن مع حرية الاختيار .. ومع احترام الشخصية الإنسانية وحمايتها.

**وصفوة القول :**

١ - المسألة العنصرية كما نفهم عادة هى مسألة الطبقة أو الحالة الاجتماعية لكنها تتستر وراء ألوان الناس المختلفة.

٢ - التكوين الانثوجرافى أو البيلوجى للجماعات يختلف اختلافاً أساسياً عن مفهوم التمييز العنصرى .. وعلى هذا فالتجمع العنصرى لا ينطبق على التمييز العنصرى .. ومفهوم كل من الأمرين مختلف اختلافاً جوهرياً عن الآخر .. ومن المغالطة أن يعتبر الأول مبرراً للثانى سواء أطلق هذا التعبير إطلاقاً عاماً أم كان التعميم أساسه نسبة الخطأ إلى شعب أو جنس لتصرف صدر من شخص بعينه أو من جملة أشخاص.

٣ - التفرقة العنصرية لا يمكن أن توجد إلا إذا وجد التمييز الطبقى.

٤ - إذا فقدت إحدى الجماعات السلطة انحلت الجماعة المعارضة إذا كان اتحادها مبنياً على المعارضة دون غيرها.

٥ - كل محاولة لبناء حسن العلاقات على أساس غير الصداقة القائمة على المساواة لا تنتهى إلا بالفشل.

٦ - إن وظيفة البشرة فى تحديد الجماعات الإنسانية التى ينقسم إليها البشر لم تكن أصلاً بأى حال من الأحوال عاملاً من عوامل العلاقات السيئة بين الناس.

٧ - إن يقظة الشعوب الملونة التى تتجلى فى مقاومة الاستعمار هى ثورة عالمية أبقى على الزمن من الثورات السابقة .. إنها ثورة الطبقة الخامسة .. بينما كانت الثورة الفرنسية هى ثورة الطبقة الثالثة والثورة الروسية هى ثورة الطبقة الرابعة .. إن اللون فى هذه الثورة القائمة الآن هو الرداء أو الرمز .. وإنه لوهم أن يظن أحد أن من الممكن وقف هذه الثورة .. إن الممكن هو توجيهها إلى أفضل المسالك بتعاون الطرفين المشتركين.

وكل محاولة للرجوع إلى أصل ظاهرة المنافسة الإنسانية التى ندعوها (المسألة العنصرية) تقتضى الرجوع مدى بعيداً فى التاريخ .. إن المنافسة هى غريزة فطر عليها الإنسان منذ كان فى جنة عدن عندما اتهم آدم حواء بأنها ضعيفة مخطئة (هى أعطتنى من الشجرة فأكلت[1]) هى الكلمات التى عرفنا منها بعد أكل التفاحة من شجرة الحكمة

(١) سفر التكوين ٣ : ١٢.

الفرق بين الخبيث والطيب ومن حسن الحظ أنهما لم يأكلا إلا تفاحة واحدة .. ومن جهة أخرى لو لم تحدث الخطيئة لعاش فى الجنة جنس واحد[1].

وغريزة الفاصل العريقة Barries insttnet ضامنة لانعدام الإنسان الواحد المتكرر فإن الرجل (المتفرد) الذى نسميه بالشخصية سيحاول أن يتفوق بطريقة أو بأخرى .. وهذا الإلحاح الدائم الذى يدفع كل إنسان إلى محاولة التفوق على الغير هو الباعث الأساسى لرفعة الإنسانية .. وهذه الغريزة يمكن أن تصاحب أو تؤدى إذا لزم الأمر إلى تكوين الجماعات الإنسانية وهو ما يدعو إلى تدعيم المكانة التى يبلغها فى معركة الحياة .. وإلى السيادة.

وهذه المكانة لن تكون مدعمة باستمرار لأن الجماعة الخاضعة ستستمر فى معركة الحياة كذلك .. فإذا كسرت هذه الحلقة المفرغة فإن الإنسان الصاعد ذا الضمير الحى Ascendenset Coniciams يستحق أن يسمى الإنسان العاقل .. إنه هو الذى يتعلم ضبط غرائزه البدائية ويفهم أن مكانة الإنسان ورفعته تقاس بفضائله الذاتية .. فإذا بطل اعتبار اللون حقاً مكتسباً بالوراثة فلربما ينتهى العهد الذى يساء فيه فهم وظيفة الجلد .. ويساء فيه استخدامها فى تقسيم النوع البشرى إلى جماعات.

## خاتمة الجزء المنقول

كل ما سبق (عدا المقدمة) كان مقتطفات مما كتب فى علم الأجناس وبالطبع هو لا يقدم فائدة مباشرة للإنسان العادى ولكن يعتبر قاعدة جيدة للبحث عن أصل الإنسان وللاستفادة به فى اقتراحى الذى يخدم الإنسان مباشرة (حالياً ـ ولأجيال قادمة) (الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى له تاريخ (ماضى)).

---

(١) مما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم لا يجعل المرأة مسئولة وحدها عن هذه الخطيئة يدلنا على هذا قول الله تعالى : ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ سورة طه .. ومرة أخرى نجد أن إبليس توجه إلى آدم وحواء بالإغراء فى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوائتهم وقال ما نهاكم ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾.

ونزول آدم وحواء إلى الأرض كان بعد أن تقبل الله منهما التوبة ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ سورة طه .. ولذلك فحياتنا على الأرض ليست عقاباً على خطيئة وإنما هى قيام لخلافة الله فى الأرض.

أو بمعنى أصح أن العلم فى كل أهدافه هو خدمة الإنسان وإن كان هناك أى تجاوزات فقد يرجع ذلك إلى سوء استخدام العلم أو العلم الناقص (كلياً أو جزئياً).

ولذلك أقدم لسيادتكم فى الفصل التالى الفائدة المبدئية لعلم الأجناس من وجهة نظرى للإنسان فى كافة ظروفه إذا تم تطبيقه وفقاً لافتراضى.

وهو باختصار يعطى لكل جنس الحق فى تنظيم وإدارة شئونه فيما يراه مناسباً فيما يخصه (وهو الأمر الذى سيطرح على السادة رؤساء الدول لإبداء الرأى فيه) .. فإذا كان الزواج سيكون ممنوعاً بين الأجناس لأسباب كثيرة أهمها الحفاظ على الجنس ـ تحقيق الفوائد التى سيتم شرحها فى الفصل التالى فماذا يضير أى إنسان سوى طالما له الحق الكامل فى الاحتفاظ بجنسه. بالإضافة إلى حصة متكافئة (صناعى ـ زراعى ـ صحراء .. إلخ ..).

الحقيقة أن من يضار من هذا التقسيم هو (الحدق) وأظن أن هذه النوعية الإنسانية غير مطلوبة فى (عصر العلم).

# الفصل الثانى عشر
# الفائدة التى تعود على البشرية من تقسيم الإنسان إلى أجناس

فى هذه الجزئية من علم الأجناس نتعرض للفائدة الفعلية بما يعود على المواطن العادى بالاستقرار والأمان .. وأيضاً القيادة .. والعالم .. (فى الحقيقة هو يشمل كل شىء لأننا مثلاً نقول (يوجد كذا طبيب أبيض وكذا طبيب أسود) ولا توجد طريقة أخرى حتى الآن .. لكن أنا سأذكر ما قد يتبادر إلى ذهنى حالياً كنوع من التذكرة (للقياس عليه).

بالطبع إذا أحس المواطن العادى بفائدة (علم الأجناس) (الاستقرار - الأمان - الثقة .. إلخ ..) سيطمئن إلى قيادته .. مما يوفر المزيد من الشعور الطيب المتبادل بكسب ثقة الشعوب فى رؤسائهم.

فيما يلى الفوائد المبدئية لتقسيم الإنسان بواسطة (علم الأجناس).

١ - يضع المسمار فى نعش مقولات عديدة مقولة (بالفلوس تبقى أكبر فيلسوف) وأيضاً المقولة الشهيرة لنابليون (الأخلاق فى جانب المدفعية الأقوى) لأن الحدود هى الخطوة الأولى فى تدريس (علم الأخلاق) .. والذى يضع الحدود لكل شىء هو علم الأجناس.. باختصار (لا أخلاق بدون حدود) وبالتالى الانتصار للعلم وليس للقوة بكافة أشكالها عسكرية ؟ أموال .. إلخ ..

٢ - الإنسان يفكر حالياً بنفس التفكير البدائى عند بداية الخليقة وهو (ادخار القوة لكى يحصل على السلام) وهو تفكير ظهر مع الوقت أن به عيوب كثيرة كما هو معروف .. لكن باتباع هذا العلم يمكن التغلب على هذه المشكلة لأنه يوسع من رقعة تواجد الإنسان (لأن الجنس لا يرتبط بحدود الدولة أو اللغة أو الدين .. إلخ ..) وبالتالى فإن الإنسان يشعر بامتداده .. الأمر الذى يجعله يحصل على جزء كبير من السلام بالفعل (هناك من يدافع عنه فى دولة أخرى أو أكثر) فيفكر جدياً فى الابتعاد عن ادخار القوة .. أى أنه نفس التفكير ولكن بصورة عكسية (كنتيجة للتقدم الإنسانى) فدائماً غدا به إنجاز رائع.

وهكذا يمكن تمثيل ما سيصبح عليه حال الإنسان بأنه مجموعة من الأفراد يركبون سيارة لورى سورها قصير ويضطرون للوقوف لعدم كفاية الأرضية لاحتوائهم جالسين وبالتالى يتماسكون فى بعضهم واقفين أثناء سير السيارة حتى لا يسقطون ولا يعلم أحد من الذى يدافع عن من (ضد السقوط) أما حالياً فالإنسان يتخيل أن له حقوق وأقلية يحصلون على هذه الحقوق.

٣ - هناك مغناطيس طبيعى داخل كل مواطن (عدا الحدق) يدفعه للإنضمام إلى بنى جنسه (إذا عرف واقتنع وأعلن) (لماذا لا نستفيد من هذه المنحة الإلهية .. ؟ ..) .. وبالتالى فإن الباقى سيكون تفاعل طبيعى بين البشر للمطالبة بمصالحهم التى لم يكونوا يعلمون عنها شيئا .. وأى جنس يصل إلى حقوق معينة يعطى الحق لغيره من الأجناس للمطالبة به.

٤ - ليس فقط يفتح باب الحوار بين الشرق والغرب .. لكن لن يوجد أفضل من هذا العلم فى فتح باب الحوار والحب والتعاون .. إلخ .. بين القارات .. لأن الأجناس تنتشر فى كل قارات العالم (هناك مغناطيس طبيعى قوى يجذب المواطن إلى بنى جنسه .. فلماذا لا نستفيد من هذه المنحة الإلهية .. ؟ ..).

٥ - تشترك كل الدول فى أنها تتكون من الكلمات المتكررة (خشب - حديد - صحافة - قصة .. إلخ ..) ويقوم على أعباء كل كلمة شخص أو أكثر وفقاً لأعباء الكلمة .. والفساد فى الكرة الأرضية يرجع إلى نقص فى بعض هذه الكلمات أو النقص فى تنفيذ كل أو بعض الموجود منها .. وهذا يلفت النظر إلى أهمية الاستفادة الجيدة من الكلمات الموجودة واستكمال الناقص منها.

ملحوظة .. الكلمة التى أضيفها إلى هذه المنظومة هى كلمة (الأجناس).

٦ - الوصول إلى القرارات السليمة .. باختصار شديد .. بائع الفاكهة إذا كان لا يستطيع احصاء (بطيخ - شمام) كيف يصل إلى القرار الصائب لبدء الوصول إلى القرار السليم.

٧ - نسمع عن التلاعب بأموال الأجهزة عموماً .. فهى أمور معتادة .. بعد تنفيذ علم الأجناس لن يصبح التلاعب سهلاً .. لماذا .. ؟ .. لأن كل جنس سوف يحافظ على حصته ويحاسب الفاسد أولاً بأول (تصبح الرقابة شعبية وليست حكومية .. وهذا أفضل أنواع الرقابة).

٨ - العلم حالياً يشبه علم الحساب فى بدايته (١ + ١ = ٢) .. ولم ينتج علم الحساب شىء

ذو قيمة للإنسان شخصياً إلا بعد (تكوين الهدف) .. مثال .. صناعة السيارة أخرجت علم الميكانيكا (الهدف هنا هو صناعة السيارة).

٩ – فى كل دول العالم تقريباً أكاديميات الحرب .. وهذا العلم يعتبر أول مسمار فى بناء أكاديميات السلام.

١٠ – بعد من ٤ – ٥ سنوات يمكن تخريج أول دفعة (بفرض تذليل كل الصعاب) للاستفادة من خدماتها وأظن أن هذا تأخير كبير بما يكفى لإضافة ما يثبت صلاحيته (على الأقل مبدئياً).

١١ – يقضى على فراغ الثقة بين الحاكم والمحكوم لأن كلاهما من نفس الجنس.

١٢ – هذا علم ومثل غيره من العلوم (يجب أن يكون على الحياد) ويتم إيداعه كتاب قابل للحذف أو الإضافة لمصلحة الكل.

١٣ – يعتبر أحد فروع علم الاجتماع (الإنسانيات) وبالتالى فإن أهم اهتماماته هو الإنسان.

١٤ – يشمل كل العلوم ولا يشمله علم آخر (يفيد المستويات العليا فى الإدارة لاتخاذ القرارات السليمة .. فمثلاً يقال بوجد كم طبيب أبيض وكم طبيب أسود وكم فى كل تخصص .. إلخ ..) (ولا توجد طريقة أخرى حتى الآن).

١٥ – يؤدى إلى اعتزاز المواطن بمواصفاته الشخصية التى خلقه الله عليها .. فمن الطبيعى أن يسجل الأصل داخل بطاقة المواطن.

١٦ – ينهى إلى الأبد حكم الفرد .. لأن كل جنس سوف يقدم مرشحين من طرفه ويصعب تواجد دولة بها جنس واحد .. وإن وجد .. يفضل تطعيمها بأجناس أخرى .. بالمبادلة مع شعوب أخرى (التضارب الحقيقى وليس الوهمى فى القوى الحاكمة فى الدولة يدعم مصلحة المواطن).

١٧ – المادة العلمية ليست سياسية .. ومع ذلك معظم السياسيين فى العالم بعد تنفيذ علم الأجناس يفضل أن يتم اختيارهم بناء على هذا العلم ولحماية استمرارية هذا العلم لخطورة انفراد أحد الأجناس بالسلطة .. وأيضاً لخطورة امتزاج الأجناس السائد حالياً .. الأمر الذى يسبب مشاكل عديدة ومنها خطر اختفاء بعض الأجناس (هذه المعلومة لا تهم المواطن العادى بالدرجة الكافية .. يفضل الإعلام بها .. ولما كان من الواضح طبعاً ندم العلماء على فقد بعض نوعيات المخلوقات .. إلخ .. وبالطبع سيكون ندمهم أكبر فى حالة فقد بعض الأجناس البشرية).

١٨ – من اسم العلم من الواضح أنه يعالج الآتى مبدئياً .. عدالة التوزيع ـ المشكلة السكانية .. وهى أمور أساسية فى رحلة السلام.

١٩ – يفضل أن تؤدى دراسة علم الأجناس إلى المزيد من تعدد الأقطاب .. لتجنب التصرفات الفردية على مستوى الدولة وأيضاً على مستوى العالم.

٢٠ – يقدم الحلول الحاسمة للخلافات العشوائية (التى ستتسبب فى الحرب العالمية الثالثة) مثال ذلك :

– تنتمى مصر إلى دول (عربية ـ إسلامية ـ أفريقية) وليس من بينها دولة واحدة صناعية بدون وجه حق.

– (اليابان تنتج ٦ سيارات ـ ألمانيا ٥ سيارات ـ إنجلترا ٤ سيارات) .. إلخ .. هل المطلوب عمل معرض أم ماذا .. ؟ .. وهذا أيضاً بدون وجه حق (وهو أخطر العشوائيات).

٢١ – معروف أن العلوم الحالية عشوائية .. لا نهاية لأهدافها .. الأمر الذى شكل أكاديميات الحرب فى معظم الدول .. وجود علم الأجناس يمكن أن يحدد نهايات العلوم وأن يكون الرابط الحقيقى بين مختلف العلوم لتوجيهها للسلام .. أو بمعنى أصح إنشاء أكاديمية السلام (لإعادة صياغة الجهد الضائع فى وسائل التدمير) .. وهذا الأمر الأخير لا أظن أن يتم إلا بعد التأكد من جدية وجدوى هذا العلم.

٢٢ – قديماً كان جدول العناصر فى الكمياء له فائدة كبيرة فى التنبؤ باكتشاف عناصر غير معروفة .. وهو نفس الدور الذى من الممكن أن يلعبه علم الأجناس .. إذا حصل على مكانته الطبيعية وقيادة العلوم .. فقد يؤدى ذلك إلى سرعة اكتشاف الناقص منها .. وذلك لسرعة استفادة البشرية منها.

٢٣ – يحقق المثل المعروف (فرق تسود) (المقصود بالطبع أن يسود السلام عن اقتناع وليس عن بخار مكتوم .. وليس المعنى الدارج المعروف) بأسلوب علمى .. ويعطى الفرصة الواضحة (للقوى المعتدلة) لقيادة ثابتة مستقرة على مستوى العالم والدول على السواء .. الأمر الذى يزيد من فرص الأمان فى العالم.

٢٤ – يقلل من الحروب للأسباب الآتية مبدئياً :

– انتشار تشابه الجنس على مستوى العالم وبالذات بين الدول المتقاربة (اختلاط الأجناس) حالياً هو المتسبب فى ضياع الثقة.

- مهمة هذا العلم هو الحفاظ على جميع الأجناس التى خلقها الله .. واتفاق مجموعة من الأجناس فى القضاء على أحد الأجناس أو أكثر (سواء عمداً أو كأحد نتائج حرب .. إلخ .. أمر فيه شىء من الصعوبة بعد تطبيق هذا العلم) (وبالتالى تكون الحرب مجهود ضائع لتحقيق هذا الهدف).

- الحرب تعتمد فى نشأتها وتطويرها واستمرارها .. إلخ .. على العلم .. ونقص أحد العلوم يؤثر فى جدواها أو نتائجها .. إلخ .. (اتضح الآن أن هذا العلم ناقص) كيف يمكن تبرير الحرب .. إلا للدفاع عن طرف ضعيف أو لنشر أهداف سامية .. إلخ .. وكلها أمور تراقبها جهات دولية (كيف يتم توزيع الغنائم على سبيل المثال).

- النادى الذرى ينتشر فى كل القارات تقريباً .. مما يؤكد تمثيل الأجناس (يفضل التأكد من هذه المعلومة لتجنب ازدواج التملك).

- الطائفية الهشة يمكن استثارتها وخلق التصادم بينها .. ولكن من الذى يجرؤ على خلق التصادم بين الكيانات الكبرى لخلق الحرب.

٢٥ - معروف بالطبع أن أكثر من دولة تطالب بامتلاك قنبلة ذرية لضمان أمنها ـ .. وهذا العلم يساهم فى حل هذه المشكلة الصعبة .. لأن الأجناس تنتشر فى دول العالم وبالتالى لابد أن كل الأجناس ممثلة فى النادى الذرى .. وبالتالى لا داعى لازدواج التملك .. وذلك بالطبع واضح لأن أعضاء النادى الذرى متواجدين فى أكثر من قارة (يفضل المزيد من إلقاء الضوء على هذا الأمر).

٢٦ - معروف أن التحالفات الحالية تتم إلى حين .. والكل يريد إقصاء الآخر والهدف هو اختطاف الشارع السياسى وليس المصلحة العامة .. لكن هذا العلم يعالج هذه المشكلة من جذورها .. فليس لأى مواطن إلا جنس واحد يمكن أن يقبله (وهو الذى خلقه الله عليه) .. ويبقى بعد ذلك عرض السياسات العامة لتحسين حالة المواطن .. فيتم المفاضلة بينهم بالانتخاب.

٢٧ - يجعل الأعمال الانتخابية نموذجية لأن كل جنس طرفين (علماء ـ محدودى التعليم) وبالطبع ليس للعلماء مصلحة فى تضليل جنسهم وبالتالى من الممكن أن يكون علماء كل جنس بمثابة مرشدين لأبناء جنسهم (لعدم درايتهم) لأنهم يفسدون الانتخابات بدون قصد (هذا بالطبع لأنهم مصلحة واحدة).

٢٨ - مهما وصلت درجة مركز أو سطوة أو غنى أى مواطن .. فإن عليه أن يتزوج من بنى

جنسه .. حتى يحصل على القبول .. وهو الأمر الذى يعالج مساوىء بشرية عديدة .. البعض يسرق ما تحت يده (لأن الحقيقة لا يوجد شعب) من أجل امرأة ـ أموال .. إلخ (حالياً يتم محاسبة مخطىء واحد ويفلت مائة لضياع الهوية).

٢٩ – مفيد فى الأعمال الإحصائية الدقيقة (المخترعين ـ اللاعبين ـ العلماء .. إلخ ..) للأسف الإحصاءات القديمة غير متكاملة بما يعطى الصورة الكاملة .. لعدم تواجد هذا العلم.

٣٠ – يحصل المواطن على خدمات حقيقية وليست وهمية (هذا واضح فى جمعية الأجناس المقترحة بخطابى إلى السيد / رئيس الجمهورية (٥٠ صفحة) (جارى العمل على ميلادها).

٣١ – بالإضافة إلى الفوائد المتعددة المعروفة عن المرأة .. سوف تزيد فائدة إضافية .. إنها الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الجنس طبيعياً .. وأعتقد أن سعادة الأسرة تزيد بتشابه أفرادها (الأمر الأخير يهم المرأة أكثر من الرجل).

٣٢ – يعطى أعداد متساوية من الزيجات (المستمرة الموفقة) فى كل جنس وبذلك لا تحظى فئة على نصيب أكبر من غيرها فى كل الأجناس (بسبب الجمال مثلاً).

٣٣ – من المعروف أنه إذا عرض على (من ناحية القبول أو الرغبة وليس الزواج) الرجل الأبيض والأصفر والأسود امرأة سوداء (بغض النظر عن الثقافة أو اللياقة .. إلخ ..) بالطبع الأغلبية لا يفضل المرأة السوداء (طبعاً فيهم الحدق) .. وبالتالى فإن الجنس يحدد من هو صاحب الحق والأجدر .. ويحل هذه المشكلة الصعبة المتشعبة (لأن الإنسان ينظر إلى المرأة من الناحية الضيقة على سبيل المثال (الجمال) ولكن علم الأجناس سوف ينظر إليها بنظرة جديدة هى أيضاً على سبيل المثال (الأمان).

٣٤ – يسهل انسياب تبادل المنافع وفقاً لأسس ثابتة واضحة المعالم بعيدة عن الأهواء.

٣٥ – محاولة جادة لتحقيق أحد فروع العدل الإلهى.

٣٦ – يطبق حق هام للحقوق المعترف بها للإنسان فى الأمم المتحدة .. وهو حق الإنسان أن يكون له اسم جنس مثل (شهادة الميلاد ـ البطاقة ـ الاسم .. إلخ ..).

٣٧ – بالرغم من وضوح الحاجة إلى علم الأجناس لحل العديد من المشاكل .. وإننا نذكره فى أقوالنا العادية (هذا أبيض أوروبى ـ هذا أسود أفريقى) فإن علم الأجناس لم

يدرس حتى تاريخه .. الأمر الذى يؤكد على وجود قوى ذات نفوذ تتعمد إخفاء هذا العلم (لها أغراض ترفض الإفصاح عنها .. يفضل الالتفات إلى هذه المعلومة) وفتح الباب أمام الجميع لتقديم اعتراضاتهم البناءة (مجرد وضوح العلم يحارب الفساد .. لأنهم بدون ردود منطقية).

٣٨ – أقرب الطرق للثقة بين الحاكم والمحكوم (إذا أدرك كلاهما هذا العلم) لأنهما متشابهان.

٣٩ – أليس من الغريب أن الإنسان قام بتصنيف تقريباً كل شىء ودراسة وتقسيم وتبويب .. إلخ .. (لتحديد الفائدة منه وله) ونسى نفسه.

٤٠ – يعتبر هذا العلم أهم مسمار فى نعش الحرب العالمية الثالثة .. لذلك ينبغى أن يحظى بكافة ضمانات التأمين والرقابة .. إلخ ..

٤١ – تكملة جزء هام ناقص فى السياسة الدولية والداخلية .. فيجد المواطن مكان ثابت (قادر على الحل) للشكوى (بعد تنفيذ هذا العلم).

٤٢ – يقلل نسبة التجاوزات فى المطالب الداخلية والدولية العالمية .. وذلك بأن يتحدث كل شخص مسؤل فيما يخص جنسه.

٤٣ – يقلل من الدماء المهدرة .. لأن الاحتكام سوف يكون لذوى الاختصاص فقط .. حيث أن كلاً من الغالب والمغلوب يتحدثان فى غير اختصاص حالياً.

٤٤ – بفرض أن يتم إيجاد فرص عمل (ضخمة - بسيطة) .. فأيهما أفضل :

– التوزيع وفقاً للمحسوبية.

– التوزيع وفقاً للحصص عن طريق القانون (علم الأجناس).

٤٥ – يوفر هذا العلم داخل الدولة ١٠٠,٠٠٠ فرصة عمل ما بين منفذ ومدرس .. إلخ .. شأن أى علم آخر .. وبحسبة بسيطة ١٠٠,٠٠٠ x ٢٠٠ دولة = ٢٠٠٠٠٠٠٠ (٢٠ مليون فرصة عمل على مستوى العالم) أو بمعنى أصح ٢ دولة كاملة بدون بطالة فى عالم يعج بالبطالة (قبل تنفيذ أى أعمال .. فما بالنا لو بدأ تطبيق علم الأجناس).

٤٦ – مع حداثة السن الأولى يشعر الإنسان بامتلاك الدنيا .. لكن مع تقدم الإنسان فى العمر يبدأ فى الحسابات الصحيحة .. وأن الجنس هو الكيان الوحيد المتبقى له فى رحلة العمر.

٤٧ – يرد على السؤال المحتمل التالى (أنت إنسان وأنا إنسان .. لا فرق بيننا أليس كذلك..؟ .. نعم .. وبناء على أننا غير مختلفين .. أنا أصنع المنتجات وأنت تشتريها).

وقد وقع فى هذا الفخ الكثير من الدول المستضعفة .. حيث أنه لا يمكن الرد إلا بالاستعانة بعلم الأجناس .. وبناء على هذا الكلام المغلوط حدثت عشوائية دولية تحتاج إلى معونة هذا العلم.

*بناء على ما سبق .. فإن سوء توزيع الثروة هو البوتقة الأولى للإرهاب* .. وبالطبع هذا كله أهم اهتمامات (علم الأجناس) .. باختصار شديد .. لو تمكنا من إطعام الأفواه الجائعة (بناء على مصادر طبيعية وليس إعانات) لأمكننا إخماد نار الإرهاب إلى الأبد.

٤٨ – بنى عالمنا على الاقتتال واحتلال الأراضى وإبادة الشعوب لتوفير الطعام وغيره للمحتل .. هذا هو تاريخ الإنسان الحقيقى .. وهذا بالطبع يرجع إلى قصور العلم أو المتلقى (كان الاعتقاد قديماً أن الإله سوف توجد أعداد ضخمة من العاطلين .. لكن مع الوقت ثبت عكس هذا الكلام .. فالاختراعات والآلات هى أفضل الطرق والوسائل لتوفير فرص العمل) وإذا لم يكفى علم الأجناس لتحقيق فرص العمل المتكافئة (أنا أشك فى ذلك) فلابد من البحث عن علم آخر ناقص لتكملة منظومة التعليم. (علم الأجناس هو اختراعى أنا).

٤٩ – يفضل أن يتم توزيع الثروات فى العالم بناء على علم الأجناس (الأكثر عدالة) على أن يكون (اللغة ـ الدين ـ القومية .. إلخ ..) مراقبين لعدالة التقسيم.

٥٠ – الأمن وغيره من خدمات الدولة (مشكوك فيه) ويفضل أن يتولى كل جنس أبناء جنسه.

٥١ – من يرفض علم الأجناس بسبب الخطورة فمن باب أولى أن يرفض كلية الهندسة لأنها السبب فى (الصواريخ ـ الدبابات .. إلخ ..) وبالتالى كل العلوم لأن كلية الهندسة ليست وحدها المسئولة عن إنتاج هذه المنتجات .. وبفرض إنتاجها فإن سوء استخدامها أيضاً لا يسأل عنه كلية الهندسة.

٥٢ – كل إنسان يريد أكثر من حقه (هذه طبيعة البشر) المشكلة الحقيقية أنه فى حالة (الهيصة) المتواجدة حالياً لعدم تواجد علم الأجناس .. أن الأغلبية لا تحصل على حقها .. تماماً .. كما يحدث فى أى فيلم أو مسلسل .. حيث أن كل متفرج يعتقد أنه

البطل أو (الشجيع) .. وأن أحداً لا يعتقد أنه المهزوم أو المجرم فى الفيلم (علماً بأن الإنسان فى الحياة حين يحصل على أكثر من حقه يفقد أشياء كثيرة منها .. الاستقرار ـ الأمان .. إلخ ..).

ومن هنا جاءت الفائدة لعلم الأجناس وأنه يحدد الحدود للمواطن وبذلك يكتفى المعتدلون بقبول الأقرب إلى العدل الإلهى.

٥٣ – من يرفض الاختراعات فإن له مصلحة أن تكون نسبة ليست بالقليلة معدومة حتى يمكنه شراء أصواتها أو ضمائرها .. إلخ .. (وأظن أن هذا التفكير قد أصبح عقيماً من تطور الزمن) .. فمن البديهيات أن الاختراعات من أهم الأسباب لخلق فرص العمل الضخمة .. وعلم الأجناس أحد أهم اختراعات لأن من سيقونى لم يتحدثوا فيه بشأن هذا المجال .. أو على الأقل لم يؤكدوا دعمه للخروج إلى الإنسانية كعلم ذو فائدة مباشرة للإنسان شخصياً (للأسف دخلوا فى مناقشات بيظنطية .. وهو أحد الأسباب التى أعتقد أنه تم رفضه بسببها قديماً).

٥٤ – يعطى الأحكام عموماً مصداقية حقيقية لأنه غير معروف حالياً جنس كل من أطراف المحاكمة (القاضى ـ المتهم ـ المحامى .. إلخ ..) وهو أمر هام لاختلاف التوجهات بين الأجناس.

٥٥ – أكثر من ٥٠ عام من النزاع بين اليهود والعرب .. يقول اليهود للعرب على سبيل المثال (نحن جنس سامى) (وهو أمر غير دقيق فلا يمكن أن يكون الأبيض والأسود كلاهما لهما على سبيل المثال اسم جنس واحد سوى (بنى آدم ـ إنسان ـ مكوجى .. سباك .. إلخ ..) .. كما أنه من غير المعقول أن يختلف اثنان من جنس واحد لأنهم مختلفين فى الدين (الدين لا دخل له بعلم الأجناس).

والعرب يقولون (نحن أبناء عم) (وهو أمر غير دقيق أيضاً لعدم جدوى التعميم) وبالطبع اليهود يرفضون ذلك .. ألم يحين الوقت ليكون لكل فئة ذات مواصفات ثابتة اسم جنس .. حفظاً لكرامة كل أطراف النزاع (علم الإجناس سوف يكون له تأثير على هذا النزاع وغيره من النزاعات الشبيهة).

٥٦ – من يرفض هذا العلم بدعوى (الحرية) .. فى الحقيقة هو يفضل (الهيصة) وليس الحرية ولنعطى مثال (مائة عصفورة من الممكن أن يحتويها قفص معقول الحجم لكن لو تركت طليقة لاستلزم الأمر مائة فدان على الأقل (والطبيعة كفيلة بتحديد العدد).

ولما كان هذا هو عصر التقنيات فى كل المجالات وبالتالى فإن الأولى أن يقنن الإنسان نفسه .. علم الأجناس هو السبيل إلى ذلك .. وإذا لم تكفى عملية التقنين هذه (وهو حل مؤقت) لأن الإنسان لا ينتظر الطبيعة لتحديد أعداده (هناك تطعيمات - مستشفيات .. إلخ ..) فسوف تأتى مرحلة أخرى هى تحديد النسل (وهو أمر تنفيذه مستحيل بدون علم الأجناس لأسباب عديدة أهمها (خطورة اختفاء بعض الأجناس - تحديد الأعداد - الثقة .. إلخ ..).

٥٧ - يعطى جرعة قوية من الأمان .. لأن الإنسان سوف يرى مثيله فى وسائل الإعلام وهو يهان على أيدى القوى الغازية .. فيحاول محاربة ذلك فى قيادات دولته (صحيح أن الإنسان يرى ذلك حالياً فى وسائل الإعلام) لكن لا توجد صلة قوية توجب التدخل .. علم الأجناس هو الصلة القوية (إيجاد مسئول) (الإنسان لا يستطيع حماية نفسه ولكن القوانين هى التى تحمينا). مهمة المسؤل أيضاً (تنظيف أفكار المخطىء) لتجنب التكرار.

٥٨ - العلم الذى لا يقدم حلول جذرية أو يكون عامل مساعد لحل مشكلة قائمة .. فهو يعتبر علم ناقص يحتاج إلى المزيد من الفروع والدراسة لتقديم المعونة لمتخذ القرار.

على سبيل المثال ما هى فائدة (علم الحساب ١ + ١ = ٢) بالطبع الفائدة هى الوصول إلى علم الميكانيكا وصناعة السيارة هى على سبيل المثال الهدف.

بناء على ذلك يعتبر كل الكتابات السابقة فى علم الأجناس بأفكارها المختلفة هى التمهيد الذى يعاون على حل المشكلة الأساسية (علم الأجناس بمعنى رجل أبيض - رجل أسود).

٥٩ - كل ثورة أو غزوة عبر الزمان والمكان على مستوى العالم كان فيها المزيد من تلويث الأجناس (وأيضاً الحياة العادية) .. وبهذا يتكافأ المنتصر والمهزوم .. وهذا ما أحاول أن ألفت إليه النظر ويعالجه علم الأجناس (نحن فى العصر المثالى لمحاولة محاربة التلوث بكافة أشكاله .. أو على الأقل نأمل أن نكون كذلك).

٦٠ - هناك مقولة تقال على مستوى العالم (أنا من حقى كذا ..) وهذا أمر يصعب فيه الوصول إلى حل لنقص الطرفين (العاطى والمعطى) لأن كلاهما (طائفية هشة) كما يجب تحديد عمل للإنسان داخل جنسه ليحصل على مكانته ويفوز بنصيبه وفقاً لمقدرته (بدلاً من الهيصة الحالية).

٦١ – هذا العلم يعيد تقنين كل شيء .. بصفة دائمة .. بمعنى أصح يعيد الحقوق المسلوبة إلى أصحابها .. لكن بأسلوب علمي غير قابل للتردد .. الأمر الذى يؤدى إلى الاستقرار الشامل (روبين هود العصر الحديث).

كل لحظة من لحظات الكرة الأرضية لها جمالها والمفضل للإنسان (فى عصر القرية الصغيرة) أن يوفق أوضاعه .. بدلاً من محاولات تكميم الأفواه وخلافه (هذا بالطبع بعد أن يستقر الإنسان فى جنسه .. حتى يمكنه التعبير من واقع تخصصه).

٦٢ – من الطبيعى أن هناك فى الوقت الحالى مستفيدين من الوضع الغامض الحالى ويرفضون الإصلاح ويعتمدون على (الطائفية الهشة) (لتضليل جموع المواطنين لمصلحتهم الخاصة). (وهم لا يخدعون غيرهم فقط ولكن أنفسهم أيضاً).

بالطبع واضح أنه مع الوقت سيثبت أن هناك فئات كثيرة أصابها الضرر من العشوائية وعلم الأجناس يخلصها من المخاطر لاستعادة حقها.

هناك العديد من المخاطر (التخزين - الموديل - السعر .. إلخ ..) لكن أهمها على الإطلاق هو نوعين من المخاطر :

- الأعداء الأقوياء .. ويخلصنا منهم علم الأجناس بما فيه من منطق وربما جعلهم متعاونين معها.
- الأعداء الضعفاء .. وهم من ستتم معهم المواجهة غالباً .. كنتيجة طبيعية لعدم اقتناعهم بالمنطق .. لكن ربما اقتنعوا بعدم جدوى المكابرة.

٦٣ – واضح من المقدمة السابقة الاستفادة الكبيرة التي يحصل عليها الشخص من علم الأجناس وبناء على ذلك يمكنه اعتبار أن علم الأجناس (جنسك) هو الهدف الأساسى .. أما عملك فى أي مجال الآن فهو شيء جانبي لابد منه.

٦٤ – تمرير هذا العلم يؤدى إلي بعث الأمل في نفوس البشر على مستوى العالم وهو الأمر الذي يؤدي إلى تقليل العنف المتاح حالياً.

٦٥ – على سبيل المثال يعالج مشكلة ١٢٥ مليون (هم تقريباً المهاجرين إلى دول أخرى غير دولهم الأساسية) وأيضاً (الجماعة المتوسطة) (المولدين على مستوى العالم) لأن التقسيم سيتم وفقاً للون الإنسان (إما أساسي - احتياطي وعددهم أيضاً أكثر من ١٠٠ مليون وأيضاً أبناء السبيل وغيرهم) (لا يوجد إنسان لا يقبل تحت تقسيم الأجناس).

٦٦ – لا حياة للدول الصغرى ولا (الطائفية الهشة) ولا معنى للحق الواضح فى القضايا إذا لم تؤكده قوة .. ويتجه العالم اليوم إلى التكتل والتجمع (علم الأجناس هو أفضل وسيلة مقترحة حتى الآن للتكتل).

– وفقاً لتقديراتى هذا الأمر يحتاج على الأقل ٥٠ عام لكى يتم كاملاً (سلمياً) .. لماذا .. ؟ .. لأن التنفيذ يفضل أن يتم عن طريق متوالية هندسية بمعنى (دولة ـ ٢ دولة ـ ٤ دولة ـ ٨ دولة .. إلخ ..) لأسباب تتعلق بالتمويل الذى يمكن الحصول عليه من الدول التى يتم إنقاذها أولاً ـ ضرورة معرفة المواطن العادى وفهمه للموضوع من كافة جوانبه قبل التنفيذ .. إلخ .. كما أن التنفيذ نفسه سيتم على مراحل (٣ سنوات فى كل دولة على الأقل).

٦٧ – فى كل دول العالم يجد الزعيم نفسه محاطاً بمجموعة من الآراء المتضارية .. لتضارب المصالح الغير نابعة من مصدر ثابت .. وبالتالى يحتاج إلى قدر كبير من توفيق الأوضاع الذى ينتج فى النهاية مجموعة من التناقضات .. ويعود الخطأ دائماً على رئيس الدولة وليس علي أصحاب الرأى (لأن أحداً لا يعرفهم) وطبعاً هذا التأثير المحدود فى كل دولة يؤثر على باقى دول العالم .. ونسمع أصوات المدافع من حين إلى آخر .. وطبعاً علم الأجناس مفيد فى هذا المجال (لأنه سيعيد ترتيب المجموعة المحيطة بالزعيم بحيث يتحدث كل مسئول فيما يخصه وللصالح العام .. ويفضل أن تكون الكلمة العليا .. حالياً .. للرئيس حتى تنتهى فترة الحضانة فى علم الأجناس وينفذ عملياً).

٦٨ – إذا صمتت المدافع على الوضع الحالى (بدون علم الأجناس) فهو صمت مؤقت .. قابل للإنفجار فى أى وقت (لأنه يعتمد على الطائفية الهشة) وأن البخار المكتوم يتجمع لينطلق فى أى مكان .. والمسألة مسألة وقت.

٦٩ – لو نظرنا إلى موضوع الأجناس من زاوية أخرى وهى أن الإنسان يتفق مع غيره من البشر فى كثير من المسائل وأن الاختلاف فى الجنس هو اختلاف فى مسألة واحدة لا تشكل خطورة أكثر مما تشكل فائدة لأعضائها (بشرط أن يعرفوا أنهم مختلفين وأن يعلنوا هذا) .. ويمكن طبعاً تحت تقسيم الأجناس أن يخرج العديد من التقسيمات (دينية ـ قومية ـ لغوية .. إلخ ..).

٧٠ – مفيد فى تحديد إطار أخلاقيات المعرفة ومجتمع المعلومات لكل جنس على حدة .. وبالتالى لا يكون هناك أى ضغوط على كل الأطراف .. وطبعاً فى كافة المجالات

الأخرى كما أنه مفيد فى الترقية بهذه الوسيلة لأن ما يمكن الاتفاق عليه بين الأجناس بالطبع سيتم تعميمه .. وفيما يلى بعض الأمثلة :

- أخلاق مجتمع المعلومات فى ظل عولمة الإعلام.
- أخلاق مجتمع المعلومات فى ظل الموروث التقليدى.
- أخلاق مجتمع المعلومات فى ظل المنافسة الضارية.

٧١ - يساهم بشكل واضح فى سرعة مساندة المواطن لتقديم مقترحاته أو رفضها لأن الجنس من مصلحته ارتفاع نوعيات أبنائه .. وطبعاً لا يمكن توزيع الأموال داخل الجنس بدون ضوابط .. وبالتالى تكون الضوابط هى أعمال المواطن نفسه.

٧٢ - الأسرة أساس المجتمع (هذا العلم يقدم أفضل أسرة (سوية)) حتى الآن .. أى لبنة قوية فى المجتمع .. أى مجتمع سليم.

٧٣ - كيف تتوقع أن تربح فى الحياة وأنت تخجل من أن تعرف بلونك وانتمائك وهو ظاهر عليك .. وواضح فى تماثيل الفراعنة ورسوماتهم من آلاف السنين.

٧٤ - العالم الآن غابة دستوره الفناء للأضعف .. وهذا ما يعالجه علم الأجناس بتكوين الكيانات الكبيرة .. فإذا كان هناك من يستطيع استثارة (الطائفية الهشة) فمن الطبيعى أن عملية الاستثارة ستكون صعبة فى حالة (الكيانات الكبيرة).

٧٥ - الحل لا يمكن أن يكون بواسطة البندقية .. لسبب بسيط .. هو أنها الآن فى يدك ولكن بعد فترة من الوقت سوف تسحب من يدك وتعطى لغيرك ممن عليه الدور فى التجنيد أو تحال سيادتكم إلى المعاش .. إلخ) وبالتالى سوف تذوق من نفس الكأس.. وبالتالى الحل هو دائماً فى إصلاح حياة الإنسان المدنى (طبعاً علم الأجناس له اليد العليا فى هذا المجال).

٧٦ - يساهم فى طرح الحقائق على المواطن فيما يخص (علم الأجناس) لأخذ القرار بشأنها فلا يحدث مثلاً مثلما حدث فى عام ١٩٢٢ حينما مول الزعيم السوفيتى (ستالين) برنامج لمحاولة تهجين الإنسان بالقرد لتخليق (جنود سوبر) أنصاف بشر.

٧٧ - الكيانات الضخمة تؤكد السلام وتحمى التجمعات الصغيرة لخطورة التصادم بين هذه الكيانات الضخمة.

٧٨ - يقدم أفضل طرق ميلاد القرارات (الشاملة) وتنفيذها .. إلخ .. لأن القرارات التى

سوف يتم الاتفاق عليها ستتم مراجعتها عن طريق كل جنس على حدة .. وطبعاً كل جنس عبارة عن مختصين وذوى مصالح .. إلخ .. الأمر الذى ينقى القرارات بنسبة تقترب من ١٠٠٪.

٧٩ - يجعل الرقابة شعبية وليس حكومية .. وهى أفضل أنواع الرقابة لأن كل جنس يراقب أفراده.

٨٠ - العلم خطر مثل باقى العلوم .. والأخطر من وجود العلم هو عدم وجوده (الهيصة الموجودة وضياع حق المواطن).

٨١ - كل القوانين تنص على المساواة بين البشر (كل يفسر هذه العبارة وفق هواه) علم الأجناس مفيد فى توحيد تفسير هذه العبارة.

٨٢ - المكاسب التى تحققها الآن نتيجة لمجهودك الفردى أو بانضمامك إلى جماعة محدودة .. فى حالة انضمامك إلى جنسك سيكون هناك كلام آخر.

٨٣ - نتحدث عن الأجناس ولا يوجد قوانين واضحة متفق عليها بين الأجناس .. كيف يكون هذا الكلام ذو معنى .. ؟ .. أو بمعنى أصح .. كيف يكون هناك (علم الأجناس) بدون تقسيم فعلى للأجناس.

٨٤ - لكى يسود السلام لابد من توزيع الحقوق ليتحدث كل جنس عن حقوقه.

٨٥ - ماذا عن الأسر المختلطة حالياً .. ؟ ..

- حالياً لا شىء .. لأنه لم يصدر قانون الأجناس بعد .. أما فى المستقبل فلا أظن أنه سيطبق إلا على ما يستجد.

- سيكون هناك فى كل جنس نوعان (أساسى وملحق) .. وعلى المواطن توفيق أوضاعه وفقاً لظروفه.

٨٦ - (الحياد) فى تقديم العلم .. شأن باقى العلوم .. لأن المادة العلمية (أدبى) مطاطة وقابلة للتشكيل وفقاً للأهواء (لا يخفى الأغراض الخفية الغير مسئولة).

٨٧ - هناك تساؤلات كثيرة للإنسان (الشباب) .. ويساهم هذا العلم فى الإجابة على الكثير منها.

٨٨ - يعتبر أساس لعلم الأخلاق .. لأنه يضع الحدود لكل شىء .. فإذا التزم الكبار فإن الأمر سيكون سهلاً بالنسبة للصغار (الحدود هى أساس علم الأخلاق).

٨٩ - علم الميكانيكا يضع الأساس لصناعة السيارة .. مثلاً .. علم الأجناس يضع الأساس لحقوق تصنيع السيارة.

٩٠ - يعتقد البعض أنه حصل على حريته لأنه دخل السجن لأسباب سياسية (وأن خصومه تابعين لأهواء مختلفة) .. بالطبع هذا أمر لا يكفى لأن العلم لا ينتهى والدليل على ذلك (علم الأجناس) .. أظن أنه سيفيد الكثيرين فى تعديل أفكارهم على مستوى (سجون العالم وخارجها) .. علماً بأن هناك دائماً علم ناقص أو علم غير معروف حالياً .. علماً بأن الإنسان (الغير سوى) دائماً يطالب بالحرية حتى يهرب من مسئولية التبعية .. فالمفروض أن نترك الحرية لمن يريد البحث عن (مجال جديد أو يتم تجهيزه لإدارة محتملة .. إلخ ..) ما ينفع الناس .. هذا من وجهة نظرى.

٩١ - أروع ما فى هذا العلم أنه يدرس الاختلاف للطلبة بدون النزاع .. وبالتالى يصبح الحق فيه بدون نزاع .. مثال (الطلبة الذين يتعلمون الحساب .. يتفق الكل على أن (١ + ١ = ٢) .. أما فى علم الأجناس فتوجد ثقافة الاختلاف وفقاً لخلقة الله .. قد يكون هناك علوم أخرى تدرس الاختلاف .. وأيضاً هذا العلم مختلف عنها لأنه يدرس الاختلاف الإنسانى (وليس مخلوقات أخرى) بناء على خلقة الله وليس بناء على آراء إنسان (تدخل الإنسان محصور فى إعطاء الأسماء للأجناس فقط).

٩٢ - فى أى (نشاط أو ممارسة) هناك الكثيرين الذين لا يعلمون أن (المفاوض فى أى مجال.. لا يملك سيف) ولكن كل مؤهلاته أو أكثرها قيمة هو (المنطق) وعلم الأجناس يعتبر الأجدر بالاهتمام فى هذا المجال (علماً بأن القوة على سبيل المثال لا تعطى نتائج موفقة .. لكنها تجرب من وقت إلى آخر).

٩٣ - معروف أن أساس الخلاف بين الزوجين هو محاولة كل منهما الاستئثار بأكبر قدر ممكن من دخل الآخر (صرفاً أو ادخاراً) (هذه الحقيقة تشمل كل المعاملات فى كل المجالات) ليضمن لنفسه المزيد من الاستقرار فى نهاية الطريق .. وهو الأمر الذى سيعالجه (علم الأجناس) لهما ضمن اهتماماته الكثيرة (لحسم تأمين الحياة الأسرية).

٩٤ - كل رجل يوجد داخله رجل وكل امرأة يوجد داخلها امرأة .. ومعروف أن الإطار العام هو المؤثر الأكبر على داخل الإنسان الذى يؤثر على خارجه .. وطبيعى أن علم الأجناس سيكون له دور مؤثر فى الإنسان من هذا المنطلق .. والتاريخ يقول لنا أن كل

الاتفاقيات السابقة (فى كافة المجالات ـ ونأخذ المرأة والرجل كمثال) كان بها الكثير من الثغرات التى صعب حتى الآن ترميمها .. ولكن إذا كان الجنس هو الإطار الذى يجمع بين الرجل والمرأة .. فإذا رفض أحدهما (الامتثال) فأين يذهب .. ؟ .. (علماً بأن الأخطاء التى تثبت من الممكن دائماً تصليحها عند حدوثها) وفقاً للمستويات المختلفة للدخول (عالى ـ متوسط ـ بسيط).

٩٥ – يوفر نهاية مقبولة للإنسان .. لأن اختلافات الأجناس عند الأبناء .. أحد المبررات القوية لاختلافهم شخصياً .. مما يعود بالتأثير على الإنسان فى نهاية حياته .. حيث يصعب سماع الشكوى لأنه ثبت له أنه قدم للحياة أبناء متخاصمين طبيعياً (لاختلاف أجناسهم).

٩٦ – قديماً كان هناك ثقافة الدوام فى استخدام الأشياء (شنطة الخضار ـ المنديل ـ المياه الغازية .. إلخ ..) الآن أصبح الطابع العام الغالب هو ثقافة (الإلقاء) أو الاستغناء عن الشىء بعد استخدامه (حتى العقار يتم شراؤه من أجل التصقيع وليس الاقتناء والاستفادة من ريعه .. الأمر الذى أثر فى كثير من معاملاتنا ومنها حياتنا الاجتماعية (الطلاق .. مثلاً).

وطبيعى أن علم الأجناس سيكون له تأثير جيد فى مجال المحافظة على الجنس وأن نعود من ثانية إلى ثقافة (الدوام).

٩٧ – معروف أن المرأة يأتى عليها وقت تشعر فيه بعدم جدوى الرجل .. الأمر الذى يضر بحياة الإنسان عموماً (لأنها نصف المجتمع) وطبعاً سيكون من أهم اهتمامات علم الأجناس لتوفيق العلاقة إلى الأفضل دائماً .. علاقة المرأة والرجل عموماً مسؤلية علم (الجنس) الذى يفتقر إليه العلم فى (مصر).

٩٨ – ماذا يريد الرجل من المرأة (أثناء الجماع) (بفرض أن العلاقة مشروعة) .. ؟ ..

ج لديه بعض الإفرازات الزائدة فى جسده يريد أن يتخلص منها.

ماذا تريد المرأة من الرجل (أثناء الجماع) (بفرض أن العلاقة مشروعة) .. ؟ ..

ج تريد إنجاب جنين.

الحقيقة أن كلاهما لديه إفرازات زائدة لكن طريقة التخلص (سلبية لأحدهما وإيجابية للطرف الآخر).

واضح طبعاً الاختلاف فى نوعية الإرادة بين الرجل والمرأة فى عملية مشتركة .. وبهذا الخلاف فى الإرادة والرؤيا والفعل يكون الزواج فيه الكثير من الضعف (توم وجيرى) (وليس السكينة والمودة والرحمة) .. أما إذا كانت هناك رؤيا مشتركة (الحفاظ على الجنس مثلاً) يكون هناك واقع أكثر قوة فى معاملات الطرفين (علماً بأن الحفاظ على الجنس لا يتضمن إنجاب فقط .. لكن تحديد نسل أيضاً).

عموماً يجب أن يعرف كلاهما هذه الحقيقة .. ثم تأتى مرحلة توفيق أوضاعهما وفقاً لظروفهما من واقع الحقيقة وليس الأوهام .. وذلك بأن يقوما بتجميل حياتهما بالطريقة التى يفضلانها .. على أى الأحوال دراسة (علم الأجناس) سيكون مفيداً فى هذا المجال.

- تبادل المراكز بينهما .. غير مفيدة .. فى هذا المجال.
- تنقذنا هذه المعرفة مع مقولة (أنا أحب) وبدلاً منها (أنا أحتاج) .. كل العولاطف والشعور .. مجرد كمياء فى الجسم .. وأيضاً الحرمان وغيره.

٩٩ - حالياً يوجد تبعيات عشوائية .. الدولة كذا يتبعها الدولة (كذا وكذا وكذا) وهذا بالطبع أمر فيه الكثير من الغبن لاختلاف (الثقافة - التقاليد - الدين .. إلخ ..) وهذا أيضاً يعالجه علم الأجناس لأن أهم الاختلافات هو .. الجنس ..

١٠٠ - متعمد الخطأ هو فقط الذى يرفض علم الأجناس .. لأن هذا العلم هو الذى يتيح لكل إنسان الفرصة الجيدة لاكتشاف الخطأ وفضح مرتكبه (لأن الرقابة سوف تصبح شعبية وليس حكومية).

١٠١ - يقول الإنسان (أنا أحبك) ويقول الآخر (أنا أحبك أيضاً) .. وكلاهما كذاب .. فلماذا لا نضع الحدود ويتولى كل جنس مسئوليته .. ؟ .. (أعتقد أن تقسيم الأجناس هو أفضل التقسيمات حتى الآن لتوضيح العلاقات بين الكل).

١٠٢ - عادة يقول الأب لابنه أو ابنته (أنت الآن على معرفة بالحياة وبناء على ذلك عليك اختيار شريكك فى الحياة) .. كيف تكون هذه المقولة صادقة والشاب يعلم (الطبيعة - الكهرباء - الحساب .. إلخ ..) ولا يعرف شىء عن تكوينه هو وانتماؤه (علم الأجناس).

١٠٣ - على مدى العصور لم يجرؤ علم على إصدار قانون صارم (لتحديد النسل) الذى يعالج الكثير من المشاكل التى تعانى منها البشرية .. وهو الأمر الذى يستطيعه هذا

العلم .. وبصراحة وبدون مواربة (أى قوانين أو إنجازات .. إلخ ..) على مستوى العالم أو على مستوى الدولة .. هى كلام فارغ بدون الاتفاق على قانون صارم (لتحديد النسل) .. وطبعاً لا يمكن أى إصلاحات على مستوى العالم ككل .. وأيضاً على مستوى أى دولة بدون قانون صارم (لتحديد النسل) .. وإن تغيير الأشخاص الذى يحدث فى الثورات وغيره ليس أكثر من تغيير وجوه فقط.

١٠٤ - صحيح أن العالم به الكثير من البؤر الدامية .. لكن لا ننكر أن أغلبية سكان العالم تشعر بالاستقرار (ظاهرياً على الأقل) .. لماذا .. ؟ .. لأن الأمل لدى الإنسان مرتبط دائماً بالتضاد على مستوى العصور فى الكرة الأرضية (رومانية ـ فارسية) (إنجلترا ـ فرنسا) (أمريكا ـ روسيا) .. إلخ .. وطبعاً هذا يفتح مجال جيد للأمل للضعاف على مستوى العالم .. وعلم الأجناس كما هو واضح سيخلق المئات من الضد (فإذا لم يوافق فلان .. فالأمل معقود على علان .. وهكذا ..).

١٠٥ - واضح أن مشكلة علم الأجناس (أكثر وضوحاً) فى الدول التى تسمح بالتزاوج بين الأجناس المختلفة (جلد أبيض ـ جلد أسود) (جلد أبيض ـ جلد أصفر).

وغير واضحة فى الدول التى تسمح بالتزاوج بين الجنس الواحد المختلف مثل (شعر أحمر ـ شعر أصفر) (اسود فاتح ـ اسود غامق) .. فالفوارق تكاد تكون غير مرئية ومع ذلك هناك تلوث فى الجنس .. لكن أعتقد أن مهمة الإنسان الأساسية فى الحياة هو الحفاظ على التنوع .. للحفاظ على الجمال الطبيعى الإلهى الذى يكمن فى الاختلافات الطبيعية بين كل شىء بما فيهم (البشر) .. فى محاولة لتسليم الأجيال القادمة نسخة جيدة مما سبق تسلمه من الأجيال السابقة غير منقوصة.

١٠٦ - كل مسئول عن فئة يحفذ قومه بأن (يستثير فيهم العظمة) بأنهم (أفضل النوعيات البشرية وأن من حقهم كذا) .. مما يؤدي إلى تعصب فى (طائفية هشة) ولا يمكن معرفة النتيجة إلا بعد دفع أثمان غالية .. والأفضل هو ما يقدمه (مظلة علم الأجناس بالمساواة) مع امتيازات مختلفة (بدنية ـ ذهنية ـ علمية .. إلخ ..) إما أن تكون الفئة بكاملها أفضل من غيرها فهذا أمر فيه الكثير من المبالغة.

١٠٧ - سيقول البعض أن هذا الأمر قد يؤدى إلى الكآبة والملل وانتشار التشابه بين أفراد الجنس الواحد.

والرد على ذلك بأن هذا العلم مطروح للأعمال الجادة (فقط) وهو السبيل الوحيد لما

يأتى على سبيل المثال (التزاوج لإنتاج الأجيال القادمة بصورة قانونية ـ ممارسة الحياة السياسية بصورة أكثر شفافية ـ تقسيم إيرادات الدولة بصورة أكثر عدالة.. إلخ..).

كما أنى لا أعتقد أن هذا العلم سوف يمس حياة (اللهو) بكافة صوره .. الأمر الذى يتيح مجال ضخم من التنوع الذى يكسر الملل.

ثم لماذا الخوف من الإصابة بالملل وهناك صور كثيرة من الملل نذكر منها (السفر بالسيارة أو غيره مسافات طويلة ـ دراسة تخصص معين لمدة طويلة ـ أكل أصناف محدودة مكررة .. إلخ ..).

علماً بأن ملل السلام أفضل من انشغال الحرب .. كما أن من سمات الحياة الراقية هو الملل .. فلماذا لا نعطى فرصة لتعميم مشكلة الحياة الراقية على أفراد الشعب كله ونعطى لهم الفرصة لكى يقوم كل منهم بقتل الملل بالطريقة التى تروق له الأمر الذى يبعث الحياة فى الكثير من وسائل الترفيه .. إلخ .. (يزيد من فرص العمل أيضاً).

١٠٨ – ممارسة علم الأجناس فى الحياة العادية (يعطى الإنسان فى حياته العادية وبدون أى مشقة أو جهد إضافى) .. فإنه يقدم أفضل إنجاز للأجيال القادمة وهو (الأبناء) الأمر الذى يمهد لإيجاد (الكرة الأرضية الفاضلة).

١٠٩ – المواطن الذى يرفض الزواج من جنسه فهذا معناه أنه (قرفان) من جنسه فكيف يمكن الاعتماد عليه فى أن مستوى قيادى فى جنسه (ملحوظة .. يمكن بعض التجاوزات عن أخطاء الماضى على اعتبار أنه لم يكن يعلم). (وأنه مقتنع بما يستجد).

١١٠ – باختصار هذا العلم يقول .. إذا كنا مختلفين فمن حق كل مختلف أن يحصل علي حصة متساوية فى كل شىء (صناعية ـ صحراء ـ غابات .. إلخ ..) لكى تضمن له الحياة المستقرة.

أما إذا كنا متشابهين و (نستعبط) فلا فرق فى توزيعات الحصص (وليأكل القوى الضعيف .. كما يحدث طوال عمر البشرية).

السؤال هو .. ما هو الشىء المفيد للبشرية .. ؟ .. نعترف بالحقيقة بأننا مختلفين.. أم يستمر التضليل بأننا متشابهين.

طبعاً واضح الارتباك الوشيك الحدوث فى العالم كنتيجة لنقص هذا العلم .، وهذا طبعاً يرجع إلى تصرف (قوى غير مسئولة) (تضع العراقيل أمام تدريس هذا العلم).. وأملى أن أنال مساعدة سيادتكم فى تحجيم هذه القوى (لإنقاذ ما يمكن إنقاذه).

والمطلوب كخطوة أولى :

- تغيير المفاهيم (بإرشادات علم الأجناس) (الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).
- الابتعاد عن الحداقة والفهلوة والالتجاء إلى العلم.

١١١ - باختصار أكثر .. ينهى جزء كبير من حيرة المواطن فى اختيار نصفه الآخر .. وما عليه إلا أن ينظر فى (المرآة) ليعرف مواصفات النصف الآخر (من لا يرضى عن نفسه لا يتوقع أن يرضى عنه أحد).

١١٢ - كثيرين يعلمون أن (قمة اليأس ليس هى الشجاعة) (ويظنون غير ذلك) .. أو بمعنى أصح أن الإنسان الذى يقوم بتفجير نفسه أو غيره هو إنسان وصل إلى قمة اليأس ويعتقد أن ما يفعله هو (الشجاعة).

طبعاً هذا العلم يساعد على (بعث الأمل) فى نفوس الكثيرين .. سواء الشخص الذى يقوم بالتفجير أو الشخص الذى يشجع منه هذا الأسلوب كوسيلة للحل.

١١٣ - معروف أن المزارع الذى يمتلك فدان .. مثلاً .. إذا أطلق (الحرية) للحيوانات فى مزرعته (لن يكفيها ١٠٠ فدان) لأن الحيوان يدمر فدان حتى يأكل وجبة واحدة .. كما أن إنتاجه سيقل لأنه لن يستطيع الدفاع عن نفسه جيداً ضد أعدائه فى الحياة (الحرة).

الحقيقة أن هذه (هيصة) وليست (حرية) .. ولذلك يقننها الإنسان فى المزرعة.

## معلومة عامة :

الحيوان خلاف الإنسان .. على سبيل المثال :

يولد الجاموسة ويقف على أرجله فى ١ / ٢ ساعة تقريباً .. وتعتقد أنها تعرف كل المعلومات بخصوص (الأعداء - الأصدقاء .. إلخ ..) اللازمة لحياتها من لحظة الميلاد.

أما الإنسان .. فإنه يحتاج لكى يقف على قدميه ٩ شهور على الأقل .. وبعد ذلك يحتاج

إلى ٢٠ عام على الأقل من الدراسة الناجحة حتى يحصل على درجة جامعية .. وحين ذلك نقول عنه .. أنه بدأ خطوات المعرفة (فى أحد التخصصات) .. فى حين أنه فى هذه اللحظة يعتقد أنه يعرف كل المعلومات التى تخصه (الأعداء ـ الأصدقاء .. إلخ ..) (مثل الجاموسة الوليد).

مما سبق يتضح لسيادتكم أن كلاً من الحيوان والإنسان (حتى ولو كان متخصصاً) وبالرغم من الاختلاف الكبير بينهما .. فإنهما يتفقان فى خطأ يخصهما وهو (يعرف كل المعلومات التى تخصه (الأعداء ـ الأصدقاء .. إلخ ..).

وبناء على ذلك يكون (علم الأجناس) هو أفضل تقسيم مقترح للإنسان (حتى الآن) لأنه سيقدم له أفضل خدمات المعرفة فى كافة المجالات. (عند الحاجة).

١١٤ – لم الاحظ فى قراءتى فى مجال علم الأجناس .. أى إشارة إلى ضرورة ارتباط تقسيمات الأجناس بتوزيعات الحصص (صناعية ـ زراعية ـ غابات .. إلخ ..) ليضمن لكل جنس (الأمان) .. وهذا ما تقدمه هذه الجزئية من العلم.

١١٥ – هذا العلم يفرض الطاعة على الاتباع (طالما أنهم من نفس النوعية .. أو أقرب ما يمكن منها) .. ولكن هناك من لا يقبل الانصياع (للطاعة) .. وهذا طبعاً غالباً ليس كرهاً فى شخصية القائد .. ولكن غالباً هرباً من المسئولية .. وطمعاً فى مراكز أعلى (وهمية) فى أغلب الأحوال.

١١٦ – عبر حياة الإنسان على الكرة الأرضية .. وبالرغم من تواجد حماقات ومغامرات كثيرة خلال التاريخ .. الكل توفى .. ولكن دائماً الذى بقى لنا هو فقط (الرجل الأبيض ـ الرجل الأسود) الأمر الذى يزيد من تأكيد احتياجنا إلى هذا العلم .. لأسباب كثيرة أهمها .. تقليل العنف والاعتراف بالعدل.

السؤال هو .. هل جاء الوقت المناسب لبدء صفحة جديدة فى تاريخ العالم ..؟

١١٧ – هناك مثل يقول (من ليس له كبير يشترى له كبير) .. هذا باختصار ما يفعله هذا العلم .. فأنت سبب مشكلتك لأنك لا تعرف حقيقة مشكلتك ..

باختصار عزيزى القارىء .. من هو الشخص الذى تفضل (أن يكون قائدك) .. ؟ .. .. ما هى مواصفاته .. ؟ .. على سبيل المثال (بكرش ـ سمباتيك ـ له شارب كثيف .. إلخ ..) علم الأجناس يخلصك من هذه الحيرة وأن أفضل من يمثلك هو أحد

أفراد جنسك .. ثم تأتى بعد ذلك المفاضلة بين المرشحين فى (المعرفة ـ العطاء ـ الإمكانيات .. إلخ ..) علماً بأن مهمة (الكبير) ليست فقط أن يحضر لك حقك لكن أن يحاول أن يحافظ عليه أيضاً (طبعاً متزوج أيضاً من جنسك لينتج عائلة من جنسك وليس أجناس مختلفة بقدر الإمكان).

١١٨ - حتى لو حصلت على حقك حالياً (بدون كبير) .. فاحتمال أن تفقد حقك هذا .. والتاريخ لا يخفى على أحد.

١١٩ - يعطى فرصة للإنسان للربح من جهتين .. إحداهما دولته والأخرى جنسه.

١٢٠ - يمكن اعتبار هذا العلم تقريباً مخصص للشباب بالدرجة الأولى .. لأنهم أغلبية المتزوجين حديثاً .. والطامعين فى الحياة المستقرة .. إلخ ..

١٢١ - فى الدولة الواحدة .. أحياناً يتقابل أنصار الأديان المختلفة أو الطوائف المختلفة فى صراعات دموية ..

وبدعوى الوحدة الوطنية يتم المصالحة تحت ر.ية (العدو المشترك).

وأيضاً من الممكن أن تتم المصالحة بدعوى (علم الأجناس) تحت راية (الصديق المشترك).

١٢٢ - الحل الكامل دائماً يأتى من المصارحة .. أما ما عدا ذلك هو حلول مؤقتة.

١٢٣ - الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى له تاريخ .. فإذا لم يستفيد من تاريخه فلا يلوم إلا نفسه.

١٢٤ - تحديد الحصص (صناعى ـ زراعى ـ غابات ـ صحراء .. إلخ ..) لكل جنس لا يمكن الاتفاق على مكوناتها قبل الاتفاق على تقسيم الأجناس واختيار رئيس الجنس وأعداد الأجناس التى ستقسم عليهم الكرة الأرضية (٥ - ٦ - ٧) والعدد لكل جنس على حدة لأن الجنس الواحد سوف يحتوى على (أساسى ـ فرعى ـ ملحق .. إلخ ..) .. وطبعاً لكل منها عدد مختلف .. وهذا لن يتأتى إلا باتفاق السادة/ أولى الأمر .. وهذا طبعاً هو الذى سيتم عرضه على السادة / أولى الأمر لأخذ الرأى فيه من واقع دراسات الطلبة ومقترحاتهم .. بمعنى أن الدفعة الأولى سيكون عليها عبء عرض أعمالها على السادة / أولى الأمر لاتخاذ القرارات عن طريق مسئول علم الأجناس .. لأنه سيتم تأجير نماذج بشرية لدراستها (مظهرياً) لتأكيد المواصفات وهذا الأمر سيتكلف الكثير أو استخدام الطلبة (نماذج).

١٢٥ - أهم الأسباب التى تستوجب عزل الدولة التى يتم إنقاذها أولاً عن باقى الدول (ويتم اتصالها فقط بالدول التى يتم إنقاذها بعدها) هو ارتفاع عملتها (لانتظام أجهزتها) وهذا طبعاً يشجع (الانتهازيين) على تصرفات غير مسئولة تفسد التجربة.

١٢٦ - نصيحة مجانية من بعد كل ما سبق مازال (يستعبط) ويؤيد الحرية (الهيصة) .. أقول له .. الغابة (الحياة الحرة ١٠٠٪) لم تكن جميلة كما هو الحال فى أفلام (طرزان) ولكن الحرية ليست لك وحدك ولكن لكل المخلوقات بما تعادل حريتك.

ليس من الحرية كل الأعمال الضارة مثل (الزواج من أى جنس ـ ممارسة عمل بدون موافقة جنسك ـ الإنجاب بدون ضوابط وفقاً لتعليمات مسؤل الجنس .. إلخ ..).

وكل الباقى هو مسموح وبالتالى واضح أن مجال الحرية أكبر بكثير من الممنوع.

١٢٧ - ضمن مسئوليات رئيس الجنس .. إيجاد الوظائف لبنى جنسه وإذا لم تكن متوفرة فعليه تدبير إعانة بطالة.

١٢٨ - لابد من ابتكار جديد لواقعنا الحالى (لتصليحه).

١٢٩ - مما سبق واضح أن لهذا العلم فوائد عديدة .. كثيرة .. باختصار يمكن للإنسان فى كل مكان فى العالم أن يقول ملء فمه (أعطونى شعبى فأنا بدون شعبى لا أساوى شىء).

١٣٠ - فى الصفحات الأخيرة من الكتاب القادم سيتم ذكر أسماء السادة / أولى الأمر السباقين إلى دعم هذا العلم .. وأيضاً إضافات سيادتهم .. فكما ساهموا فى ميلاد العلم .. فإن العلم سيخلد سيادتكم .. على أنهم أول رعاه لهذا العمل التاريخى.

**فقرة موجهه إلى السادة / أولى الأمر (أصحاب الجلالة ـ أصحاب السمو ـ أصحاب المعالى ـ أصحاب الفخامة) :**

**بعد التحية ..**

١ – المعروض على سيادتكم هو مجرد علم الأجناس بصورته البدائية .. وعندما سيكون هناك خريجين سيكون عليهم طرح برامجهم على شعوبهم حتى يتفهمه الناس ويؤتى ثماره (يجب أن يراعى أن هذا العلم سيطبق على أحد الدول كتجربة .. وإذا ثبت جداوه بالطبع سيعمم .. وأنا أفضل أن تبدأ (مصر) فى تطبيق هذا العلم (لأن علم الأجناس وجد خطواته الأولى بها).

٢ – كل كتاباتى فى هذا المجال .. مجرد محاولة للإقناع ليس لها أى جدوى إلا إذا تم تأييدها من أغلبية السادة / أولى الأمر .. وبالتالى فإن الموضوع بأكمله رهن موافقة الأغلبية (فى حالة تنفيذ هذا العلم فى دولة أو أكثر يكون تأثيره محدود لأن النظام العالمى يكمل بعضه).

٣ – قد لا يلتفت البعض إلى أن الإنسان دائماً يقدم المدنية الحديثة لخدمة كبار السن.

**معلومة عامة :**

حياة الغابة لا يشعر كثير من الناس أن كل المتواجدين فيها (شباب وليس عجوز) فمصير العجوز فى الغابة هو الفناء .. لماذا .. ؟ .. لأن النظام فى الغابة يعتمد على مقولة شهيرة (البقاء للأصلح) وطبيعى أن القوى الشاب هو الأصلح وفقاً لمنطق القوة (لنعطى مثال على هذا (العصافير .. أرق سكان الغابة).

العصافير التى نراها حولنا .. نسمع أصواتها قبل الظلام مباشرة بغزارة .. والسبب فى ذلك يرجع إلى أنها تتعارك للوصول إلى الأفرع الطرية حتى لا يصل إليها الحيوانات المفترسة (العرسة) مثلاً ليلاً .. وطبيعى أن من يهزم هو العصفور العجوز .. فيضطر للابتعاد عن الأفرع الطرية ويكون وجبة شهية للحيوانات المفترسة ليلاً.

وبهذا يمكننا أن ننهى جزء من الدهشة التى تعلو الوجوه حيث أنه يطلق آلاف من الببغاء من أصحابها يومياً على مستوى العالم .. ولكن أحداً لا يعيش (لأنه فقد أحد مؤهلات الحياة البرية وهو الصراع من أجل الوصول إلى الأفرع الطرية).

دعونا نحن كبار السن (أغلبية السادة / أولى الأمر) أن نقدم خدمة واحدة خالصة لخدمة الشباب الذين يخدموننا .. وهو الاتفاق على تقسيمات نهائية فى (علم الأجناس) فمن الطبيعى أن الشباب هم الذين سوف يتزوجون .. حتى تذكرنا الأجيال القادمة فى هذا العمل التاريخى .. وخدمتنا لهم هو الإسراع بالتنفيذ (لإنقاذ ما يمكن إنقاذه).

٤ – ندرك أن الكثير من التعبيرات لا يمكن أن تدعم بالكامل إلا من خلال اتفاقية دولية وهذا يبدو غريباً للناس بقولهم (أليس العلم معصوم من الخطأ) .. لكن لن نجد اليقين إلا فى الدين فقط .. بمعنى أن العقيدة وحدها محصنة ضد الشك .. وإن كان بعض المؤمنين يقلقهم حقيقة أن لكل دين إجابات خاصة.

قد تكون الرياضيات من بين كل العلوم هى الاستثناء الوحيد الذى لا يدع مجال للشك إذا كانت النتائج الرياضية مضبوطة للحد الذى يستحيل أن نجده فى أى قانون تجريبى آخر .. فقد اكتشف الفلاسفة أنهم ليسوا بلا نظير وأنهم إنما يكررون المعانى بغير ما ضرورة.

## معلومة عامة :

– علم الرياضيات يعتمد على الاتفاق (المتر ١٠٠ سم) هذا اتفاق وليس واقع فمن الممكن أن يكون مثلاً (القدم ١٢ بوصة) .. وسبب هذا الاتفاق هو السهولة فى الاستعمال (اعتبار السهولة فى الاستعمال هو الهدف هذه المرة مع استخدام أسهل الطرق).

– هذا هو المطلوب (الاتفاق) فيما يخص علم الأجناس.

٥ – أهم محتويات هذا الكتاب هو اقتراح (تقسيم الأجناس) والذى إذا سيادتكم لم تصل إلى اتفاق نهائى .. فإن مشروع إصلاح العالم (سلمياً) بالكامل سيتحطم ويكون أى حلول أخرى فيها الكثير من العنف (هذا من وجهة نظرى) .. وأعتقد أن الحل السلمى دائماً هو أفضل الحلول (لذلك أفضل من السادة / أولى الأمر .. المزيد من الاهتمام بهذا العلم).

٦ – الحرب والسلام كلاهما أبناء شرعيين للعلم .. وهذه فرصة جيدة للسادة / أولى الأمر لاختيار الإبن الشرعى الذى يحكمنا.

٧ – المادة العلمية أدبى .. وليست علمى .. وبالتالى فهى مطاطة وقابلة للتشكيل وفقاً للأهواء .. ولا يخفى على أحد أن هناك أغراض خفية كثيرة .. بناء على ذلك يجب وضع النقاط على الحروف .. باتفاق السادة / أولى الأمر .. قبل بدأ الدراسة.

٨ – فى القياس البعض يستخدم المتر والبعض يستخدم القدم .. ليس هنا مجال شرح الأخطاء والمشاكل التى تنجم عن هذا الاختلاف .. لكن بالنسبة لعلم الأجناس فإن ضرره يكون أكبر من نفعه فى حالة الاختلاف فى الأجناس (وهو الواقع الذى نعيشه حالياً) .. وهذا هو أهم المطلوب من السادة / أولى الأمر (الاتفاق).

٩ – اختلاف الكبار هو جنة الصغار .. والسبب الأول لتعاسة الشعوب.

١٠ – يتشكل الخريجين من كل النوعيات (أطباء للفرز – مدرسين للتدريس – سياسيين .. إلخ ..) لتوفير الدعم للسادة / المسؤلين فى كافة المستويات .. وعلى سيادتكم عبء اختيار من ترشحونهم للدراسة فى الدفعة الأولى وما يليها.

١١ - باختصار شديد أنا لا أتبع أحداً .. لكن أعتقد فى فائدة علم الأجناس .. فإذا كنت سيادتكم من جنسى .. فلا يمكن أن تمثل جنسك .. لسبب بسيط هو أنك إلى هذه اللحظة لا تعرف اسم جنسك (أو على الأقل هو اسم محلى وليس دولى) .. فما بالنا لمن هو من جنس آخر.

١٢ - إذا تمت الخطوة الأولى فى بناء علم الأجناس .. فإن ذلك يعطى القيادات الحالية تصريح مؤقت للقيادة على مستوى العالم .. لحين أن يتسلم كل ذى حقاً حقه (حتى لا ينفرط العقد) (ويصيب الإنسان أضرار أكبر مما هو فيها الآن).

١٣ - أسطورة يونانية قديمة تقول :

الشمس والهواء اختلفا على من يستطيع إجبار الإنسان على نزع ملابسه .. فتقدم الهواء .. وكلما كان يزيد من سرعة الرياح .. كلما كان الإنسان يتمسك أكثر بملابسه وبالتالى فشلت المحاولة.

تقدمت الشمس زادت من حرارتها قليلاً .. فقام الإنسان بخلع ملابسه طواعية.

هذه الأسطورة تقول .. أن ما لا يمكن الحصول عليه بواسطة العنف والقتال .. فمن الممكن أن يتم الحصول عليه بواسطة استخدام التفاوض والعقل.

بالاستعانة بالعلم يمكن خلع الأفكار القديمة .. لأن هناك علم جديد جدير بالاهتمام بأن يوضع فى الاعتبار.

١٤ - العلم ينفق على نفسه .. وما على سيادتكم إلا ترشيح الدفعة الأولى التى ترونها مناسبة لخدمة سيادتكم (كل فروع العلم مخصصة لخدمة الإنسان ممثلاً فى السادة/ أولى الأمر) .. (سيتم بالطبع إرسال كافة المشتملات إلى سيادتكم فيما بعد للإعلان عنها طرف سيادتكم) (معروف أن السيد / ولى الأمر يتولى الإنفاق على من يرشحهم من ذوى الإمكانيات المحدودة .. سواء من ماله الخاص أو من مؤسسات دولته) علماً بأنه من الممكن أن يكون التدريس بالمراسلة.

إلا أنه للصرف على الأعمال الدائمة يفضل فى هذه الحالة الاتفاق على دفع حصة (مبلغ يدفع مرة واحدة سنوياً).

على أن يكون هذا المبلغ من أموال السيد / رئيس الدولة شخصياً للأسباب الآتية على سبيل المثال (سيادته أفضل من يهتم بشئون دولته (إن لم يكن فهذه مشكلة شعبه فقط وليس لأحد تدخل فيها إلا إذا كان يصاب بضرر مباشر أو غير مباشر) - تجنب التدخلات البيروقراطية - سرعة التعامل - ضرورة توفير المستوى اللائق - رعاية العلم مهمة قديمة للسادة أولى الأمر .. إلخ ..).

١٥ - كل ما أعرضه على سيادة / أولى الأمر هو مجرد اقتراحات (عدا السهو أو الخطأ) وقرار الأغلبية من سيادتكم هو الفيصل فى كافة الأمور.

١٦ - باختصار كل كلام الناس صحيح .. وأيضاً كل كلام السادة / أولى الأمر صحيح (الخطأ يكمن فى طريقة العلاج).

الناس يقولون باختصار (هناك فساد على مستوى الدولة وأيضاً على مستوى العالم) وهذا يدل على عدم مقدرتهم على تحديد المسؤل شخصياً أو عن طريق المؤسسات المطروحة.. لكن فى نفس الوقت لا ينفى وجود الفساد.

السادة / أولى الأمر يقولون أنه يترك الحرية .. وهذا صحيح أيضاً .. لكنه يترك الحرية ولكن ليس عن علم بمعنى أن الحرية لا تعطى لمن يستحقها (من يمثل تمثيل صادق لمجموعة من الناس) ..

كما أنه أيضاً يهمهما ألا ينفرط العقد فتكون المصيبة أكثر مما هى الآن بسبب جهل المواطن بجنسه (علم الأجناس هو الحل فى هذه المشكلة).

١٧ - ينبغى أن أذكر سيادتكم أن مجرد تقسيم الإنسان إلى أجناس داخل الدولة وبدون أى إضافات أخرى .. يخلص الدولة من ٥٠٪ من المشاكل الحالية على الأقل وذلك يرجع بالطبع إلى تنقية الإدارة وأن الكل سوف يصبح حريص على حصته (لأن المراقبة سوف تصبح شعبية وليس حكومية .. وهى أفضل أنواع المراقبة كما أن هناك جمعية (من ابتكارى) سيتم عرضها لأخذ الاستفتاء عليها وتحسينها .. إلخ .. وسيتم تجربتها عند تنفيذ علم الأجناس فى (مصر) وبالطبع سيكون لها فوائد عديدة.

## المطلـوب

الاستجابة لمحتويات هذا الكتاب لتفعيل (علم الأجناس) لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،

**مقدمه لسيادتكم**

**مجدى الرافعى محمد سعيد**

**العنوان : ١٦ شارع خاطر ـ التعاون ـ فيصل**

**الجيزة ـ ج.م.ع**

**رقم بريدى : ١٢١١١**

**ت : ٠١٢٧٩٧٥٨١٤**

**تحريراً فى ٢٠٠٨/١/١.**

**باختصار .. الحل الأمثل المقترح على السادة / أولى الأمر :**

١ - الموافقة على استمرار الحلول العشوائية وفقاً لمقدرة الجهود المبذولة حالياً من طرف القيادة المحلية والدولية (حتى لا ينفرط العقد وتكون معاناة الشعوب أكثر من ذلك بكثير).

٢ - علم الأجناس يحتاج على الأقل ٤ سنوات من تخريج الدفعات (بفرض تذليل كل العقبات) .. لتصحيح العلم .. على أيدى الخريجين فى مشروعات تخرجهم حتى تقترب النتائج من النسب ١٠٠٪ (الكمال لله).

٣ - الموافقة على إعطاء الحق بتنظيم وإدارة شئون كل جنس على حدة فيما يخصه وما يراه مناسباً وبعد الحصول على الموافقة .. بعد تنفيذ التقسيم.

٤ - الموافقة على إجراء عملية تجريبية فى التنفيذ الفعلى لعلم الأجناس على أى دولة ولتكن (مصر) على أساس أن الخطوات الأولى كانت بها .. للتأكد من النتائج (التنفيذ العملى يحتاج ٣ سنوات أخرى على الأقل (لأنه سيتم على أجزاء متتابعة داخل الدولة).

٥ - مجرد تقسيم الإنسان إلى أجناس سيحل ٥٠٪ من المشاكل على الأقل لما يلى (تطهير الإدارة فيصبح الكل حريص على حصته ـ تصبح الرقابة شعبية وليس حكومية وهى أفضل أنواع الرقابة). هناك جمعية مقترحة من أعمالى ستكون لها فائدة عظيمة (ستقدم للاستفتاء) .. إلخ ..).

٦ - لا خوف من أى نتائج خاطئة فى التنفيذ .. لأنه يمكن للأجيال القادمة الإصلاح كما نفعل نحن الآن فى أخطاء الماضى .. ولن يكون خطأ أكثر مما نحن فيه الآن.

٧ - المجال مفتوح للاقتراحات والاعتراضات البناءة .. على أن يعرض على السادة / أولى الأمر تمهيداً لأخذ الموافقة عليه (بالأغلبية) (إذا كانت اعتراضات أساسية) (كما أن العلم سيتم فيه الكثير من التغيير والإصلاحات أثناء الدراسة بواسطة الطلبة .. ويفضل عدم إضاعة المزيد من الوقت وإعطاء الطلبة الفرصة لاقتراحات التغيير).

٨ - الموافقة على عمل اتفاقية دولية لتأمين (الدولة أو الدول) التى يتم إنقاذها أولاً حتى لا تتعرض إلى التلوث (على اعتبار الأخطاء الحالية فى العالم تسمى (تلوث) .. وأن مجرد هبوط اضطرارى لطائرة فى أراضيها جدير بالمسائلة).

٩ - أسماء الأجناس الواردة بالكتاب هى (استرشادية) ويمكن الاتفاق على أسماء أخرى لتجنب الازدواج .. وأيضاً للاتفاق على أسماء دولية (مع تحديد اللغة التى تكتب بها وتنطق بها .. وليس أسماء محلية).

١٠ - الموافقة على عمل مسابقة دولية لتقسيم الأجناس (إذا لم يتم الموافقة على التقسيم المقترح الذى أعرضه على سيادتكم) .. مع ترشيح المؤهلات الفنية (يفضل دكتور أمراض جلدية ـ باحث فى علم الأجناس) لمن يسمح له بالدخول فى هذه المسابقة

(حتى يكون الأمر بضوابط) يفوز فيها التقسيم الذى يحظى رضاء أغلبية السادة / أولى الأمر .. وذلك حتى يمكننى تدريس هذا الاتفاق على الطلاب (رجال المستقبل) .. لتغيير المقولة المعروفة عن العالم الذى نعيش فيه من (الاحترام للقوة بكافة أشكالها) إلى (الاحترام للعلم بكافة أشكاله).

١١ - الموافقة على عمل مسابقة دولية .. لعمل جهاز لقياس درجة اللون الإنسانى (الجلد - الشعر .. إلخ ..) يفوز بها من يحصل على موافقة أغلبية السادة / أولى الأمر.

١٢ - الموافقة على عمل مسابقة دولية بكافة أنواع الفنون (غنائية - أكروبات - موسيقية .. إلخ ..) يتم فيها الحفاظ على الموسيقى الشعبية (للحفاظ على النكهة المميزة) لمختلف الثقافات .. أما الكلمات فيتم محاولة الحفاظ على معانيها بقدر الإمكان .. على أن تطرح الأعمال كلها باللغة الإنجليزية (حتى يفهم الكل بعضه بعضا أو على الأقل تتحسن لغته) وأن يقوم على رعايتها السادة / السفراء داخل (مصر) وأن يتم تقسيم العمل بينهم بمعرفة المسئول عن علم الأجناس بحيث يتولى منهم شخص لكل مجموعة متوافقة فنياً (موسيقى شرقى - موسيقى غربى .. إلخ ..) على أن يقدم هذا الحفل سنوياً ويذاع على أن يراه الجمهور فى وقتها عبر أجهزة التليفزيون وأن يكون إيرادها عند تسويقها فى كل أنحاء العالم .. إن وجد .لدعم الإنفاق على (علم الأجناس) .. على أن يكون مقر التنفيذ هو مصر لمن يريد الرؤيا المباشرة (أو من يقبل أن يشرفنا من السادة / أولى الأمر (إذا ساعدته الظروف) وأن يدعى إليها السادة / السفراء المتواجدين فى (مصر) (احتفالاً ببدء دراسة علم الأجناس .. وبدء جيل جديد من الفن الدولى).

هذا الحفل سيكون مفيداً فى تعبئة الرأى العام فى العالم بخصوص علم الأجناس وتحديد الدول التالية فى جدول تنفيذ علم الأجناس .. حتى لا يستغرق معرفة المواطن العادى (الذى يجب أن يعرف وأن يفهم) بعلم الأجناس الأمر الذى يعجل بالتنفيذ لفائدة الكل (حتى لا يحدث تأخير (٢٠ عام) كما حدث فى (مصر)) .. صحيح أنها طريقة غريبة للإعلان عن (علم) .. لكن .. هذا أقل ما ينبغى لأن المهم هو تعميم المعرفة وأن تصل إلى المواطن العادى باستخدام كافة وسائل الإعلام.

معروف أن المواطن العادى لا يعرف أشياء كثيرة مثل (اليمين السياسى - اليسار السياسى - المذهب الذى تزوج عليه - زيادة معدلات النمو الاقتصادى .. إلخ ..) ولكن يجب أن يعلم المواطن العادى بفائدة علم الأجناس بكافة الطرق لأنه ممارسة يومية بالنسبة له .. والحل الأمثل المطروح لحل مشاكله العديدة فى كافة المجالات .. كما أن المغريات كثيرة بالرجوع إلى نظام (الهيصة) .. الذى نعانى من مشاكله حالياً .. إلخ) .. كما أن الإنسان (المتردد) لديه قابلية لتقبل (الهيصة) حتى بعد شرح كل هذه المشاكل باتخاذ الطريق الأسهل علماً بأن الله لا يغير ما بالإنسان حتى يغير الإنسان نفسه.

ويفضل أن يخطرنا السيد / ولى الأمر الذى قد يمكنه الحضور حتى نتمكن من تجهيز فقرة خاصة بسيادته (أغنية من بلده ـ رقصة شعبية .. إلخ ..) ويفضل أن يكون البرنامج بكامله من بلده.

١٣ – الموافقة على عمل مسابقة دولية فى كل ما يتفق عليه (الأغلبية) كأعمال مكملة وما يستجد.

١٤ – الموافقة على عمل مكتب على أن تكون المراسلات أساس التعامل بدلاً من اللقاء الشخصى للأسباب التالية على سبيل المثال (الوصول إلى نتائج أكثر سرعة ـ توفير النفقات ـ الأمن ـ توفير المستندات للأطراف المتعاملة .. إلخ ..) علماً بأن هذا المكتب سيكون مفتوحاً لكل الاستشارات شخصياً وبالمراسلة.

١٥ – الموافقة على عمل قانون بعزل الدولة أو الدول التى يتم إنقاذها أولاً للأسباب الآتية على سبيل المثال :

- ارتفاع (العملة) مما قد يتسبب فى تدخلات المفسدين مما قد يؤثر على نجاح التجربة.
- وضع صعوبة فى هروب أحد بأموال قومه .. مما يفسد التجربة أيضاً.
- عدم السماح لأية وسيلة أخرى إصلاحية للتنفيذ مع علم الأجناس .. حتى لا تتشابك النتائج .. على الأقل فى بادىء الأمر.
- اعتبار أن مجرد هبوط اضطرارى للطائرة ... يستوجب المساءلة.

١٦ – أحيط سيادتكم علماً بأن عملى هذا يشرفنى ولكنه لا يليق بمقام سيادتكم كما أن سيادتكم ليس لديكم الوقت الكافى كما أنه من الصعب توافر مختصين فى هذا المجال طرفكم لأنه مجال حديث لأنه عمل فردى متواضع (مثل بداية علم الحساب (١ + ١ = ٢) وبناء على ذلك أطلب الموافقة على أن يطرح العلم بصورته الحالية بما فيها من أخطاء وصواب على السادة / الطلاب .. والنظام العلمى كفيل ليحصل كل ذى حقاً على حقه فى تصويب هذا العلم (تعلمون سيادتكم أنه لو كانت كل العلوم كاملة لتم تحويل الجامعات إلى مدارس والاكتفاء بالتلقين).

ومن الطبيعى أن الطلاب يمثلون كافة الأجناس .. أما الأفكار فمجالها خارج نطاق علم الأجناس (لا مجال للسماح بأى أفكار متداولة حالياً فى العالم لكى تطرح فى علم الأجناس).

أما إذا كان هناك مقترحات بتحديد أعداد الطلاب فى كل جنس ..فأمر يمكن طرحه لأخذ الرأى بشأنه.

النهاية هم يصلحون العلم عن أجل مستقبلهم هم (رجال المستقبل) .. وطبعاً هذا يمكننى من تقديم مقترح شبه متكامل لأخذ الموافقة عليه بالأغلبية من سيادتكم (بعد إجراء ما ترونه سيادتكم من تعديلات) .. وذلك بعد الاستفادة من الآراء الحديثة المختلفة من كافة دول العالم (السادة / الطلاب).

## اختبار آخر العام .. موجه إلى السادة / الطلاب

١ - واضح الفائدة التى يقدمها علم الأجناس فى كل المجالات .. والمطلوب من سيادتكم تقديم المزيد من التفاصيل لتفعيل هذا العلم فى مجال سيادتكم (طب - هندسة - كمياء .. إلخ ..) فى رسالة التخرج.

وبناء على أعمالكم سيتم تقديم الكتاب القادم واختيار المعيدين .. إلخ ..

٢ - من يستطيع أن يدمج أكثر من تخصص من العلوم بالتعاون مع زملائه يكون تقديره أكثر قيمة بالطبع (على أن يكتب أسماء المشتركين فى البحث المقدم والجزئية الخاصة به حتى يمكن المفاضلة بينهم).

٣ - من يستطيع تقديم المزيد من الاستفتاءات المطلوبة من السادة / أولى الأمر .. فليقدمها مكتوبة حتى يمكننى إعادة صياغتها وعرضها على السادة / أولى الأمر .. إذا ثبت جدواها فى مجالنا .. للحصول على الرأى بشأنها.

٤ - اكتب عن أى أخطاء تم اكتشافها فى هذا الكتاب وقدم مقترحاتك بما تراه أفضل (أستعين بما تشاء من المراجع لكن ينبغى ذكرها) واذكر مبتكراتك الشخصية.

٥ - واضح أن الكرة الأرضية (ولادة) تنتج لنا على الأقل ٢٠٠ مليون جاهل سنوياً (بما يعادل دولتين سنوياً تحتاج إلى كل الخدمات (مواصلات - تعليم - زراعة .. إلخ ..) وعلى السادة / أولى الأمر مسئولية احتياجاتهم جيل بعد جيل (مسئولية متجددة) .. اكتب فى موضوع يتجنب الكثير من احتمالات الحماقات السابقة عن هذا العلم (حروب وهمية للخلاص من زيادة سكانية - زيادة سكانية تتسبب فى حرب مع جيران هذه الدولة - أفكار ناقصة تؤدى أيضاً ألى حروب .. إلخ ..).

## خير الكلام ما قل ودل

١ - علماً بأن كل ما يكتب يجب أن يتوافر فيه صفة إمكانية إقناع الأغلبية من سكان الدولة التى ينتمى إليها .. ليحصل على صك التنفيذ العملى (أو بمعنى أصح تجنب الكتابات النظرية).

٢ - الامتحان باللغة الإنجليزية فقط إلى أن يتم الاتفاق على غير ذلك.

٣ - ما سبق كان الاختبار العملى .. أما الاختبار النظرى فسيحدد فيما بعد.

**أهم اشتراطات قبول الطلبة فى هذا التخصص :**

١ - باحث فى مجال علم الأجناس .. يقبل التعاون.

٢ - خريج مارس العمل فى مجال اختصاصه على الأقل ١٠ سنوات (عندما يتم استيعاب الخريجين القدامى .. سيتم فتح الباب للخريجين الجدد) .. مع إحضار شهادة معتمدة من سفارة دولته.

٣ - ترشيح من رئيس دولته .. أو إحدى مؤسسات دولته.

٤ - إجادة اللغة الإنجليزية.

٥ - يفضل من لديه آراء مفيدة فى علم الأجناس فى مجاله وهذا سيظهر فى كشف الهيئة.

٦ - دفع المصاريف.

٧ - أن يكون متزوجاً (بالمثيل) .. على الأقل ..

## اقتراح بتقسيم الأجناس
## طريقة مقترحة تساعد فى اختيار الأسماء المختلفة للأجناس

يفضل أن يكون الأسماء لكل جنس واحد .. أن تكون نهايتها مشتركة لأسباب عديدة أهمها :

١ - معرفة الجنس التابع بمجرد نطق أو قراءة الاسم (يفيد فى الاستدلال فى حالة عدم وضوح اللون (بسبب التعرض للشمس مثلاً ـ كبر السن وأبيض لون الشعر ـ استخدام صبغات .. إلخ ..).

٢ - تسهيل أعمال التصنيف الإدارية.

**مثال**

| الجنس الأبيض | الجنس الأصفر الأبيض | الجنس الأصفر الأسود | الجنس الأسود |
|---|---|---|---|
| راك | جان | سار | ماس |
| سراك | بوجان | ماسار | باماس |
| براك | سوجان | فاسار | ساماس |
| تراك | روجان | روسار | فاماس |

من الممكن أن يكون وفقاً لما سبق صاحب الشعر الأحمر ربراك والأسود بيراك والأبيض وتراك .. إلخ ..

ويكون الجنس المختلط له اسم واحد للكل وليكن رقم (A ٢)، (B ٢) (للأبيض والأسود على التوالى).

**مثال**

| جنس أبيض مختلط | جنس أبيض أصفر مختلط | جنس أسود أصفر مختلط | جنس أسود مختلط |
|---|---|---|---|
| راك A ٢ | جان A ٢ | سار B ٢ | ماس B ٢ |
| سراك A ٢ | بوجان A ٢ | ماسار B ٢ | باماس B ٢ |
| براك A ٢ | سوجان A ٢ | فاسار B ٢ | ساماس B ٢ |
| تراك A ٢ | روجان A ٢ | روسار B ٢ | فاماس B ٢ |

يساعدنا فى ذلك اخصائيو النطق لاختيار أسماء أكثر سهولة ومميزة وعموماً أى شىء قبل اعتماده لابد من أخذ موافقة الأغلبية عليه وبالتالى تكون هناك حرية فى الاقتراحات من الجميع ولكن الذى سيثبت هو ما يتم أخذ موافقة الأغلبية عليه .

ملحوظة يتم اختيار الأسماء غير مهينة (مهذبة) مثل (كلب ـ حمار .. إلخ ..) وباللغة الإنجليزية إلى أن يتفق على غير ذلك.

## (اقتراح) جدول لتقسيم الأجناس

| جنس أساسى | جنس مختلط (MA) | | جنس مختلط (MB) | |
|---|---|---|---|---|
| جلد أبيض (SW) | جلد أصفر أبيض (SyW) | جلد أصفر أسود (SyB) | جلد أسود (SB) | |
| درجات - ١ | - | - | - | - |
| - ٢ | - | - | - | - |
| - ٣ | - | - | - | - |
| - ٤ | - | - | - | - |

| قامة طويلة | قامة متوسطة | قامة قصيرة |
|---|---|---|
| (LT) | (LM) | (LS) |

| شعر مستقيم | ألوان | شعر مموج | | شعر مفلفل | |
|---|---|---|---|---|---|
| (HS) | - اسود B | (HW) | - | (HP) | - |
| | - أصفر Y | | - | | - |
| | - أحمر R | | - | | - |
| | - بنـــى P | | - | | - |

| عيون زرقاء | عيون خضراء | عيون سوداء .. إلخ .. |
|---|---|---|
| (eP) | (eg) | (eB) |

**مثال لما سبق :**

- أبيض من أصول بيضاء مختلط ـ درجة أولى ـ طول طويل ـ شعر مستقيم أحمر ـ عيون زرقاء فيكون رمزه MA / SW1 / LT / HSR / eP

- أسود أساسى ـ درجة أولى ـ طول متوسط ـ شعر مفلفل أسود ـ عيون سوداء فيكون رمزه SB1 / LM / HPB / eB

- أبيض من أصول سوداء مختلط ـ درجة أولى ـ طول متوسط ـ شعر مستقيم بنى ـ عيون خضراء فيكون رمزه MB / SW1 / LM / HSP / eg

- أصفر أبيض من أصول سوداء مختلط ـ درجة ثانية ـ طول متوسط ـ شعر مستقيم أسود ـ عيون سوداء فيكون رمزه MB / SYW2 / LM / HSB / eB

- أصفر أسود من أصول بيضاء مختلط ـ درجة أولى ـ طول متوسط ـ شعر مستقيم أسود ـ عيون سوداء فيكون رمزه MB / SYBI / LM / HSB / eB
- أصفر أبيض أساسى درجة أولى ـ طول طويل ـ شعر مستقيم أسود ـ عيون سوداء فيكون رمزه SYWI / LT / HSB / eB

## تفسير الجدول :

١ – واضح أن هذا التقسيمات تشمل كل الأجناس (جنس أساسى ـ جنس مختلط (MA) ـ جنس مختلط (MB)).

٢ – ما سبق هو الجدول المقترح لتقسيم الأجناس (لا ينقصه سوى تحديد الألوان والأطوال بدقة سواء عن طريق الرؤيا أو بواسطة أجهزة (إن وجد) ـ تقديم الاقتراحات من سيادتكم ـ وأخيراً قبول الأغلبية من سيادتكم).

٣ – الجنس المختلط (MB - MA) هو يمثل الزواج المختلط ونسله (لن نندهش إذا ثبت بالاحصاء فيما بعد أن معظم سكان العالم مختلط) .. نتيجة طبيعية لعدم تواجد هذا العلم .. وبناء على ما سبق يمكن اعتبار أى شخص مجهول الهوية (مختلط) وفقاً لأغلبية المختلط حوله.

- الجنس المختلط (MA) هو الزواج بين اثنين من جنس واحد مختلفين (شعر أصفر ـ شعر أسود) ونسلهم (شعر أصفر ـ شعر أصفر .. أحدهما أو كلاهما من سلالة مختلطة).
- الجنس المختلط (MB) هو الزواج من اثنين من جنسين مختلفين (جلد أبيض ـ جلد أسود) ونسلهم (جلد أبيض ـ جلد أبيض .. أحدهما أو كلاهما من سلالة سوداء). وأيضاً (جلد أسود ـ جلد أسود .. أحدهما أو كلاهما من سلالة بيضاء) ونفس الشىء ينطبق على الجنس الأصفر (أبيض ـ أسود).

عموماً .. يحصل التقسيم المختلط على حرف (M) أما التقسيم الأساسى فليس له حرف.

لمزيد من التوضيح.

جنس مختلط MA يشمل على سبيل المثال (أبيض فاتح ـ أبيض غامق) (أسود فاتح ـ أسود غامق) (أصفر فاتح ـ أصفر غامق).

جنس مختلط MB يشمل على سبيل المثال (جلد أبيض ـ جلد أسود) (جلد أبيض ـ جلد أصفر) (جلد أصفر ـ جلد أسود) .

باستمرار  تنقية السلالات (بالزواج بالمثيل) تصل إلى جيل (سلالة نقية) وبالتالى يلغى الحرف (MB - MA) وذلك بعد ثبوت عدم ظهور سلالات مخالفة فى عدة أجيال متوالية .. يتم الاتفاق عليها فيما بعد.

ملحوظة .. يوجد دائماً لقطاء .. وبالتالى أعتقد أن إمكانية الوصول إلى سلالة نقية ١٠٠٪ وإلغاء الحرف (MB - MA) إلى الأبد أمر صعب (لأن اللقيط لابد من اعتباره جنس مختلط لعدم معرفة الأصل).

٤ - يقوم كل من السادة / أولى الأمر المشتركين فى صفة مشتركة باقتراح الاسم الذى يتم الاتفاق عليه على أن يكون باللغة الإنجليزية (نطقاً وهجاء) .. بدون حوافظه .. وبعد مناقشة السادة / أولى الأمر المشتركين فى الصفة .. وعرضه على مسئول علم الأجناس .. تمهيداً لاعتماده بعد  ثبوت (عدم الازدواج - المعنى المفيد باللغة الإنجليزية.. إلخ ..) وبعد إيجاد الأفضلية وفقاً للاختيارات المختلفة .. يتم الاعتماد بأخذ الأصوات بالأغلبية ويفضل :

- تجربة هذه الحروف المقترحة فى الجدول على جنس السيد / ولى الأمر والسادة المشتركين معه فى الاقتراحات.

للوصول إلى نتيجة شبه عملية للتعديل اللازم فى هذه الحروف والأسماء مع إبراز الأسباب (ازدواج - صعوبة نطق .. إلخ ..).

- فى حالة ثبوت عدم تواجد بعض الأجناس فى السادة / أولى الأمر (يمكن فى استفتاء آخر ترشيح من يمثلون الأجناس من الحاشية (إن لم يوجد يفضل تعيين أعضاء جدد حتى يكون الشعب ممثلاً تمثيلاً كاملاً فى القيادة).

ملحوظة .. يفضل ثبوت عدم تواجد الجنس فى القيادة فى كل دول العالم .. عدا الدول التى تتميز بالأغلبية الكاسحة مثل (الصين - أفريقيا) .. بالاستفسار من المسئول عن علم الأجناس حتى يتم الاتفاق على تعيين أعضاء جدد .. وهذا (أمر نادر) .. للقيام بالمهمة ..

٥ - نبدأ فى عمل جهاز لتنقية السلالات .. من مختلط إلى أساسى فى الدولة أو الدول التى يتم إنقاذها أولاً .. لإلغاء حرف (MB - MA).

المهمة المبدئية لجهاز تنقية السلالات :

- مناقشة تفاصيل الأمور المتعلقة بتنقية السلالات.

- يعمل على زواج المثيل.

- النسل هو الذى يمكن إصلاحه.

- بعد أن يتم ذلك يكون مهمة الجهاز هو الحفاظ على المكاسب التى تحققت.

٦ - الموضوع يهم السادة / أولى الأمر بالدرجة الأولى .. ولذلك هم أولى بالاشتراك فى الاقتراح والتعديل .. وإذا لم يتم الموافقة على الجدول المقترح المرفق .. فليس هناك من بديل عن المسابقة الدولية .. وهى أيضاً بمشاركة السادة / أولى الأمر.

٧ - الرمز يؤكد الصفة (حتى لا تتأثر المعاملات بالمظهر الخادع) لكن يصعب استخدامه فى الحياة العادية .. ولذلك يلزم اختيار الأسماء والاتفاق عليها .. واعتقد أن كلاهما (الرمز ـ الاسم) سيسجلان فى بطاقة المواطن للتأكيد.

٨ - بهذا التقسيم يتجمع الإنسان فى أربع مجموعات رئيسية هى (جلد أبيض ـ جلد أصفر أبيض ـ جلد أصفر أسود ـ جلد أسود).

٩ - فى حالة وجود صفة منسية .. إلخ .. لها أهمية فى تقسيم الأجناس .. يفضل التذكرة بها لتقديمها فى استفتاء قادم.

١٠ - طبعاً واضح أن حفظ هذه التقسيمات غير مطلوب حالياً (لحين الاتفاق على تقسيمات نهائية) .. وطبعاً التعليم والممارسة سيكون له دور جيد فى هذا المجال.

١١ - طبيعى من سيكون له مشاركة (ولو بسيطة) سيتم ذكر ذلك فى الكتاب القادم .. فهذا عمل تاريخى.

١٢ - فى حالة رضاء سيادتكم عن هذا الجدول المقترح لتقسيم الأجناس مبدئياً وقبول تقديم المقترحات لتحسينه.. أعتقد أنى استحق الحصول على المكافأة التى تقررونها سيادتكم فى الاستفتاء وأعتقد أنى استحقها لأن وفقنى الله فى إرضاء سيادتكم جميعاً بالرغم من اختلافات سيادتكم (الطبيعية) (أنا فى هذا العلم لا أتحدث عن اختلافات (مبادىء) ولكن الاختلافات الطبيعية فقط (وفقاً لخلقه الله)).

**بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين**

## الاستفتــــاء (١)

## بشأن (علم الأجناس بمعنى رجل أبيض ـ رجل أسود)

| البيـــان | موافق | غير موافق |
|---|---|---|
| ١ - أوافق على اختيار السيد / مجدى الرافعى محمد سعيد.. مسئول عن علم الأجناس.. وتولى كل ما يخص شئونه. | | |
| ٢ - أوافق على اختيار السيد / .. مسئول عن علم الأجناس .. وتولى كل شئونه. | | |
| ٣ - أوافق أن يكون مرتب المسئول عن علم الأجناس هو ١٠٠٠٠٠ مائة ألف دولار أمريكى شهرياً وأن يتولى تعيين باقى الطاقم الإدارى والفنى وتولى كل شئونهم وتحديد مرتباتهم .. إلخ .. | | |
| ٤ - أوافق أن يكون مرتب المسئول عن علم الأجناس هو .. شهرياً وأن يتولى تعيين باقى الطاقم الإدارى والفنى .. وتولى كل شئونهم وتحديد مرتباتهم .. إلخ .. | | |
| ٥ - أوافق على توزيع مكافأة وحوافز سنوية بمقدار ١ / ٢ مرتب عام مقابل الامتياز .. بما فيهم المسؤل عن علم الأجناس. | | |
| ٦ - أوافق على توزيع مكافأة وحوافز سنوية بمقدار (      ) مرتب عام مقابل الامتياز .. بما فيهم المسؤل عن علم الأجناس. | | |
| ٧ - أوافق على أن يتم تدريس علم الأجناس باللغة الإنجليزية وأن يتضمن : المنهج (حقوق الإنسان ـ التربية الدولية ـ الاقتصاد الدولى ـ القانون الدولى) باللغة الإنجليزية أيضاً. | | |
| ٨ - أوافق على أن يتم تدريس علم الأجناس باللغة (      ) وأن يتضمن المنهج (      ) باللغة (      ). | | |
| ٩ - أوافق على تفويض السيد / المسؤل عن علم الأجناس فى شراء مقر مسكن ومقر إدارى فى (مصر) فى حدود مبلغ ١٠ عشرة ملايين دولار أمريكى (حتى يليق بمقام سيادتكم) (٥ مليون لكل مقر) على أن يكون مقر دائم للمسؤل عن علم الأجناس وأن | | |

اسم الدولة          اسم رئيس الدولة          التاريخ   /   /

البيـــان　　　　　　　　　　　　　　　موافق　غير موافق

يملك وأن يحكم إلى أن يتم إعفاؤه من منصبه أو الوفاة .. ويكون المقر المسكن فقط ملكاً له يورثه لورثته.

١٠ - أوافق على تفويض السيد / .. فى شراء مقر (　　) ومقر (　　) فى حدود مبلغ (　　) على أن يكون.

١١ - أوافق على قانون دولى لحماية الدولة أو الدول التى يتم إنقاذها أولاً .. لحمايتها من التلوث .. على اعتبار (إعطاء اسم للمتواجد حالياً فى العالم (التلوث)) (واعتبار أن مجرد هبوط اضطرارى لطائرة فى دولة تم تنفيذ علم الأجناس بها خطأ يوجب المسألة (سيتم تحضير قانون بهذا المعنى إذا تمت الموافقة ..) وعرضه فى استفتاء قادم.

١٢ - أوافق على.

١٣ - أوافق على وضع قوانين خاصة للتعامل بخصوص علم الأجناس لأن قوانين مصر لا تصلح لأن العملاء المتعاملين فى هذا المجال ذوى نوعية خاصة / (أولى أمر) (سنتم طرح المشاكل أولاً بأول لأخذ الرأى بشأنها).

١٤ - أوافق على وضع قوانين خاصة للتعامل بخصوص علم الأجناس لأن قوانين مصر لاتصلح لأن العملاء المتعاملين فى هذا المجال ذوى نوعية خاصة / (أولى الأمر) (سيتم تجهيز قانون شامل وطرحه للاستفتاء).

١٥ - أوافق على.

١٦ - أوافق على استخدام القانون (　) لأن قوانين مصر لا تصلح لأن العملاء المتعاملين فى هذا المجال ذوى نوعية خاصة (أولى أمر).

١٧ - أوافق أن يكون الاستغناء عن خدمات المسؤل عن علم الأجناس بواسطة اتفاق ١/١٠ على الأقل من السادة أولى الأمر لتحريك الاستفتاء وأن تتم الموافقة (بالاستغناء) إذا تم الحصول على ٥١٪.

١٨ - أوافق أن يكون الاستغناء عن خدمات المسؤل عن علم الأجناس بواسطة.

وأن تتم الموافقة (بالاستغناء).

١٩ - أوافق أن يتولى علم الأجناس مسئولية الإشراف على باقى العلوم.

اسم الدولة　　　　　اسم رئيس الدولة　　　　　التاريخ　/　/

| البيـــان | موافق | غير موافق |
|---|---|---|

٢٠ - أوافق أن يتولى (       ) الإشراف على باقى العلوم.

٢١ - أوافق أن يتولى مسئول علم الأجناس مخاطبة رئاسات الجهات النفسية الطبية والدينية فى العالم للحصول على رأيها بخصوص فائدة علم الأجناس.

٢٢ - أوافق أن يتولى السيد / ولى الأمر الذى تقع فى دولته إحدى الرئاسات للطب النفسى أو الدينى أن يتولى مخاطبتها وإرسال ردها بخصوص فائدة علم الأجناس إلى مسئول علم الأجناس.

٢٣ - أوافق على.

٢٤ - أوافق أن يتولى المجلس الأعلى للأجناس وضع الحدود للعلوم للسيطرة على التأثر الصامت (العلم).

٢٥ - أوافق على أن يتولى (          ) وضع الحدود لكل العلوم للسيطرة على التأثر الصامت (       ).

٢٦ - أوافق أن يقوم السيد / ولى الأمر بترشيح من يجد فيه الكفائة لتولى المجلس الأعلى للأجناس تمهيداً للاختيار منهم.

٢٧ - أوافق أن يقوم السيد / (          ) بترشيح من يجد فيه الكفائة لتولى المجلس الأعلى للأجناس تمهيداً للاختيار منهم.

٢٨ - أوافق على أن يقوم (المجلس الأعلى للأجناس) بالإشراف على تنفيذ علم الأجناس داخل كل الدول بدون أن يكون له أى سلطة لحين أن يتم تنفيذ المهمة وتسليمها له.

٢٩ - أوافق أن يقوم المجلس الأعلى للأجناس!

٣٠ - أوافق على أن تبدأ عمليات اختيار (المجلس الأعلى للأجناس) بعد تخريج أول دفعة من دراسة علم الأجناس وتنفيذ أول تجربة عملية فى دولة وثبوت نجاحها.

٣١ - أوافق أن تبدأ عملية اختيار المجلس الأعلى للأجناس!

٣٢ - أوافق على اختيار (مصر) مقر لمسئولية علم الأجناس.

٣٣ - أوافق على اختيار (        ) مقر المسئولية علم الأجناس.

٣٤ - أوافق أن يقترح السيد / المسئول عن علم الأجناس على اختيار مكان آخر إذا شعر بعدم (الحياد) داخل مصر.

اسم الدولة          اسم رئيس الدولة          التاريخ   /   /

| البيـــان | موافق | غير موافق |
|---|---|---|

٣٥ – أوافق على أن يقترح السيد / المسئول عن علم الأجناس عن اختيار مكان آخر إذا شعر (        ) داخل (        ).

٣٦ – أوافق على عدم سفر السيد / المسئول عن علم الأجناس خارج المقر المختار لأن (الحياد) ـ سرعة الأداء ـ رخص التكلفة .. إلخ ..) يترتب على عدم السفر علماً بأنى استغرقت أكثر من ٣٠ عام فى مصر من المجادلات للحصول على (الحياد) المطلوب.

٣٧ – أوافق على سفر السيد / المسئول عن علم الأجناس خارج المقر المختار لأن (        ) يرتبط بالسفر.

٣٨ – أوافق أن تكون المراسلات أساس التعامل لتوفير (المستندات) للأطراف المتعاملة.

٣٩ – أوافق أن يكون (        ) أساس التعامل لتوفير (        ) لفائدة (        ).

٤٠ – أوافق على الاشتراك فى الإنفاق على مسئولية علم الأجناس من الدخل الخاص بالسيد / رئيس الدولة.

٤١ – أوافق على الاشتراك فى الإنفاق على مسئولية (علم الأجناس) من (        ).

٤٢ – أوافق أن يكون المبلغ المقترح دفعة سنوياً هو مبلغ (١ / ٤ مليون دولار أمريكى) من الدخل (الخاص بالسيد / رئيس الدولة).

٤٣ – أوافق أن يكون المبلغ المقترح دفعه سنوياً مبدئياً هو مبلغ (        ) من (        ).

٤٤ – أوافق على تقديم كشف بالإنجازات والمصروفات والإيرادات للموافقة عليه سنوياً (لإبراء ذمة المسئول عن علم الأجناس أولاً بأول).

٤٥ – أوافق على تقديم كشف حساب الإنجازات والمصروفات والإيرادات للموافقة عليه (        ) لإبراء ذمة المسئول عن علم الأجناس أولاً بأول.

٤٦ – أوافق على أن يتم إعادة طلب مبالغ أخرى إذا لم يكفى الرصيد.

٤٧ – أوافق على عدم طلب مبالغ أخرى إذا لم يكفى الرصيد.

٤٨ – أوافق أن يكون بداية السنة المالية هو شهر يناير.

٤٩ – أوافق أن يكون بداية السنة المالية هو شهر (        ).

٥٠ – أوافق على عمل مسابقة دولية لتقسيم الأجناس على أن تكون الأسماء المقترحة باللغة الإنجليزية فقط (نطقاً وهجاء).

اسم الدولة          اسم رئيس الدولة          التاريخ   /   /

البيــان    موافق    غير موافق

٥١ – أوافق على عمل مسابقة دولية لتقسيم الأجناس على أن تكون الأسماء المقترحة باللغة (    ) فقط (    ).

٥٢ – أوافق أن تكون المسابقة الدولية لتقسيم الأجناس مقصورة على أطباء الأمراض الجلدية فقط.

٥٣ – أوافق أن تكون المسابقة الدولية لتقسيم الأجناس مقصورة على الباحثين فى علم الأجناس فقط.

٥٤ – أوافق أن تكون المسابقة الدولية لعلم الأجناس مقصورة على الباحثين فى علم الأجناس وأطباء الأمراض الجلدية.

٥٥ – أوافق أن تكون المسابقة الدولية لتقسيم الأجناس مقصورة على (    ).

٥٦ – أوافق أن تكون جائزة الفائز فى المسابقة الدولية لتقسيم الأجناس هو مبلغ (مليون دولار أمريكى).

٥٧ – أوافق أن تكون جائزة الفائز فى المسابقة الدولية لتقسيم الأجناس هو مبلغ (    ).

٥٨ – أوافق على عمل مسابقة دولية لعمل أجهزة لقياس درجة اللون الإنسانى (الجلد ـ الشعر .. إلخ ..).

٥٩ – أوافق أن تكون جائزة الفائز فى المسابقة الدولية لعمل أجهزة قياس درجة اللون الإنسانى (الجلد ـ الشعر .. إلخ ..) هو مبلغ (مليون دولار أمريكى). لكل جهاز.

٦٠ – أوافق أن تكون جائزة الفائز فى المسابقة الدولية لعمل أجهزة قياس درجة اللون الإنسانى (الجلد ـ الشعر .. إلخ ..) هو مبلغ (    ).

٦١ – أوافق على عمل حفل سنوى غنائى ـ أكروبات .. إلخ .. باللغة الإنجليزية بالكيفية المقترحة بكتاب علم الأجناس.

٦٢ – أوافق على عمل حفل سنوى غنائى ـ أكروبات .. إلخ .. باللغة (    ) بالكيفية (    ).

٦٣ – أوافق على الإعلان عن علم الأجناس بكافة وسائل الإعلام.

٦٤ – أوافق على (    ).

٦٥ – أوافق على أن يكون مسئولية تشكيل اللجان فيما يخص علم الأجناس عموماً فى كل الأحوال مسئولية المسئول عن علم الأجناس.

اسم الدولة    اسم رئيس الدولة    التاريخ  /  /

البيـــان موافق غير موافق

٦٦ – أوافق أن تكون مسئولية تشكيل اللجان فيما يخص علم الأجناس عموماً فى كل الأحوال مسئولية (          ).

٦٧ – أوافق علي عمل مسابقة دولية فى أى شئ يستجد بعد أخذ رأى الأغلبية من السادة / أولى الأمر.

٦٨ – أوافق أن تكون الفترة اللازمة للإعتراف بالجنس المختلط ضمن الجنس الأساسى هى ٣ أجيال بدون ظهور أى علامات مخالفة فى النسل فى الأقارب حتى الدرجة ٣.

٦٩ – أوافق أن تكون الفترة اللازمة للإعتراف بالجنس المختلط ضمن الجنس الأساسى هى (       ) أجيال بدون ظهور أى علامات مخالفة فى النسل فى الأقارب حتى الدرجة (      ).

٧٠ – أوافق على إنشاء جهاز لتنقية السلالات.

٧١ – أوافق على إنشاء جهاز (          ).

٧٢ – أوافق على ضرورة تطعيم الدول بكل الأجناس بعد الاتفاق على نسب تواجد الأجناس فى العالم .. بما فى ذلك الدول ذات الأغلبية الكاسحة (آسيا ـ أفريقيا) (لدعم السلام الدولى).

٧٣ – أوافق على ضرورة (       ) بعد الاتفاق على (          ) بما فى ذلك الدول ذات الأغلبية الكاسحة (آسيا ـ أفريقيا).

٧٤ – أوافق على ضرورة استقلال الأجناس فى دول كاملة وفقاً للنسب التى يتم الاتفاق عليها.

٧٥ – أوافق على قانون (          ) وفقاً (        ).

٧٦ – أوافق على قانون صارم لتحديد النسل.

٧٧ – أوافق أن يكون مسئولية وضع قانون صارم لتحديد النسل بواسطة الرئيس الدولى لكل جنس بالاستفادة بخبرات رئيس جنس الدولة.

٧٨ – أوافق أن يكون مسئولية وضع قانون صارم لتحديد النسل بواسطة (              ) بالاستفادة (        ).

٧٩ – أوافق على عمل استفتاء للاتفاق على نسب تواجد الأجناس فى العالم.

اسم الدولة اسم رئيس الدولة التاريخ   /   /

**ملحوظة :**

١ - أعتذر عن هذا العدد الكبير من البنود التى يتم الاستفتاء عليها .. لأن العلم يبدأ من (الصفر) ولابد أن تكون كل التفاصيل بناء على رأى سيادتكم .. وقطعاً هناك استفتاءات ناقصة ستظهر مع الأيام.

٢ - ينسخ هذا الاستفتاء ويرسل إلى الموافقات باللغتين على أن تكون إحداهما الإنجليزية. على عنوان المذكور بالكتاب.

٣ - برجاء تدوين أى اقتراحات لسيادتكم على هذا الاستفتاء باللغتين على أن تكون إحداهما الإنجليزية .. أو أى ملاحظات أخرى .. لأخذ الرأى بشأنها فى استفتاء آخر حتى نحصل على قانون عالمى جديد خاص بالدول التى يتم إنقاذها.

٤ - يراعى كتابة الرد بنفس الترتيب لتسهيل الأعمال الإدارية وشكراً.

٥ - اسم الدولة - اسم رئيس الدولة - التاريخ / / يكتب فى نهاية كل ورقة.

## المراجـــع


| اسم الكتاب | تأليـف | ترجمـة | راجعـه |
| --- | --- | --- | --- |
| لون البشرة وأثره فى العلاقات الإنسانية | ر. د. ج سيمونز | على عزت الأنصارى | دكتور عبدالعزيز كامل |
| الأجناس البشرية | دكتور عبدالمنعم الشرقاوى<br>دكتور إبراهيم أحمد زرقانة<br>دكتور محمد متولى موسى<br>دكتور محمد محمود الصياد<br>دكتور يوسف مجلى | | |
| الاثنوس والتاريخ | بروملية بدولنى | طارق معصرانى | |
| السلالة والمجتمع | كينت ليتل | محمد جلال عباس | دكتور عبدالعزيز كامل |
| الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى سفورزا | أحمد مستجير | |

# الفهرســـت

الفهرست أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية ط – ١
١ – علم الأجناس بمعنى رجل أبيض ـ رجل أسود.
اسم الناشر : مجدى الرافعي محمد سعيد
العنوان : ١٦ ش خاطر – التعاون – فيصل – الجيزة
محمول : ٠١٢/٧٩٧٥٨١٤
رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٣٧٨٨
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 13 - 0375 - 9

## عزيزي القارىء

**باختصار..**

كل كلام الناس صحيح .. وأيضاً كل كلام السادة / أولى الأمر صحيح .

## ( الخطأ يكمن فى طريقة العلاج )

الناس يقولون باختصار( هناك فساد على مستوى الدولة وأيضاً علي مستوى العالم ) وهذا يدل على عدم مقدرتهم على تحديد المسئول عن هذا الفساد شخصياً أو عن طريق المؤسسات المطروحة .. لكن فى نفس الوقت لاينفي وجود الفساد .

السادة / أولي الأمر يقولون .. أنه يترك الحرية .. وهذا صحيح أيضاً .. لكنه يترك الحرية ولكن ليس عن علم .. بمعنى أن الحرية تعطى لمن لا يستحقها .

**( من يمثل تمثيل صادق لمجموعة من الناس )**

وكلاهما يخشى من انفراط العقد فيكون مصيبة أكثر مما هو الآن .
هذة المشكلة سببها جهل الإنسان بجنسه .

## ( علم الأجناس هو الحل الأمثل لهذة المشكلة )

لأنه يقدم الحل العملى القابل للتنفيذ

**باختصار أكثر :**

**( يحقق المثل المعروف : من ليس له كبير يشترى له كبير )**